

غادة السمان
تسكع راحيل جرم



منشورات غادة السمان

الاعمال غير الكاملة ١٤

الأعمال غير الكاملة

١٤

تسليم داخل جرح

جميع الحقوق محفوظة
لمنشورات غادة السمان

بيروت - لبنان
ص.ب : ١١١٨١٣
تلفون : ٣١٤٦٥٩ - ٣٠٩٤٧٠

الطبعة الأولى
ايلول (سبتمبر) ١٩٨٨ م

غادة السَّمان

تَسْكِعُ دَاخِلَ حُرْجٍ

الأعمال غير الكاملة ١٤

لوحة الغلاف للفنان الكبير : رينيه ماجريت

الإهداء

الى الذين لامسوا جرحي بالمحبة ،
ورصدوه بالحنان ، ومدوا جسر الضوء اليه . .
الى كل من استجوبني في هذا الكتاب
وكل من كان يرغب في استجواي ،
لوالتيقنا . . .

غادة

مصارحة

- ١ - مع كل كتاب أخطه ، أموت قليلاً .
وبين موت وآخر ، تأتي وجوههم الأليفة . تأتي أصواتهم لتستجوب القتيلة . يعرفونها ، ولا يعرفونها ، تعرفهم ولا تعرفهم ، ولكنها واثقة من أمرين : أنها تنتمي إليهم ، وأنها لم تعد موؤودة . صار لها صوتها واستعادت حنجرتها المسكونة بعشرات الإيقاعات بما في ذلك حقها في اتهام القبيلة بين موت وآخر من ميتاتها .
- ٢ - حصيلة ذلك التفاعل المحرض للخلاق والزخم الحي نجد بعضه في هذا الكتاب . وهو الجزء الرابع عشر في سلسلة « الأعمال غير الكاملة » .
- ٣ - يضم هذا الكتاب مختارات من الأحاديث الصحافية بين رفاق القلم وبينني . وقد صنفتها في خمسة أبواب وهي :
أ - أحاديث لم تحدث : الأحاديث الصحافية التي لم أدل بها ولم أكتبها ولم أكن على علم بمعظمها إلا مصادفة وبعد صدورها متحدثة باسمي ا وهي ليست كما يتوقع الانسان رديئة . بعضها متقن التزوير ويحمل الطابع الخاص لأسلوبي وتوقيع بعض وكالات الأنباء ، وبعضها تبنى اسلوب المراسلات الادبية الحميم وصاغ على لسان قلبي رسائل لم أكتبها ولكن لو كتبت لجاءت مشابهة جداً .
وأنا لا أستطيع أن أنفي غضبي كلما فوجئت بها . ها أنا ما أزال حية ، وها هم يقلدون صوتي ويغريبون صدق الاستجواب . قد تكون الأجوبة التي يلصقونها على حنجرتي أفضل من أجويتي ، وقد تكون أسوأ ، لكنها تخلو من الصدق الذي يمنح الفن مذاقه وقيمه . ومن هنا لا أحبدها بوجه عام .
ولعل أجمل نموذج للأحاديث التي لم أكتبها هو حوار مع الأديب الكبير غسان كنفاني وله حكاية مختلفة .
فقد كان يومئذ يرأس إحدى المجلات المصرية . والذين عرفوا الشهيد غسان

كنفاني يذكرون موهبته الخارقة الممزوجة بروح النكتة العملية التي تروق لي . سألني حواراً صحافياً شفهياً فرفضت وأصررت على أن يكون الحوار مكتوباً، واستمهلته أسابيع لانشغالي يومئذ بروايتي «السقوط الى القمة» أشهر رواية عربية غير منشورة ! فماذا فعل غسان ؟ لقد ذهب وكتب الاسئلة ، وكتب الأجوبة وجاءني بالحوار قائلاً : إني أعرف أفكارك ؛ وأعرف أسلوبك ، وها هو حوارنا !! . . . وقرأت الحوار ، وفوجئت بأنه كتب الأجوبة عني . ووافقت على نشره . .

فقد كان منبثقاً من روح حواراتنا الشفهية ، وكان أفضل ما كتبت وما لم أكتب من أحاديث في نظري . والحوار منشور في «القبيلة تستجوب القتيلة» وهو الجزء الأول من الكتب التي تضم احاديثي الصحافية التي صدر جزؤها الثاني «البحر يحاكم سمكة» وهذا هو الجزء الثالث لها «تسكع داخل جرح» .

أما أجمل نموذج للرسائل التي لم اكتبها فهي بالتأكيد الرسالة المنشورة في هذا الكتاب تحت باب «احاديث لم تحدث» واعني بها رسائلي (غير المرسلة) الى الصحافي المصري الكبير وصديقي الحميم مفيد فوزي . فهو يكره كتابة الرسائل الى المدى الذي يجعله قلماً يجيب على رسائله الا هاتفياً ، وكثيراً ما جاءني صوته آخر الليل من اسبانيا او جنوب فرنسا ليقول لي ما كان يشتهي كتابته . ولكن كراهيته لكتابة الرسائل لم تمنعه من كتابة رسالة طويلة بالنيابة عني وجهها الى نفسه ثم اجاب عليها ونشرهما معاً بصورة حوار صحافي في مجلة صباح الخير المصرية . وكانت رسالتين جميلتين بالرغم من كراهيته للمراسلات ، أو بسبب ذلك ، كأنه أقدم على (المراسلة) ليمنحني هدية خاصة جداً بالعناء والمشقة في حقل لا يمتعه عادة .

والرسالة التي تحمل توقيعى جميلة ، وهي مغزولة كاللؤلؤ حول رسالة من حبة رمل عادية بعثت بها اليه . فأعاد كتابتها بلغتي الخاصة واسلوبى الشخصي ولذا أتبنى كل ما فيها من افكار وبعضها أرفض البوح به بسبب كبريائى (كالمقطع الخاص بمعاناتى في الغربة) ولكنها مجملها تعبر عني اصدق تعبير تماماً كحوارى الذى لم يحدث مع الشهيد كنفانى، كأن الصداقة الحميمة حالة تقمص، ومفيد الصديق القديم صار يعرف (حالاتى) وما يمكن ان اكتبه اليه مطولاً . . . ويتقن لغتى النفسية والابجدية معاً ! وقد تقمص حنجرتى وارتدى هواجسى واحزاني فجاء صوته حاملاً همى ونبرتى الخاصة وطريقتى فى البوح حين اعاد صياغة رسالتى اليه . وقد وجدت هذا الحوار بالمراسلة من اصدق ما كتبنا وفيه من الاضاءة الكشفية على عملنا

وحياتنا اكثر من اي حوار صحافي آخر غزلبناه معاً .

ب - الفصل الثاني من الكتاب اسميته « سيرة ذاتية » وجعت فيه الأحاديث التي تنصب مباشرة على حياتي الخاصة كإنسانة وعن علاقة ذلك بفني . هذا الفصل رتبته وفقاً للتسلسل الزمني ولكن بدءاً بالماضي وانتهاءً بالحاضر . . فقد أحسست وأنا أعيد قراءة أحاديثه انني أقرأ حياتي موجزة في سلسلة محاورات . . وان قراءتها بدءاً بالماضي وانتهاءً بالحاضر له مذاق من يقرأ قصة مواطنة طموح ، والناس تحب قراءة القصة ، وأنا أحب خلق المذاق القصصي في كل ما أكتبه أو حتى أرتبه وأبويه .

ج - هنالك صدفة بيولوجية - هي أنني ولدت أنثى - نجمت عنها اسئلة صحافية من نوع خاص تدور حول علاقة المرأة والرجل و« الثورة الجنسية » المعاصرة وتحور المرأة . . لقد طرح عليّ هذا النمط من الاسئلة أكثر مما طرح على أديب آخر ذكر . الفصل الثالث من الكتاب أسميته « استجواب حول الجنس - المرأة - الرجل - التحرر » وهو يضم مختارات من المحاورات التي تغطي رقعة من هذه الأفكار . وأنا أجد الحوار حول هذه الأمور مجدياً ورائعاً وأتمنى على رفاق القلم طرح الاسئلة ذاتها على الأدباء (الذكور) أيضاً ليكون البحث شاملاً في مشاكل تخص مجتمعنا العربي ككل واحد . وقد رتبها أيضاً بدءاً بالماضي وانتهاءً بالحاضر لأن لها أيضاً مذاق القصة : قصة امرأة مع قمع معين .

د - الفصل الرابع من الكتاب اسميته « استجواب حول قضايا ادبية » وهو يضم مختارات من أحاديثي الصحافية التي تتعلق مباشرة بقضايا القصة والرواية خاصة والأدب بوجه عام . وقد رتبها كبعض فصول الكتاب وفقاً للتسلسل الزمني بدءاً بالحاضر وانتهاءً بالماضي . والقارئ الذي يرغب في إلقاء نظرة سريعة على موقعي الراهن من قضايا فكرية تشغله يستطيع ان يكتفي بمطالعة الصفحات الأولى من كل فصل . أما القارئ الأكثر فضولاً فيستطيع أن يقلب الصفحات ، ومع كل صفحة يخطو الى ماضيّ الفكري ليرى تطور نمو الأشياء في وجداني ، وبأي اتجاه كان ذلك يتم .

هـ - الفصل الخامس من الكتاب أسميته « من كل بحر موجة » وهو يضم محاورات حول قضايا متفرقة تأخذ من كل فن وعلم بطرف ، أو كما يقول إخوان الصفا عن رسائلهم : فيها من كل فن بلا إشباع ولا كفاية . في هذا الفصل من الكتاب يتم استجوابي حول أمور شتى : شيء من السيرة الذاتية وشيء عن قضية المرأة ،

وشيء عن الأدب والنقد ، وسواها من القضايا والطابع الغالب عليها هو الشمول ، وهكذا لم يكن من الممكن إدراجها تحت باب دون الآخر من الأبواب السابقة .

٤ - هذه الأبواب في تقسيم الكتاب ليست قوالب جامدة . بمعنى ان القارئ قد يجد في حوار بالفصل الثالث (الخاص بقضايا المرأة بوجه عام) سؤالاً يتعلق بأمر آخر ، وهذا طبيعي وبدهي . لقد تم تقسيم أبواب الكتاب وفقاً للطابع الغالب على الاسئلة بوجه عام .

٥ - قد يجد القارئ أكثر من حوار صحافي مع (مُستجوب) واحد . وهذا يحدث مع اصدقاء واكبوا بداياتي ولديهم الاطلاع الوافي على مسيرتي ، وبالتالي فان استجوابهم لي ينطلق من أرضية المعرفة الشاملة بإنتاجي ، ولذا وجدته خطأ شكلياً اعتبارياً أن أقوم باختيار حوار واحد لكل محاور . فالمهم في النهاية هو المضمون .

٦ - هنالك اسئلة تنبشنا من الداخل لأنها طرحت في اللحظة المناسبة ، فتفجر كتابة . وهنالك أسئلة قد تكون اقدر منها على تفجيرنا ، لكنها قد تطرح علينا في لحظة نكون فيها مستغرقين بشيء آخر يشغلنا عن كل ما عداه . وهكذا فإن أفضل الأجوبة في هذا الكتاب ليست بالضرورة ملازمة لأفضل الاسئلة ، والأنغام التي تصدرها أعماقي إثر ضربة السؤال لا ترتبط بمهارة العازف فحسب ، بل بحالة آلة العزف ، وأوتارها المشدودة أو المسترخية في لحظة معينة .

للسبب ذاته قد نجد اسئلة متشابهة لكنني لم أجب عليها بدرجة واحدة من العمق فالكومبيوتر هو الوحيد الذي يقدم لك الاجابة نفسها على السؤال نفسه في كل لحظة . . اما النفس البشرية ، فلا .

٧ - هنالك احاديث تبقى كوثيقة ثقافية وكشاهد على الكاتب وعصره . وقد شهدنا مؤخراً وعي العرب باهمية الحوار الصحافي كوثيقة : جبران . الريحاني . . الى آخره .

٨ - لقد التزمت الدقة العلمية وضرورات البحث الاكاديمي ما وسعني إلى ذلك سبيل . وهكذا عدت الى النسخة المصورة الـ (فوتوكوبي) الأصلية للحوار ، وهو أمر يلجأ إليه الباحث عادة حينما يستخرج أعمال مؤلف ما- بعد موته - اذ يفتش عن النص الأصلي لدى أسرته بدلاً من النص كما نشر . فكل ما يدخل إلى (مطبخ الصحافة) قد يتعرض إلى حذف أو تعديل تتطلبه الضرورات الصحافية الآنية .

وقد اكتشفت ان معظم محاوراتي الصحافية تعرضت لذلك نظراً لضرورات الإخراج الفني (الميزامباج) أو لوجهة نظر المشرف على الصفحات الثقافية . واكتشفت

أن يد التعديل طالما امتدت الى الاسئلة ايضاً في عملية تشذيب هي في جوهرها قتل لحقيقة الحوار . فالاسئلة ثم الأجوبة تشكل في نظري وحدة عضوية لا تتجزأ ، وأي تعديل في صيغة السؤال وتفرغ له من نبرته الأصلية ونكهته - بعد أن اكون قد أجبت عليه - أو الجواب يشوه روح النص ، وهذا ينسحب على تعديل التتابع الأصلي للأسئلة . ولكنني للأسف لا أحتفظ بنسخ مصورة (فوتوكوبيز) عن أحاديثي كلها ، كما ان الذاكرة لم تسعفني إلا في مرات محدودة تذكرت فيها وجود تعديل رئيسي في الاسئلة ومناخها . وفي حال كهذه ، لجأت إلى استبعاد الحوار بأكمله (لأنني ببساطة كنت قد أجبت عن أسئلة أخرى !)

٩ - هذا العمل الأكاديمي كان محدود الأثر جداً لافتقاري الى نسخ مصورة (فوتوكوبيز) ما قبل عام ١٩٧٦ التي احترق معظمها في الحرب اللبنانية من جهة ، وسهوي عن استخراج صور (فوتوكوبيز) لبعض أحاديثي لضيق الوقت حينما يمر عملي بمراحل محمومة ومكثفة .

١٠ - الحوار الذي فاتتني فرصة الحصول عليه منشوراً ولم يزودني صاحبه به ، نشرته عن النسخة المصورة الأصلية (الفوتوكوبي) بدون مقدمة - ما دمت لم أحصل عليها - مع التاريخ التقريبي لكتابته بقدر ما أسعفتني الذاكرة .

١١ - كما أفردت فصلاً موجزاً لأحاديث لم تحدث ، كذلك كنت أطمح إلى أن أفرد فصلاً للأسئلة التي لم أجب عليها ، مع تحليل لجوهرها ومدلولها وبالتالي أسباب رفضي الإجابة عليها . لكن المجال لم يتسع لذلك حتى في هذا الجزء الثالث من محاوراتي وأطمح إلى تنفيذ ذلك في الجزء الرابع .

١٢ - لم أتمكن من استعادة أحاديثي في مرحلة الستينات إلا فيما ندر . وهكذا فالكتاب بمعظمه يغطي رقعة السبعينات والثمانينات . وانهز هذه الفرصة لأوجه نداء إلى رفاق القلم لتزويدي بما قد يكون لديهم من محاورات في مرحلة الستينات التي بدأت الكتابة في أوائلها او بنسخ مصورة عنها إلى صندوق بريد ١١٨١٣ بيروت . وبالرغم من افتقار الكتاب الى نماذج وافية من محاورات الستينات فانه قد يساهم في التأريخ لأسلوب الصحافة في طرح الاسئلة وتطوره خلال اكثر من عقدين من الزمن . إنه تأريخ لتطور الصحافة يعكس صورة لهذا التطور اكثر مما يعكس صورة لاختلاف النظرة اليه وتطورها .

١٣ - أحب ان أنوه بالمحاورات مع رفاق القلم باللغة الفرنسية ، مع كتاب وكاتبات

مبدعين اذكر بعضهم (بالتسلسل الأبجدي) : ايرين موصلي - ايفلين مسعود - جميل جبر - كلير جبيلي - نهاد سلامة - كما أنه بحواري مع المشرفة على الصفحات الثقافية في جريدة أليك والصادرة باللغة الأرمنية .

وقد تعذر نشر نماذج من محاوراتنا في هذا الجزء .

١٤ - لقد طرح عليّ كل ما يمكن أن يخطر ببال الأطفال والفلاسفة من اسئلة . . . أحدهم سألني « الى اين تذهب روحي بعد موتي ؟ » . وهو السؤال نفسه الذي طرحه الصحافي جراهام فيشر على الأديب البريطاني الكبير جويس كاري . . مع فارق بسيط وهو أن جويس كاري كان لحظتها يحتضر على فراش الموت في سن الثامنة والستين وكانت مناسبة الحوار . . . موته !

وقلة نادرة من الصحفيين ، كتبت حوارات موهومة معي ، مخصصة للسخرية من شخصي والأذى والايلام ، ولكن هذه القلة هي الشواذ الذي يؤكد القاعدة : الاهتمام المتدفق على عملي ككتابة . والحنان المتدفق عليّ بصورة اسئلة .

١٥ - هذا الكتاب الاخير من الأعمال غير الكاملة (الذي يقع في اربعة اجزاء) وهذا جزؤه الثالث هو أقربها الى قلبي . فهو أيضاً سجل انساني للحظات من الصديق المتبادل المكثف ، المحرض والخلق : لحظات الحوار .

كأن كل حوار صحافي ناجح حكاية حب بالمعنى الجوهرى للكلمة : لغة مشتركة . لحظة تفرغ مطلق متبادلة . محاولة التقاء . محاولة معرفة .

وكل حوار صحافي ناجح هو كالحب : كسر للوحشة وتدمير للغربة وعلى الأقل خلال الفترة التي يستغرقها الحوار .

وبعد . . .

فالحوار الصحافي الحقيقي حكاية حب لا تعقبها المرارة وإنما ترفد الفن وتساهم في بلورة الإبداع .

غادة السمان

تم تعديل المصارحة في ١٢/٩/٨٧ الساعة ٢,٥٣ فجراً

الجرح يرحل داخل ذاته في لحظة شك مستمرة :

الآن وقد أنجزت « الأعمال غير الكاملة » بأكملها تقريباً أكرر : لست واثقة من أنني اخترت الأفضل من أعمالي . . . ولعل التي استبعدتها من دائرة النشر كانت أكثر دلالة وخصباً . . . ولكن . . .

أحاديث لم تحدث

● الفن يستعرض أمام الناس جميعاً ما
يحرص الفنان على إخفائه عن اقرب
الناس اليه

- جين روستاند -

● كل عبارة تدفع بك الى قراءتها مرتين ثق
ان صاحبها فكر بها قبل كتابتها اكثر من
مرتين

- ثورو -

● من بعض متع قراءة الرسائل القديمة هي
انها لم تعد بحاجة الى كتابة الرد .

- اللورد بايرون -

● الصوت وجه آخر .

- جيرار بوير -

من عادة الى مفيد بقلم مفيد فوزي

● اتقن قراءة صمتك الفصيح .

عزيزي مفيد . .

. . . تابعتك حتى الصيف حرفا حرفا وشهقة شهقة ، ثم غادرت باريس وتشردت في بلاد لا تبيع الصحف العربية والهموم والمذايح العربية . فأنا - كما تعلم - طلقة نارية شردت في ليل العالم الواسع تحترق اجنحة طائرات يغسلها مطر الاعالي الوحشي . لبنان هي جرحي المتقن التخدير ودعمتي السرية كلما فاجأني الحلم . وبيروت زرعت جروحها تحت جلدي قبل ان يتلعها الافق .

صداقتنا نوع من أنواع الخلاص ، نسمة رطبة في هذا الجحيم . صداقتنا كما تكتب لي دائما هي بكاء بعيون الآخرين . عيناك وعيني ! حين اكتب لك اشعر اني انحر من عذابات وهموم خاصة ، فلم يبق في عالمنا المثخن بالجراح سوى المشاركة . انها الحلم المستحيل في زمن الوجود الطحلي . وكان لا بد من الرحيل . فكلما اقتربنا من الشيء فقدنا الرؤية بوضوح لان اتحاد الانسان بالاشياء يفقده شروط الرؤية الصحيحة من موضوعية وتجرد وصفاء ذهن . ارحل ربما لاثبت انه لا رحيل الا لو رحلت عن ذاتي . ولكني في كل رحيل . . . امعن إبحاراً نحو حقيقي . ارحل ربما بحثاً عن المجهول والمدن الغارقة في غلالات التاريخ ، ربما لأن كل رحيل يقود الى الوطن مادام الوطن . . يسكننا . صدقني انا لا اعرف « النوم العذب » كما يسميه شكسبير . هل نجد في المتاحف بعد مائة عام تمثالا لانسان دخل التاريخ لانه استطاع ان ينام كل حياته دون ان يتناول قرصا مهدئا واحدا .

رحلت عن باريس حين صارت المدينة فارغة كمدن الاساطير العربية التي تحجر سكانها واستحالت ابنتها نحاسية مسحورة . ليس في المقاهي والمطاعم والشوارع إلا نساء عيونهن مزيج من خيبة وخوف وجوع . كنت غارقة في العمل ، فقد أصدرت الطباعات الثامنة لـ « اعلنت عليك الحب » و« عيناك قدرتي » و« حب » والطبعة الرابعة

لـ « السباحة في بحيرة الشيطان » وأعد للنشر كتابين جديدين « البحر يحاكم سمكه » و« الاعماق المحتلة » .

وعندما شعرت اني محاصرة ، رحلت الى لندن ، مدينتك المفضلة . لا أجمل من لندن حين تصفو سماؤها وتنبث فيها شمس ويتلصص فوق أبراجها قمر . لا حل عندي للتطهر . . . الا بالمسرح . لا اعتقد ان المسرح ترف فكري . المسرح يمكن ان يكون مدرسة شعبية لتلقين ابجدية الوعي والرقى . ما زلنا في الارض العربية نزهر كلاما ولا يثمر ، ونطلق سحبا ترعد ولا تمطر . ليتنا نتخلى عن اسلوب امرىء القيس والوقوف على الاطلال في قضايا الشخصية والعامية وسلام على حقول البرتقال الحزين .

نحن عطشى للحوار الحضاري الهامس . اننا نصرخ حينما ننطق كلمة حق والعالم الغربي لا يستطيع ان يفهم لماذا نصرخ ونحتد ما دمنا ننطق بكلمة حق . اصارحك بانه تغمرني احيانا تعاسة هي اكبر من ان اعبر عنها او احيط بأبعادها . ادخل محارتي واتدثر بها ، فان من حولي لن يفهم سر تعاسي ، وللدقة اكثر ، سيعجزون عن الفهم . في بعض الاحيان اقلدك لانجوبنفسى . اصمت ! اوغل في الصمت . اهبط الى قاع الصمت . صحيح اكون غاضبة كحدقة عين محارب ومتناقضة كأستان منشار . ولكن الصمت يحتويني واشعر انه مظاهرة احتجاج على اشياء كثيرة . تمثال بوذا الصامت يحرك في نفسي هذا الشجن . عندما كنت أراك صامتا كنت اثقب صمتك باسئلتي . ثم فهمت ان هذا « الخرّس » له دلالة . صرت اقرأ صمتك جيّدا ، فأنا - كما تعلم - اتقن قراءة صمتك الفصيح .

حين يكون الصمت موقفا في العمل او الحب ، يكون مراجعة للنفس مع النفس . فالبوصلة العقلية لكل منا تختلف عن البوصلة العقلية للآخر لكننا جميعا نتحرك على خط عرض واحد ونخضع لمغناطيسية اجتماعية وتاريخية واحدة . يختلف عنك في قدرتي على الحلم . انني أؤمن بضرورة الزواج بين الحلم والواقع في محراب العقل . فللأحلام دور في بلورة اي فكرة لي . الحلم رافد هام لما استخف به . انه السراب الجميل !

لا ادري كيف تمضي الحياة داخل « الجمهورية المستقلة » ابتك حنان ولكني اعرف درجة حرارة ابوتك . اما أنا - كأنا - لجمهورية مستقلة اخرى اسمها « حازم » فتنازعني مشاعر شتى . فأنا كما تعلم أم لطفلين : بشير وحازم . زوجي بشير ليس

سعيدا هنا في باريس ويحن الى الوطن . مثلك يلوذ بالصمت الموجه ، وانا اقرؤه جيدا .
انين حنينه الى الوطن له صوت . انه يشعر بالضبط كما وصفته يوم التقينا الصيف
الماضي في باريس «جالس على مقعد في صالة الترانزيت ينتظر طائرته المسافرة الى
بيروت ، ويصغي ليلتقط نداء المذيعة على رقم الرحلة « !!! باريس - يا مفيد - صارت
صالة ترانزيت كبيرة . . ! حب بيروت لا يعادله في الدنيا حب مهما أمعنت في الرحيل .
فأنت تسافر وتسافر ولكن هناك « محطة » داخل نفسك تسكن فيها وتسكنك . حتى
وأنت في باريس ، اقرأ صمتك المشتاق . . للقاهرة . نحن نخلق في الافاق دائما . لا
نكف عن التحليق . وكل فنان طائر بمعنى ما ، كما يقول صديقنا المشترك غالي شكري ،
لا اتخيلك مطلقا بلا تذكرة سفر . ولا اتخيلك بدون جواز سفر . ولا اتخيلك بدون
رحيل . لا اراك الا « سواح » .

ان السفر صمت من نوع آخر . انه أحلى انواع الصمت . انه صمت القادر على
مواجهة النفس والنزول الى بئر الذاكرة والتجول في سراديبها . انه صمت النظرة الثاقبة
وليس حياد الموت للاشياء . انه ليس صمت السكوت على الظلم بل هتك عرض الظلم
والتشهير به . انه صمت الذين يعرفون . . ويجزنون ! اذا كنت تفكر في الصيف القادم
بالسفر الى اوروبا ، فاقصد فيينا . انها لؤلؤة الدهشة الدائمة في صدفة التاريخ . ستدور
في حدائقها ومتاحفها وتنصت الى انشاد مبدعيها : جوته وشيللر وشوبرت وموزار . حتى
جدران فيينا تنطق . ستأخذك من نفسك برهة لعلك في حاجة اليها . ستخفض نسبة
السكر في دمك الى الصفر . . . جرب ولن تندم .

أرهقتني الطائرات - يا عزيزي مفيد - ولا زلت متشبثة بالرحيل . احيانا افعل
مثلك ، السفر في المكان والزمان ثم اخاف من اجترار ايام الحزن والمرارة واتذوق طعم
العلقم .

مشتاقة للقاهرة ، مشتاقة . مشتاقة لبسطاء الناس ودعواتهم العفوية بالستر .
مشتاقة لزمان اخضر وقلب اخضر .

هل لا بد لكل خطاب من نهاية ؟

هل هو قانون الازل . البدايات لها نهايات ؟

سأضع قلبي دون كلمة وداع . . . فلا نهاية لمشاعر استرسلت شلالا فوق

الورق .

من مفيد الى عادة بقلم مفيد فوزي

● الأنثى تتوارى بالخمار الأسود

صديقة العقل عادة .

... لعل اجمل ما في صداقات العقول انها لا تفرق بين رجل وامرأة ولا تعرف الملل والصدود . . والذبول . اجمل ما فيها ذلك الابحار المتجدد الذي نادراً ما يرسو . انها « سباحة » ذهنية ، تعمر متعتها طويلاً طويلاً . . وتفوق اي متعة اخرى عابرة . وقد اعتدت في الليالي المعتمة ان اتحاور معك فوق الورق ، فتنبت شمس من بين سطورك وتفل السحب الداكنة هاربة من سماء نفسي !

الصمت عندي يا عادة هو الاحتراق . والاحتراق معناه التجدد . معناه الخروج من الرماد . انسان آخر يحمل بواحدة من يديه الشعلة وبالاخرى « يخرش » على الحيطان . للصمت لغة ومفردات ونزيف خاص . . وقليلون جدا في هذا العالم يفهمون هذه اللغة وتصلهم حروفها بجملة مفيدة . التحوار معك علمني ان المرأة - احيانا لا دائما - ليست مجرد عيون جميلة او قد مياس . انما عقل فواح بالازهار . . . ورياض يتمرغ الانسان على اعشابها .

أعرف انك كامرأة شرقية في حاجة بعد الى كلمة طرية من الرجل ، رغم إنجازاتك المتقدمة، ورغم عقلك الوثاب . علمني التحوار معك انه لا فرق في المشاعر الانسانية بين رجل وامرأة . الفرق في مقدار الحرية وكمية الشجاعة وحجم الثقافة . الفرق في هذا العضو الذي يكسوه الشعر ، ويعلو الكتفين ! الرحيل عندي ، اعادة نظر في الكون . . ونفس عميق للمتابعة . متابعة الحياة المعقدة الشرسة والمليئة بالمطبات .

كنت اظن ان العبقرية للرجل واكتشفت الخطأ بل الوهم الذي وقعت فيه . فالمرأة قادرة على التصميم على شيء وتنفيذه . لا مسافة عندها بين الفكرة والقرار وهذه عبقرية . المرأة تملك عبقرية الارادة والارادة صانعة معجزات . اما عن « الجمهورية المستقلة » حنان فان تجربتي معها كأب ، تستحق التسجيل والرواية . نعم ، جيلان

يتقابلان في منتصف الطريق . على احدهما (جيلي انا) ان يتنازل - باسم الحب والضعف الابوي الخالص . علمتها امها ان القيم لا تتجزأ . علمتها امها ان الكبرياء اثنى ما تملكه فتاة . ولم اصادر مشاعرها نحو شيء ما . ولو اقل لها يوما ركبتك عورة . اراها امامي تكبر كشجرة مثمرة ترنو العيون لها . اراها تعبر عن نفسها فأصغي . وفي زمان طفولتي لم يصغ لي ابي وكانت كلماته « فرمانات » تطاع فقط !

قرأت مرة حديثاً لصديقنا المشترك (. . .) يصف كتاباتك ما معناه « ثرثرة لفظية بلا مضمون » ولم يتوقف عن قصصك واعمالك الادبية التي اعتبرها « اضافة جادة وثرية للمكتبة العربية » . وغضبت واظنه هو قد غضب ايضاً بعد ان قرأ الحديث منشوراً .

ومع ذلك بعض الحجارة في البحيرة ، يحرك مياهها واظن ان الحياة الادبية تعاني من انيميا النقاش والحوار والزلازل الفكرية ، واظن انه فيما ندر . . . تتأجج هذه النار . علمت من رسالتك انك تعدين كتابين للنشر . انه خبر مفرح ، لأنك دائماً تمشين وسط الضباب . تحترقن الطرق الموحشة مسلحة بالتفاؤل وبالحرمة .

انك تقتلين الاحباط برصاص التفاؤل . . مثلما افعل دائماً . فانا اخترق التعاسة بسهام التفاؤل ، فتنقلص مساحة التعاسة واحياناً تفل هاربة . . ساخرة من حجم تفاؤلي ! احياناً يكون الموج صاحباً والرياح شديدة والصفاف بعيدة . لي ذراعي سباح اعتاد الموج والرياح وصحبة البحر ! واين تجربتي من « كوابيس بيروت » الواقع لا الرواية ؟ اين تجربتي من تجربة الحوار بطلقات النار والقنابل والحريق ؟ اين تجربتي من الموت المتربص في كل شارع وحارة وزقاق في بيروت ؟ اين تجربتي من السكين المغروس في القلب وفي الحلق ؟ ! انني افهم تماماً ما معنى رحيلك الدائم ، تشردك الطويل في المطارات والموانئ . افهم تماماً صراخك وبكاءك بين السطور . . وافهم احياناً يأسك وصمتك ، ولو ذلك بالفرار الى . . محاركتك . لكنك تحاربين هزيمة نفسك وانكسارها بالكتابة وتتقنين هذه الحرب بأسلحة مبدعة تجعل نثرى يرقى الى مستوى الشعر وتصبحين يا غادة غبة صديق يمشي على قدمين . فانا اسكن في كتاباتك وافتح « نوافذ » فيها واشعر انك تقودين مظاهرة سلمية تهز الوجدان وتحرك النفس الراكدة وتقيم حواراً مع عقل بارد محايد .

الانثى فيك حاضرة وغائبة . الانثى تتوارى بالخمار الاسود عندما يطل العقل في المعبد ! في باريس ، يوم التقينا ، تحدثنا عن فيروز الانسانة ، صديقتنا المشتركة . ولا اعرف عنها شيئاً منذ قابلتها في عمان وكانت « ترمم » نفسها ببعض الرحيل . فلا تزال كما علمت في بيروت . علمت انها بجوار « عاصي الرحباني » حين صار شبحاً راقداً

فوق سرير . . .

ما أخبار نزار قباني ؟ لقد كان يريد الإقامة في القاهرة . ثم عدل فجأة عن قراره . لست ادري هل انكسر الرمح بعد رحيل بلقيس المفاجيء ؟ هل قرر ان يعيش في بيت الحزن يفتقد كل صباح نخلة العراق الطويلة السمهرية ، بلقيس ؟ هل قرر ان يعيش الى جوار ابنتيه ، يلتحف بهما في شتائه الطويل القادم . مسكين نزار ، لقد خطف منه الموت ابنه توفيق وزوجته بلقيس لكن الموت - يا غادة - هو الحقيقة الوحيدة في الحياة !

اشتقنا لكما انت وبشير الداعوق . هذا الانسان الحضاري الذي كونت معه « مؤسسة الزواج » . ان بشير هو الصامت الاعظم . ان صمته من فضائله ، لكنه صمت العقل المدبر . صمت « بهاء » نسبة الى احمد بهاء الدين . صمت التحديق المستنير في الاشياء وتناولها بالعقل المحض حتى لا تغلب العاطفة على التفكير فتفسده .

نعم ، يا غادة ، ان احمد بهاء الدين مريض ، يقضي جزءا من وقته على سرير في مستشفى . هل يهاجم المرض الجلد السميك والنفس السمكة ؟ محال ! يهاجم دائما انسانا يشقيه عقله المحلل لكل صغيرة وكبيرة . يهاجم دائما انسانا يرفض ومطلوب منه ان يقبل ! لقد زرت احمد بهاء الدين في العجمي بالاسكندرية وتعلمين ضعفي أمامه . جلست اتكلم معه واسمعه وهو يحكي . وكأنه افرج عن صمت نصف قرن . لا زال شابا في افكاره . . لماحا في رؤاه . وفي لحظة من اللحظات تمنيت ان اضع قدما فوق قدم . . . ولكني لم استطع . انا من جيل يحترم من سبقوه . . ويفخر باستاذيتهم . تذكرين اني كنت اول محرر يعين في « صباح الخير » في يناير عام ١٩٥٧ . . . الآن صار الهرم مقلوبا .

يا عزيزتي غادة . . ان اجمل ما في رسائلك انها مثل « اغنية » حلوة تثير الشجن في النفس وتوقظ اشياء كثيرة كانت راقدة . . اعلم كما تقولين دائما ان احلى ما في الرسائل انها تصل مغلقة . . فالمحتوى يخص انسانا بذاته ، وان مجرد فتح المظروف متعة . لكن استاذنك ان افصح المظروف . وأعري السطور . . واعرضها للضوء . . . والشمس .

وساحذف ما يخصنا عائليا . . ولن اختم رسالتي لأنك لا تحبين النهايات ولا انا ، لولا انها حقيقة .

سامحي غيابي في الرد ، فان اشياء كثيرة تغتال صفائي . مفيد فوزي

استجواب حول سيرة ذاتية

- أياً كانت قناعاتك ثق من أمر واحد : هو
انك تشبه « الآخرين » الى حد مروع !
- جيمس راسل لويل -
- بينما كنت أتوهم انني كنت اتعلم كيف
احيا ، كنت اتعلم كيف اموت .
- ليوناردو دافنتشي -
- السمكة تموت وصدرها الى الأعلى ،
وتطفو من القاع وتعلو . . . انه اسلوبها
في السقوط !
- اندريه جيد -
- ليس ثمة شعور بالحرية يشابه في نشوته
متعة الهرب من أنصاف الاصدقاء .
- ادوارد بلوير ليتون -

مندوب العمل التونسية باشراف الحبيب الجنحاني يستجوب

● المرأة السورية تمر الآن بمرحلة تمزيق الشرنقة .

انها ابنة رئيس جامعة دمشق ووزير الارشاد والتعليم سابقا . . انها تحدثك فاذا
حديثها السحر . . . واذا سألتها اجابتك بالصراحة والصدق والجرأة . . . فهي لا
تخاف من شيء . . . الا من نفسها .

عمرت مجدها الادبي والفني على الخوف . . . ولكن على الخوف من نفسها . . .
انها شابة في ريعان شبابها لم تتجاوز العقد الثاني من عمرها الا قليلاً . . . طالبت
« بتحرير الجارية التي تجلد » . كما طالبت « بتحرير الرجل ايضاً » . . . بهذه الروح
الحرّة المسؤولة وهذا الحس المرهف جابهت القراء ورسمت خطوطها العريضة في
كتابها : عينك قدري - وهو اول مجموعة قصصية لها .

استقبلتني هذه الشابة في بيتها الفخم بدمشق بابتسامة فيها الوداعة . . . وفيها
الاثارة . . . وغمرتني بالعطف والكرم . . . وتحدثنا الحديث التالي :

● ما هي اهم نشاطاتك الاجتماعية والفنية ؟
- اعمل بالتدريس كاستاذة محاضرة للغة الانكليزية في كلية الآداب بجامعة دمشق
ومعاونة لرئيس ديوان كلية الهندسة ولي برنامج اذاعي عن الشعر العربي هو « شعر وموسيقى
وغادة السمان » .

● ما هو اهم نتاجك الأدبي ؟
- القصص القصيرة التي جمعتها في كتابي الاول « عينك قدري » وكتابي الثاني الذي
سأبدأ بطبعه قريباً في بيروت .

● هل يمكن تقييم قصة (عينك قدري) ؟
- تقييم عينك قدري ليس من اختصاصي وانما من اختصاص النقاد ، فأنا صانع سيارات ولست المستهلك . .

● ما هي نشاطات المرأة السورية ومشاكلها ؟

- نشاط المرأة السورية تمر الآن بمرحلة تمزيق الشرنقة ، وتهب عليها مجموعة من التيارات المختلفة التي تجدها في اية ثورة . . هناك مثقفات يعملن باخلاص وجراحة . . وهناك ملونات يتقنعن بالثورة . . . وهناك متحررات ظنن ان الحرية هي الفوضى واستهترن بالمسؤولية . وهناك جادات وعاملات .

● هل ترحلين الى خارج سوريا ؟

- انا غيمة تكافح كي لا تكون غيمة صيف عقيمة وانا كالغيوم اهوى الرحيل ولا استقر . . . في الربيع المقبل سوف ازور اوروبا .

● ما هي نصيحتك الى الفتاة العربية ؟

- احب إبداء الرأي وتبادل وجهات النظر ولكنني اكره منابر الوعظ لانني لست سوى فتاة عربية تبحث عن طريقها .

● ما هي هوايتك المفضلة ؟

- الحياة هوايتي المفضلة ترافقها هوايات اخرى فرعية هي السير تحت المطر - السباحة - قيادة سيارتي بسرعة - الصمت .

ندى ياسين تستجوب

● نجحات المجتمع ؟ من بينهن
تستطيع العمل وكسب عيشها ؟

● دور المرأة اللبنانية في الاحداث الدامية الاخيرة ؟
- ما دامت الرصاصة لا تميز بين ذكر وانثى ، وشظايا الصواريخ لا تحترم تاء التأنيث ،
والسقف المنهار ينهار على الاسرة بأكملها ، فان دور المرأة في هذه المعركة هو من حيث
المبدأ كدور الرجل تماما . هذا ما يفسر اقبال عدد كبير من الفتيات على « معاقرة »
السلاح ، دفاعا عن النفس جسدا وفكرا .
لكنني ارى للمرأة في هذه المعركة دورا اضافيا هو دور التهدة وبالاخرى الضغط
على « مجتمع الذكور » في سبيل كبح الذات ولجم النوازع التدميرية . . فمجتمع الذكور
هو الذي لجأ الى الحرب على مر تاريخه منذ عزل المرأة عن السلطة في المجتمعات القبلية
القديمة التي كانت تخضع لحكم « الام » لا الاب الذكر . . . وصناعة الحرب صناعة
ظلت « رجالية » الا في حالات نادرة (الجيوش غالبا من الذكور) . . . وهناك حالات
نادرة ارغمت فيها المرأة الرجل على القتال ولكن في موقف الدفاع عن النفس فقط
(يروي التاريخ حكاية نساء هجرن رجالهن في الفراش ارغاما لهم على الذهاب للحرب
دفاعا عن المدينة) . . . ولكن بصورة عامة ، الحرب صناعة رجالية . . .

أما في الحروب الاهلية (الحروب غير النظامية) فان دور المرأة يكون كبيرا
وأساسيا ما دامت الحروب تجري على السطوح وبين النوافذ وفي الشوارع ، اي ان
الرجل يكون قريبا من امرأته لتلقي « ارشاداتها » او حربها النفسية مع او ضد حربه
الاهلية ، وليس بعيدا في ساحة المعركة حيث يتلقى الاوامر من رؤوسيه وقيادته فقط .
في الحروب الاهلية هنالك « قيادتان » بدلا من قيادة واحدة : المرأة اولا ثم (الرابطة)
التي يقاتل الرجل تحت لوائها ثانيا .

وأياً كانت اسباب القتال ودوافعه فقد اثبت التاريخ ان الحروب الاهلية كانت دوما كارثة موجهة ، وان الثمن الدموي الذي تدفعه اطرافها كلها ربما اكبر بكثير من المكاسب الانسانية التي تحقّقها . .

ولذا ، اعتقد ان من ابرز ادوار المرأة في هذه المرحلة هو لجم جنون « مجتمع الذكور » والتروي قبل الانزلاق نهائيا الى بئر الحرب الاهلية التي سبتلع الجميع ! .
لست ضد ان يقاتل الانسان من أجل بقائه وحرّيته وكرامته ، لكن الحرب الاهلية هي ابغض الحلال الى قلوب الادباء ، وقبل الاستسلام لبشاعتها من المفروض محاولة حل مشاكلنا بصبر وروية واللجوء الى الوسائل السلمية كلها وامكانيات اللاعنّف كلها . . .

والمرعب ايض في الحرب الاهلية هو انها تستمر كي تبرر اندلاعها !! . . . بعبارة اخرى ، لنفترض ان عدد ضحايانا حتى الآن هو ٦٠٠٠ جثة فمتابعة الحياة كأن شيئاً لم يكن ليس بالأمر السهل . . واذ كيف يقنع « الزعماء » بعدها أزماتهم بالموت في المستقبل اذا كانوا لم يحققوا شيئاً من « المكاسب » ؟ . . .

وهكذا فالحرب الاهلية نار اسطورية متى اندلعت في شجرة بالغابة ألهبت من حولها مئات الاميال من الاغصان البشرية ، والمرأة مطالبة في هذه المرحلة بمحاولة شد الرجل من الخندق الى طاولة الحوار ومن جنون الغرائز الى الاعتدال والتعقل .
● ما كان دورك بالذات ؟

تسأليني عن دوري ؟ لم يتبدل الشيء الكثير بالنسبة لي شخصيا ، فأنا ما زلت على قيد الحياة وما زلت اكتب ما اؤمن به وما زالت اصبعي على زناد السلاح الوحيد الذي اتقن استعماله : القلم . . .

التشرد ليس كارثة بالنسبة لي فقد كنت دوما مشردة ، بل انني اخترت التشرد لانني اكره الاستقرار المزيف ، وما دام الوطن سائحا ، ومشردا على ابواب القيم والمفاهيم ، فكل بيوتنا تسكن في الزلزال . . . كنت فيما مضى أتأمل صور سيدات المجتمع واحاديثهن اليومية عن الفساتين والسهرات وادهش لسداجتهن وأتساءل : في حال حدوث حرب ، هل بينهن من تستطيع كسب عيشها اذا اضطرت للاعتماد على نفسها ؟ وهل بينهن من هي بمقاييس الحرب خير من وصيفتها ؟ . . كنت ادهش حين اقرأ اخبار هاوايات جمع الاواني الثمينة والتحف واتساءل : اين يعشن ؟ وفي اية ضبابه اوهام يقطن ؟ الا يرين انه لا سلام لمجتمع بلا عدالة ، ولا كماليات في مجتمع ما زال

اكثره يفتقر الى الضروريات؟ دوري لم يتبدل كثيرا . في روايتي بيروت ٧٥ التي صدرت في اوائل هذا العام التقطت «انتيناتي» كهارب الانفجار الآتي وكنت اسمع صوت الرعد واشم رائحة الاعصار ، وهكذا جاءت الرواية تهديدا بانفجار اجتماعي كبير تحقق للاسف . . . اما دوري الآن ؟ لا اکتکمک انني اشعر بمرارة لا حدود لها . . . انها المرارة التي تقارب الشعور بالذنب الذي يقاسي منه الادباء في كل عصر حين تنشب الحرب الاهلية . . . فالفنان هو غالبا مقاتل سيء ، وحين نشبت الحرب الاهلية الاسبانية انضم عدد من مثقفي ومثقفات فرنسا وكتابها الى المقاتلين فكانوا عبئا عليهم ، وتروى حكايات طريفة عن اديبة منهم لم تصلح حتى للطبخ للمقاتلين . وأصر بعضهم على اعادتها لبلادها للتخلص من «مسؤوليتها» . . . وبعض الفنانين قاتلوا وقتلوا ، كبايرون ، الذي قتل على تراب اليونان ، وكان شاعرا عظيما وجنديا فاشلا . . . اما همغواي ومالرو فلم يستفد المقاتلون من وجودهم بقدر ما استفاد اديهما من ذلك التواجد في ساحة القتال . . .

اذن ، المهم ان لا ينفصل الفنان عن الشعب وعن مأساته . وفي الوقت ذاته ان لا يدفعه الشعور بالذنب الى حمل سلاح لا يتقن استعماله . المهم ان يشارك في يؤس الآخرين بالاضافة الى يؤسه الشخصي ككاتب ، صوت قلمه - مهما علا - يظل خافتا حين يعلو صوت الصواريخ والقذائف .

تنتابني لحظات من المرارة اشعر خلالها بأن من الافضل لي حمل السلاح والقتال من اجل ما اؤمن به بدلا من الكتابة ، ثم اعود واقرر : قلم جيد خير من رصاصة طائشة . . . ولا ادري اذا كان ذلك من نوع المنطق التبريري الذي اغطي به نفوري الفطري من العنف والدم ام لا ؟! . . .

● كيف مرت عليك الاحداث ؟

- كالناس جميعا . تعمدت بالخوف والجوع وصوت الرصاص . وصلبت على قرميد بيروت في ليالي النار كاللحم البشري المقدد . وتحول بيتي الى سجن يتوسط ساحة الحرب وحاول كثيرون انقاذي من بحيرة النار حيث تصادف انني اسكن ونجوت من الموت الجسدي . . . اما الموت النفسي فكلنا نعيشه مرات عديدة في اليوم .

مي منسى تستجوب

● العلاقات الانسانية كهارب كونية

● انت امرأتان في واحدة . امرأة ولعة غارقة في اللامألوف ، وأخرى من معيوشنا اليومي تبالغ في اهميتها . فأيهما أنت ؟

● ما دام الانسان يأكل الخبز لا الكلمات ، ويسكن بيتاً من الحجر لا بيتاً من الشعر ، اذن فلا بد لنا من غمس أصابعنا في وعاء الحياة اليومية لا في محبرة فقط . لا بد لنا أحياناً من تقليد أظافر جنوننا وقص شعر الجنية التي تسكننا وربط كمامة على فمها ، بحيث لا نخنقها . ولا نتركها تجرنا معها الى اللاعودة .

وهكذا بين الشعر والشعر تتوزع أيامنا ، بين الركض خلف « العلف » والوقوف على الاطلاع .

وأنا أعرف جيداً تلك الشرسة اللامبالية التي تسكنني ولأنني أعرف مدى جنونها وشهواتها التدميرية - حتى لذاتها - ابذل جهداً لأكبحها خوفاً عليها من نفسها . أحاول ان احفر المجرى لشلالات جنونها وسيولها ، وأحاول احتواء هذا التفجير الأرعن في شكل فني يغتني به . ؟

أنا كما تقولين أبالغ في واقعي . هذا صحيح والسبب ببساطة هو خوفي الحقيقي من عالمي المسحور اللاواقعي حيث يتخذ العالم شكلاً آخر تماماً .

ان عالمي اللامألوف يسرقني بطريقة طريفة أحياناً ، فأشعر بدفء دنيائي الداخلية والدنيا (من الخارج) شتاء ، وأحياناً يحدث العكس . فالدنيا الخارجية صيف وفي اعماقي العاصفة تضرب والثلج يتراكم على اهداي وداخل حلقي والرعد يزلزلي فأشعر بالبرد . وهكذا ارتدي أحياناً ثيابي انطلاقةً من مناخي الداخلي وحين اخرج الى الشارع والناس يصير الامر مريكاً . لذا فأنا لا أغادر بيتي او ارتدي ثيابي الا بعد ان اضع ميزان الحرارة على الشرفة كي اعرف درجة حرارة دنيا الناس ، درجة حرارة الزمن

الموضوعي لا زمني الداخلي وبعدها ارتدي ثيابي وأخرج . واحيانا تمر بي ايام استيقظ فلا اجدني ، أحاول ان أُللم ذاتي . ها هي اعضائي مرمية على الارض قرب سريري بعضها ما زال منسياً داخل ثياب البارحة .

أُللم جسدي الممزق قطعة بعد أخرى وأتذكر بصعوبة موضع الانف والأذنين ، وأجهد كي اعيد كل عضو الى موضعه وأخشى الصاق عيني في موضع فمي مثلاً وأقاسي كمن يركب تلك اللعبة الصورة من قطع مختلفة Puzzle جهنمية وبعد أن أُللم اعضائي المتناثرة واستعيد من الخارج هيئتي الخارجية الآدمية تأتي المهمة الأكثر صعوبة : محاولة للممة اعضائي النفسية التي تم تمزيقها فوق جبل ما او في مقهى ما . أحاول استعادة شبكتي العصبية فأجدها غالباً مثل كرة خيطان عثت بها الققط واشتبكت وصار التقاط اول الخيط شبه مستحيل .

مع امرأة كهذه هل املك الا ان اكون حاسمة مثل سجان وواقعية مثل مرآة وصامتة مثل سلحفاة ودقيقة كآلة حاسبة ؟ مع امرأة كهذه ماذا غير ارادة التوازن .

● اذا قدر لك ان تكتبي أشياء من معاناتك الحالية فأني نوع من الروايات تكتبين ؟

- روايات بوليسية . عايشت الحرب هنا ولم اغادر بيروت الا في فترات السلم .

كتبت روايتي « كوابيس بيروت » في الحرب ويخيل الي الآن ان كتابة المزيد من الكوابيس فكرة معقولة . صحيح ان القصف المدفعي توقف ولكن ماذا عن القصف النفسي اليومي ؟ ما زالت شمس الخوف السوداء تشرق على ارواحنا كل صباح وما زلنا نستमित لاختراع التفاؤل . وكلما اخترعناه وألبسناه ثياباً واخرجناه معنا الى شوارع السطور ليراه الناس يقتله قناص .

هذا في وجه عام . لكنني لا أستطيع ابداً ان اقرر سلفاً ما سأكتبه ولو بعد دقيقة . (حتى كلمة دقيقة هذه لا اعرف في هذه اللحظة ما سأكتبه بعدها) فما اكتبه يولد فقط لحظة كتابته ويأتيني دوماً بطريقة لم اكن اتوقعها . (هذا طبعاً لا ينفي دور مرحلة التخزين اللاواعية) .

● هل مجموعة « الأعمال غير الكاملة » التي صدرت تقول ما عشته او احلاماً وكوابيس من نسج المخيلة ؟

- تقع « الاعمال غير الكاملة » في احد عشر جزءاً ، انجزتها بأكملها وصدر الجزء العاشر منها اليوم وهو « كتابات غير ملتزمة » ويصدر الجزء الاخير « الحب من الوريد الى

الوريد » بعد شهر . وكل جزء من كتب السلسلة يختلف تماماً عن الآخر ، وتالياً تختلف نسب الحقيقة الواقعية او المتخيلة وفقاً لنوعية الكتاب . الجزء الثاني مثلاً « الجسد حقيقية سفر » يحكي التشرد والترحال ففيه الكثير من ماض عشته اكثر مما في « زمن الحب الآخر » الجزء الاول وهو مجموعة قصصية . ففي القصة يتضاءل حجم الواقع المعيش ويكبر دور الصنعة الفنية والخيال ، فالادب الروائي يبدأ حيث تنتهي السيرة الذاتية دون ان يخلو من بذورها وشحناتها طبعاً .

ولكن في سؤالك هذا ناحية اخرى ، فأنا يا عزيزتي لا أميز كثيراً بين ماض عشته وأحلامي وكوابيسي . اعيش كوابيسي وأحلامي بالكثافة نفسها التي اعيش بها ما يسميه الناس (الواقع) . عندي الحلم واقع والكابوس واقع ولا اكاد اميز بينها احياناً .

بل ان الخيط الدقيق الشفاف بين الحلم والواقع مهزوز عندي ومحمو في بعض مواضعه . يحدث احياناً أن اعيش حلماً تؤذيني فيه احدى صديقاتي مثلاً . وحين التقيها في اليوم الثاني أتجنبها وقد اهجرها كما لو كان ذلك حدث فعلاً . والاخرى ان ذلك في نظري ودخل مشاعري حدث فعلاً . أحلامي تلعب دوراً قد يبدو طريفاً من الخارج ولكنه مؤلم حقاً . أمامه أشعر بأن اللغة ليست كل شيء . العلاقات ليست مجموعة من اللفاظ . العلاقات الانسانية كهارب كونية ولدي رادار كثير الالتقاط . واثبت في استمرار كهاربي بصمت صاحب ويفجعني احياناً ان اكتشف اختلاف موجة بثي عن موجة التقاط شخص كنت اتوهمه قريباً مني . وحياناً يحدث العكس . وترجم صمتي الصاحب شخص لم اكن ألحظ كم هو صنور وحي .

● كيف لكاتبه مرهفة وصريحة ان تكتب آخر حدود الحب اذا لم تعشه او تساكته ؟ - للوهلة الاولى يبدو الجواب بسيطاً ومباشراً : غير ممكن . ولكننا نقع في خطأ فادح اذا توقفنا عند هذه المرحلة من الاجابة . ونلغي نصف روائع الادب العالمي ، بعبارة اخرى ، هذا السؤال يجربنا بنعومة الى القضية الشائكة الكبيرة : هل يستطيع الفنان ان يكتب عن تجربة لم يعشها حتى الثمالة ؟ الجواب نعم ولا .

فلو بير مثلاً ليس مدام بوفاري ولكنه ايضاً بمعنى ما مدام بوفاري . حينها يكتب الفنان عن الحب ، لا يكتب حبه فقط وانما يكتب حب العالم . وحينها يكتب عن الحزن فانه لا يكتب حزنه فقط بل حزن العالم . ما موضع حبه من ذلك ؟ موضع كبير في حجم القلب . وصغير في حجم الجبل . وهكذا فأنا اسكن حباً ما دون ان يحرك في حروفي نبضاً ما ، وقد افتقد حباً يشعل ابجديتي ويحوها جراً ويحولني رماداً . فالعملية الفنية

شديدة التعقيد ولا احد يعرف بالضبط كيف تتحول مجموعة الخبرات والمعارف والمشاعر والمواقف هذه بعد ان تنصهر في بوتقة الموهبة . لكنها دوماً قادرة على ادهاشنا ، بعبارة اخرى اذا ساكنت حبي وعشته فليس بالضرورة ان اكتب اقصى حدود الحب كما ليس بالضرورة ان اكتب شيئاً في ما بعد دون ان اعني بالضبط نبعه . اي حب . اي زمن . اي قتل متبادل تحت شعار الحب . في زمن الكتابة تختلط الوجوه وتمتزج الاصوات وتتقطر الحكايا وتكون الاشياء هي ذاتها لكنها ايضاً ليست ذاتها .

● ما قيمة الحب في حياتك كواقع بعدما اخترناه في رواياتك ؟

- الحب بطاريتي . بدون الحب أنا جثة متحركة في جنازتها السرية ، تسامر المشيعين الذين لا يلحظون ذلك الموت اليومي . وبدون وعي غياب الحب انا ايضاً جثة غياب الحب ليس الا كارثة مع وقف التنفيذ ، لكن الكارثة الحقيقية هي الدخول في مرحلة الفتور . مرحلة اللامبالاة المترهلة .

● هل وجود الرجل في اطارك العاطفي والجنسي له علاقة بعطائك الادبي ؟

- ان مرور غلة على الورقة التي اكتب فوقها له علاقة بعطائي الادبي فما بالك بمرور انسان او غيابه ؟

ولكن دور الرجل في عطائي الادبي يتوقف عند احترام عملي الادبي . انني لا اسمح لاية عاطفة صادقة او نزوة جسدية بالتدخل في توقيت عملي او عرقلته او محاولة تدميره . تلك حدود الرجل في حياتي اذا تجاوزها بخطوة ، كانت تلك الخطوة عتبة لخروجه من جنوني . تخلّيت اكثر من مرة عن اصدقاء احبوني اكثر مما أحبوا عملي بل كرهوا عملي . اولئك لم يحبوني حقاً وانما احبوني بالتقسيط التجاري البشع وارادوا امتلاكي على طريقة الشقق المفروزة . وأنا وحدة متكاملة . جزيرة ليست للبيع . الكتابة جزء مني ومن يحبني - باستثناءها - فهو ببساطة يجب امرأة اخرى ، ليست واحدة من جميع النساء اللواتي هن انا .

● أنت انसानة نهمة . فالى اي من اشياء الحياة يكبر نهماك . وهل في الزهد غنى ؟

- انا نهمة لكنني اختار موضوعات نهمي جيداً . هنالك نهم لا يستطيع ترويضه ابدا ، نهمي امام الكتب الجميلة والبحر والغابات ومناخات التواصل الانساني الدافئة الزاخرة بفرح حنون (نهمي الى البحر مثلاً يجعل من السباحة فعل زنى مع الامواج) . هنالك ايضاً نهمي امام لعبة الرحيل . انا في زيارة قصيرة على هذا الكوكب . جئت من كوكب أجهله وبعد أن أموت سأذهب إلى كوكب آخر مجهول . كوكبنا هو

الحقيقة الوحيدة المتروكة لي والمتبقية في هذا الكون الشاسع . ويوم اموت لن يكون في وسعي مغادرة متر مربع هي مساحة القبر . لذا اشعر بشهوة حقيقية نحو جسد الأرض في احلى صورة : كدنيا من الاكتشافات لا كمجرد مقبرة مؤجلة .

انني ارحل بنهم من مكان الى آخر . اعرف ان الحياة قصيرة لذا احاول التعويض عن قصرها باكتشاف عمقها وبالسفر الى البعد الثالث الداخلي لها . والسفر محرض هائل في هذا المجال . انا سائحة مثالية لانني ارى في السياحة استيطاناً واعياً لكوكب الارض ووسيلة لمد جذوري في عالم حبها وعشقها وطموحا او بعض طموح ليعم هذا الكوكب المعذب شعور ما بأننا سكان بيت واحد ، والزلازل قادم . فلنستمع بالغروب الاخير ولنكف عن الشجار .

تسأليني هل في الزهد غنى ؟ لا يوجد شيء اسمه الزهد . هنالك العجز عن امتلاك ما نحب واخفاء ذلك خلف قناع اخترعوا له اسماً محترماً هو الزهد . وهو في جوهره استسلام العجز المترفع عن الاقرار بواقعه . اولئك النساك الذين زهدوا في الدنيا ليسوا في جوهرهم في حالة زهد . وانهم ببساطة في حالة غنى خاص في مفهومهم . وهكذا فالانسان لا يستطيع ان يكون زاهداً ما دام على قيد الحياة وعلى قيد الحب . حتى لو كان ذلك الحب عشقاً الهياً وايها اكثر طموحاً : محاولة الوصول الى امرأة ام محاولة الوصول الى الرب ؟

يخيل الي ان الزهد الحقيقي هو في قبول عطايا الحواس المألوفة ، وعدم الزهد هو في محاولة اكتشاف حواس مجهولة او منسية في اعماقنا ومحاولة تطويرها . بهذا المعنى لست زاهدة .

● هل من نكهة في الحياة لم تتوصلي إليها بعد ؟

- ارجو ذلك ، بل اجزم . هذه الحماسة التي تتفجر من اعماقي لا بد ان مجهولا ما يثيرها . لغة ما غير مألوفة تخاطبها . ان اعظم نكهة هي اكتشاف الحقيقة ، حقيقة ما . وأنا الضالة في متاهات الخيرة احلم بيوم تتحول فيه عيناى من شارقي استفهام الى شارقي تعجب بعد اكتشاف المزيد من هذا الكون الرائع المذهل الاسرار .

● هل تأسيسك لدار نشر « منشورات غادة السمان » هو فعل تمرد على دار الطليعة ؟

- بل هو فعل محبة نحو زوجي بشير الداعوق . فأنا متزوجة منه لا من دار الطليعة . ثم ان كوني متزوجة لا يعني ان اكون عاطلة عن الطموح . هل سمعت من قبل برجل ترك عمله لانه متزوج كما تفعل بعض النساء او يرغمن على ذلك ؟ فلماذا اتحلى عن

طموحي في النمو مع الايام وتأسيس مشاريعي الخاصة (التي قد تكون فاشلة) كأي مخلوق من المخلوقات على هذا الكوكب . حينما يعمل الرجل المتزوج يقولون « عفاك » حينما تعمل المرأة مثله يقولون « لماذا » . وانا بدوري اسألهم لماذا ؟ .

● زواجك لماذا لا تذكرينه في احاديثك الصحفية ابداً ؟

- لا احب ذلك . اذ لا نقرأ حواراً مع « نجم » ما يمتدح فيه شريك حياته الا ونقرأ في الاسبوع المقبل خبر طلاقهما .

ابتسام عبد الله تستجوب

● الكوارث التي لا تقتلني اوظفها
لصالح كتابتي فهي تزودني بخبرة
نادرة في الطبيعة البشرية .

ما تزال غادة السمان محور اهتمام النقاد والقراء على السواء . ذلك لأنها ما تزال تكتب وتنفس من خلال كتاباتها . التحقيق الصحفي ، القصة القصيرة والرواية مع احتفاظها بشخصيتها - غير المهادنة أم - كما تعبر هي عن ذلك ، بالسباحة ضد التيار ؟ والسباحة ضد التيار عندها لا تعني ضد اي تيار ! ولكن ضد تلك التيارات التي تستوجب السباحة ضدها . . . وما اكثرها . المهم عندها هو « فك حصار التيارات التي تجرفنا منذ طفولتنا والمخططة سلفا لتصب بنا في المستنقعات » .

واستطاعت ، غادة السمان ، فك حصارات كثيرة ، وان تزرع في ضوء الشمس ما ينبت في مغاور الذات السرية . . وكانت النتيجة رائعة : لقد حفرت اسما ، بخطوط بارزة ، في عالم الادب .

عندما التقيتها أخيرا في إحدى محطات رحلاتها ، قالت لي أنها قد استقرت أخيرا ،

تساءلت بدهشة ، « واين ؟ » .

اجابت : « في بيروت !! الا تصدقين ذلك ؟ نعم انني (مستقرة) في بيروت ، المدينة التي تقضي وقتها في الرحيل على بوابات الانفجار ، والتشرد داخل ماسورة مدفع بين متراس وآخر » .

● بيروت المدفع والمتراس ، بيروت بقوة أحداثها ، هل اكتفيت منها يا ترى برائعتك « كوايس » أم إننا ما زلنا في انتظار ولادة جديدة ؟ !

- لم اكتف منها ، ولم تكف مني . هي تطالبني بروحي ، وانا احاول اعتقال روحها في كتاب والتقاط نبض أحداثها ومدلول مذابحها والخيط الرئيس الذي يربط النزف هناك

بالتزف في اكثر من جرح عربي .

● الحرب اللبنانية التي عشتها ، وما تزالين ، كشفت لنا عن اعماق اخرى في

ذاتك . . . عن عوالم لم تكن قد اكتشفت بعد فما الذي اضافته اليك كانسانة ؟

- احديثك عن جانب في نفسي اعرفه . . . وضمن هذا الاطار أقول : أنا امرأة عربية تعشق عملها وتحترم مهنتها . وككل امرأة عربية حصتني الحياة بخبرات الجذات في مواجهة قسوة الحياة وغدر الزمان . ففي دمي خبرات اعرابية وصمودها امام الموت والغزو والرحيل وطاقاتها على الصبر . في اعماقي انتساء حقيقي الى بني قومي ، والاحداث الجماعية هي مناخي الداخلي وايقاعي النفسي ، وتكاد تمثل في حياتي ما تمثله الاحداث الشخصية . كل يوم يزيدني وعيا بمدى تداخل جذوري في تربة الوطن .

والحرب اللبنانية التي عشتها وأعيشها ، والمواجهة اليومية للعدو الصهيوني في الخارج والداخل ، كشفت لي عن امرأة في اعماقي لم اكن قد التقيتها بعد بهذا الوضوح : جادة مع الوطن حتى الموت . اني صامدة في بيروت . واذا غادرتها فلالتقاط انفاسي بين وقت وآخر . فالحرب في بيروت مركبة ، وانت لا تقاوتين العدو فقط ، بل تقاوتين اعداء يرتدون احيانا وجوه الاصدقاء والاحباب .

انها حرب اكتشاف الحقيقة ، وليست حربا قتالية فحسب . انها حرب كرنفالية لا حرب واضحة المعالم .

وهذا هو الجانب العملي من عادة يتابع ، « باقية في بيروت حتى اشعار آخر

فالإنسان حالة حية ، متحركة مسكونة ببذور المفاجآت وليست تمثالا صخري الجمود» .

● كان للزمن تأثيره الكبير على عادة السمان الكاتبة ، فضجت شخصيتك عبر السنين ، تألقت افكارك ، واضفت الى الرواية العربية الحديثة رصيда ثميناً ، كيف بدأت رحلتك مع الكتابة ؟ واين وجدت البداية الحقيقية ؟

- كما العرب جميعاً ، بدأت بالشعر او ما كنت اتوهمه شعراً . في اعماق كل عربي شاعر سري صغير ، نكافحه ، او نطلق له العنان . في اعماق كل عربي ذرة شعر تجسد في مرحلة المراهقة ذلك التوق الغامض الى تفجير الذات كحزمة ديناميت من اجل تبديل العالم دفعة واحدة . مع الزمن نكتشف ان تبديل العالم ليس مهمة فردية وان الحل الفردي لا يبذل حالنا حقاً . وهنا يتخلل بعضنا عن الشعر مع اكتشافه التدريجي لطاقاته لآخرى . . . ويتمسك بعضنا به كخشبة خلاص صغيرة قد يجولها الى مركب ابداع .

بعد الشعر كتبت القصة وعيني على الشعر . كتبت في الصحافة وقلبي على

الشعر . كتبت كثيرا في سن المراهقة ونشرت في مجلة المدرسة الثانوية .
بدائيتي الحقيقية كانت مع صدور كتابي الاول « عيناك قدري » . الكتاب الاول
فعل مواجهة ومسؤولية والتزام . فأنت تستطيعين كتابة ما شئت ما دمت لا تنشرين .
لحظة النشر حاسمة . ها انت تخرجين للجمهور قلبك كالتفاحة وتقصينه بالسكين
وتنتظرين بلهفة حكمهم على مذاق عالمك الداخلي . . . انها لحظات من الرهبة يداريها
الفنان بلا مبالاة مزيفة . لا يمكن للفنان ان يكون لامباليا حقا بجمهوره ، وإلا لما
خاطبه اصلا ! الفن فعل مجابهة وصمود ومسؤولية ، لا فعل صعلكة بوهيمية كما كان
شائعا . الصعلكة قناع يغطي به الفنان كبرياءه المتورمة . . . آه كم خفت يوم أصدرت
كتابي الاول ، وما زلت حتى اليوم ، وقد اصدرت عشرين كتابا ارتجف ذعرا مثل متسول
شتائي مسكين كلما طبعت عملا جديدا .

● عشرون كتابا وعشرون نجاحا ، كيف تبررين هذا النجاح ؟ او بالاحرى هذه
الاستمرارية الناجحة ؟

- هل قلت لك ان لدي طموح نسر وصبر غملة ؟ لطالما سقطت من فمي حبة من قمح
الابجدية . فعدت لالتقاطها . لطالما تعلمت كيف اتجاوز لحظات سقوطي واتعلم منها
دوغما مبالغه في تقريع الذات فالحياة كر وفر . التراجع هو احيانا مقدمة لقفزة اكبر .
الكوارث التي لا تقتلني اوظفها لصالح كتابتي وفني ، فهي تزودني بخبرة نادرة في الطبيعة
البشرية !! . . .

ثم ان العمل ليس في نظري ديكورا او ترفا . وانا بالتالي ، لا أخجل من فرض
أوقات عملي على ارتباطاتي كلها من عائلية واجتماعية . بعض مجتمعاتنا ما تزال تنظر الى
عمل المرأة نظرة دونية . أنا أجده المحور الاساسي لحياتي .

● متى تكتبين عادة ؟

- اكتب حينما ارغب في ذلك ، وعلى الاشياء الأخرى كلها ان تنتظر او تغضب وترحل .
اكتب في المحطات كلها ، واعرف ان القطارات لا تنتظر ، لكنني اتابع الكتابة ، لان
الكلمة التي لا نحسن استقبالها لا تعود . الكلمة لا تفرح باب القلب مرتين .

● هناك كاتبات سواك . . اجدني أسألك رأيك في بعضهن . . . مثلا : اميلي نصرالله
ديزي الامير ، نوال السعداوي ؟

- هل تسمحين لي بتسجيل اعتراض على صيغة هذا السؤال الشائع ؟ لماذا هذا الحشد
من النساء الكاتبات من دون الرجال ؟

● لاني بالذات اود ان أطرح عليك هذا السؤال الشائع لأعرف رد فعلك . لأعرف جوابك ! .

- كنت اود أن تكون صيغة السؤال مثلاً عن رأيي في نجيب محفوظ ونوال السعداوي ، الطيب صالح وديزي الامير مثلاً . لماذا هذا الاصرار على ممارسة النظرية النقدية التي أسقطتها المرحلة والتي اسميت في الستينات بـ (الادب النسائي) ؟ لماذا هذا (الحرملك) الادبي ؟ لماذا نسمح للشوفينية الذكورية لبعض النقاد بالامتداد الى اسلوبنا في طرح الاسئلة الصحفية ؟ هل الادب الذي تكتبه المرأة العربية متخلف عن الادب الذي يكتبه الرجل العربي بوجه عام ؟ لا . . والدليل معظم كتاب الأدب الرديء هم من الذكور فلماذا نعزل الكاتبات في مصحح ادبي (كارائينا فكرية) ، ونتحدث عنهن في معرض التقييم بمعزل عن الرفاق الادباء ؟ وهل نحن في مباراة في المصارعة لوزن الريشة فكرياً ؟

● بأسلوبك الممتع تجاوزت السؤال حسنا اي هاجس تعيشين هذه الأيام ؟
- الرواية العربية . بدأت ألحظ ان القصة العربية تخلو من القصة بوجه عام . في ما القصص العربية الجديدة نجد كل شيء إلا القصة . نجد الشعر . السياسة . التحليل النفسي . الجغرافيا . التاريخ . لكننا قلما نجد القصة . قصة نستطيع ان نرويها بالمعنى البسيط للعبارة . . هذا امر خطر على الرواية العربية ، في نظري . انا مع التطور ، والابداع والتجديد ، لكنني أفضل الا تخلو القصة من القصة . انظري مسرحيات شكسبير الخالدة فيها سياسة . فيها تاريخ . فيها شعر . . وفيها ايضا قصة تستطيعين ان ترويها حتى لطفل . الابداع هو السهل الممتنع ، وهو يخاطب الناس على اختلاف مستوياتهم وأهواهم ومشاربهم .

● أما زلت تحبين الرحلات ؟ ...

- أجل ، انها هوايتي . الكتابة والرحلات نحو الطبيعة من بشرية ونباتية وبحرية .

● اكثيرة هي هواياتك ؟ ..

- كثيرة ، لا يتسع عمر واحد لممارستها: أهوى السباحة والغطس والمشي والطيران ، الطيران الشراعي بالذات . أهوى المطالعة والموسيقى . ولكن هذا الزمن الخطر لا يترك لنا فسحة من الوقت او السلام النفسي لنمارس هواياتنا ، اننا لا نستطيع الذهاب الى صيد الفراشات وفخاخ العدو تملأ حقولنا . أصبحت هوايتنا الاولى . الحياة بكرامة ، وهم بالتالي يرغموننا على ان نصير الحرب هوايتنا وقدردنا .

زينب حمود تستجوب

●التفاؤل صناعة جماعية وليس موقفاً
فردياً

غادة المسافرة ابدا عبر قوافل التجديد ، عادت مؤخرا واعطت لحقائبها المتربصة ابدا اجازة مفتوحة لترتاح من عناء التشرد والهروب عبر أصقاع جنيف ، وجنون لندن ، واغتراب العالم .

عادت وفي قلبها غصة مكتومة ، وفي عينيها دمة سعيدة ، لانها اعتقدت ان الوطن قد عاد الى رشده وأذن لنفسه بالهدوء ، لكن الاعتقادات والتعاويذ خانتها ، ووجدت ان كل رقعة تخطط في هذا البلد تتمزق اخرى مقابلها ، ولا ندري كيف سيصير الترقيع مع الايام ، واية بقعة سيصعب رتقها .

غادة الغجرية المختفية وراء السر ، والتي تشعر دائما بأن هناك عملا لها لم يتم يناديا ، الكتابة عندها لا تحمل الكذب - والكذب في الكتابة يحفر لنا القبر - أليست هي القائلة : سأتابع صرختي من أجل المساواة والعدالة والفرح .

وها هي تتابع بالسر صرختها ، ولم تقل لنا ما عندها ربما ستدع المفاجأة تعصف عما قريب وتأتينا بصرعة جديدة لعشقها ، ونقرأها ونتلذذ بمضمونها .

غادة السمان ليلية الشعر ، لم تكن ابدا هي تعري الاشياء كي تظهر واضحة كالشمس انيسة كالقمر . . مجنونة كالحياة .

وربما غادة السمان عندما عادت اخيرا الى بيروت كانت تعتقد ان منزلها ، وكالعادة ، قد أتت على محتوياته النيران فقالت : « بوركت شفاه النيران التي احرقته بيتي . . لن يخيفني حريق بيت فالبيوت حجارة ، والكرة الارضية مسكن مؤقت . . نحن ضيوفه اينما حللنا وبيتي الوحيد الحقيقي الذي أسكنه باستمرار : هو جسدي . . . وما ازال أقطنه . .

بوركت شفاه النيران التي أحرقت بيتي اذا كانت ستظهر هذا الوطن الحزين من أوجاعه . . . » .

ونسأل ساكنة جسدها ، السابحة في « بحيرة الشيطان » ، والمواطنة المتلبسة دائماً بالقراءة ، نحاورها بعدما عادت :

● عدت أخيراً . اين كنت ؟ واين رويت ظمأ اوراقك المسافرة ؟
- اين كنت ؟ ما الفرق . . . كنت اتعذب في مكان ما ، تصادف أنه سويسراجنة الارض ، لكن الوطن كان في اعماقنا ، حملناه معنا وتحركنا داخله وتفاعلنا باحداثه في كل لحظة .

ففي تموز ١٩٨١ اضطر زوجي الى مغادرة لبنان بسبب ظروف العمل الصعبة .
وفي آذار ١٩٨٢ لحقت به وطفلي الى جنيف حين اضحى مجرد المشي في الشارع مغامرة تحف بها السيارات المتفجرة من كل جانب .

في جنيف وجدت عملا ، والصبي وجد مدرسة . لكننا ظللنا نعيش في مدار جاذبية الوطن . وزوجي ابن (رأس بيروت) العريق مزقه الشوق الى بلده . . .
وقررنا : الموت داخل الوطن قتلا خير من الموت في الغربة قهرا . . . و« ضرورات العمل » تأتي في المقام الثاني . بعد « ضرورات القلب » .

هذه المرة لم أرو ظمأ اوراقي المسافرة ، وانما عدت بها ، وقد ازدادت عطشا الى النبع الاصيل الذي لا يتدفق الا من ارض الوطن .

عدت بها مقددة كشفاه احرققتها الايام المألحة ونبتت عليها شارات الاستفهام كالشوك وأدامها الشوق المذعور ، والعطش الى الطمأنينة واليقين .

● لبنان الوطن عندما كان ينزف ، وعندما كان يحترق (قصفا ، وقتلا وتدميراً) ماذا كنت تفعلين . وماذا قلت في ذلك ؟

- مشيت تحت مطر النار والذعر ، واحرق وجهي وهج القنابل ، فقد كنت في زيارة الى بيتي في بيروت حين انفجرت الاحداث كمعظم الناس هنا ، لدي حكاية متواضعة عن نجاتي من الموت بأعجوبة ، لن ارويها لانها تشبه التجربة التي يحملها كل مواطن في قلبه .

حقائب محشوة بالتشرد والخوف والقهر ورائحة البارود . . . والعودة الى المنفى ،
الامن .

تسأليني ماذا قلت في ذلك ؟ كتبت الكثير وقلت الكثير ، لكن مجنوناً نطقن

اعماقي كان يد لي لسانه كلما جلست لاكتب ويضحك ساخرا ويسألني :
ما جدوى الكتابة ؟ ..

وكنت احيانا امتلىء بصوته واسمعه قادماً من حنجرتي : أجل ! ما جدوى
الكتابة أمام طوفان النار ، ولغة العنف ولعبة الامم ؟ وحيانا اكم فم ذلك المجنون
الثرثار واقول له حسنا . . . لا جدوى من الكتابة ، ولكن ، في المقابل ، لا جدوى من
الكف عن الكتابة ايضا .

● الزمن العربي اصابه الانهيار والتصدع ، والتراجع والعدو يربض فوق الاراضي
والصدور ، والناس في حالة من الذهول ، والكاتب يترقب .

ما هو الدور الذي يجب ان يقوم به المثقف اللبناني والعربي في هذه الحقبة ؟
- الصمت .

الصمت العميق ، لا الصمت الاخرس الغبي ، الصمت المرهف الواعي الذي
تتم خلاله عملية مراجعة ذاتية ، واعادة نظر في المفاهيم كلها على ضوء الاحداث
والواقع ووهج الحقائق المستجدة .

الصمت المخلص للذات وللابجدية وللحقيقة والتاريخ : الصمت النقي الذي
تتبعه مرحلة جديدة من الكلام المسؤول عن سقطات الماضي وتطلعات المستقبل . . .
الصمت الجميل الايجابي الديناميكي ، لا الصمت الهروبي ، المشلول .

صمت واعادة بناء الذات من الداخل بعد محاكمتها ذاتيا ، فالحروف المكابرة لا
تمنح أدبا .

● خليل حاوي الشاعر الكبير . . . انتحر . هل على الشاعر ، او الكاتب ، او
الفيلسوف ان ينتحر ؟ أم يؤرخ ، للمرحلة الصعبة ويحمل السلاح ويقف مع
المتحاربين ؟

- لست كاهنا لأدين انتحار خليل حاوي . ولست (قبضايا) لأفرض على الادباء
استبدال القلم بالرصاصة ، ولست منظرية سياسية متعصبة لأفرض على الاديب تأريخ
المرحلة من وجهة نظري فقط طبعا ! . . . أنا فنانة ادين بولائي للحقيقة وحدها ،
وبالتالي انا ادي بالحرية . . . حرية الفنان في ان يعبر عن ذاته كما يشاء هو بملء ارادته :
ينتحر ، او يكتب ، او يقاتل ، او يعتزل الكتابة وينصرف الى تربية الابقار . . .
فالكلمة التي تولد بعملية قيصرية لا تعيش .

● عندما عدت وشاهدت الدمار ، هل بكيت ؟
- لم يهطل ذلك السائل المالح على وجهي من ثقبين في الجبين . . ولكن هل هذا وحده هو البكاء ؟ . .

● اتظنين ان لبنان الحلم عاد من جديد ؟ هل انت متفائلة ؟
- انا لا ابكي « لبنان الحلم » ، لكنني اطمح الى « لبنان الحقيقة » .
تسأليني هل أنا متفائلة ؟ . . . التفاؤل والتشاؤم لا يأتيان من الخارج وحده ، وما يصيبنا هو من بعض صنع ايدينا ، بهذا المعنى يبدو لي التفاؤل (صناعة محلية) بالدرجة الأولى . . . وهو أيضاً (صناعة جماعية) لا فردية . . . اتمنى باخلاص ان نتجه جميعا صوب البناء والايجابية . اي صوب التفاؤل . . . ونكف عن الاقتتال فيما بيننا .

● وماذا في جمعيتك ايتها العزيزة ؟
- لا شيء غير العمل والترميم ، كأهل هذا الوطن جميعا ، كل في حقله ، بدأنا ترميم بعض زجاج القلب العسير ، ننتشل الكتب من تحت الانقاض كجثث الاطفال .
ونقف على الاطلال لنعمر جدارا . لا لنشد شعرا ، ثم نتركها ونمضي !
ان حيوية الناس وقدرتهم على الاستمرار هنا تنبع من اعماق الجميع . . كأننا نحصي مواليدنا اكثر مما نحصي قتلانا . . .
وهذا ما افعله مع الكتب على الاقل . . .
انجزت في الاسابيع الماضية طبعات جديدة لستة كتب نفذت من اعمال وعياني على الكتاب الآتي .

محمد أبي سمرا يستجوب

● عرفني أبي على الماء والنار
العنصرين اللذين صنعت منها مادة
حياتنا بأكملها .

● ماذا يمكن لغادة السمان ان تكتب - الآن - عن مدينة دمشق ، بحس ورؤية غادة
الطفلة والصبية والفتاة التي كانت تذهب الى المدرسة . . والجامعة ، وعاشت فترات
وجوانب من حياة المدينة ، وذلك قبل ان تصبح كاتبة أو أدبية ؟ حياة المنزل العائلي .
العلاقة الاولى بأمكنة المدينة . لحظات عابرة او منسية غشيها النسيان .
- قبل ان ابلغ العاشرة من عمري . كانت دمشق تبدو لي مدينة هادئة ومنظمة ورتيبة الى
حد يدفع بالمرء للنوم اثناء سيره ! وكان ذلك ما يحدث لي على الاقل .
في الدرب الطويلة المنحدرة من «محطة الحجاز» باتجاه الصالحية ، كنت اغفو وانا
اسير ممسكة بيد ابي ، بعد يوم حافل اقضيه وبنات عمي في بيت جدهن لامهن المرحوم
الدكتور احمد راتب الصبان (والد الدكتور رفيق الصبان) ، نحاول خلاله إدخال
الزلازل الى المنزل العريق الشاسع بتحطيم ما امكن من الصيني والرياش ، وإعادة ترتيب
(ما نقوى على حمله) من المفروشات . وتبديل مواضع الاشياء التي ظللت اراها على
حالتها منذ ولادتي .

وبعد نهار طويل من الفظاعات الطفولية ، ينقذ والدي الاسرة مني ، ويخرج بي
الى الشارع البارد في الدرب الى بيتنا . المراثيات ذاتها . الايقاع هادىء ورمادي الظلال
وشبه رتيب ، وثمة تشابه بين وجوه الناس وجدران الابنية الحجرية الشامية العتيقة كأنها
صنعت من مادة واحدة كابية . . . الناس يبدوون لي وكأنهم يمشون نياماً فاغفو انا ايضا
ضجراً . . لا الوان غير الرمادي البني الصحراوي ، ولا اصوات غير ايقاع شخير خافت
تردده الاشجار الهزيلة الموسخة بالهباب . . . صياح بائع العرقسوس شبيه بصرخة
احتجاج كابوسية مكتومة والغروب يستولي على جثة الحزن الضجر المسترخي فوق
شوارع الرتابة . . فاسير في نومي مغمضة العينين وادهش لنكات الأسرة عني . . . الا

يفعلون جميعاً الشيء ذاته بمعنى ما ؟ . . . وكنت لا استيقظ الا عندما نبلغ الدكان الكبير لقربينا (عمو ابو معتز) الذي يبيع السكاكر والشوكولاته والحلوى وهو والد الشاعر نزار قباني .

إنه صورة عن الدمشقي العتيق الياسميني المناخ . اتذكره بقامته الشاهقة ووجهه الابيض المضيء وترحابه الدمث الشامي . وقطع النوجا والملبس التي يغمرني بها لمجرد انني طفلة واحيا وابتسم له .

ذلك الانطباع الطفولي عن دمشق واهلي واهلها لم يدم طويلا ، والمشي مغمضة العينين في شوارعها الهادئة من الطفولة الى الشيخوخة لم يكن قدرني .

كانت دمشق تحبني لي ولسواي زلازل كثيرة ، وثمة طرقات نائية تنتظرنني في مدن اخرى لاركض فيها فرحاً ، ذعراً . شهية لاكتشاف المزيد .

في العاشرة من عمري فقدت بركة النوم المتحرك ، ودخلت في الصحو الثلج الكاوي البرودة كالنار ، بعد اصطدامي الاول بالسلطة ! . اذكر صورة وجهي داخل برك الشوارع المتجلدة كصفحة مرآة موسخة ، وانا اقفز واكسرهما وارى وجهي يتمزق داخلها الى عشرات القطع . كنت عائدة من المدرسة الى البيت بعد يوم طويل اوقفونا فيه منذ الصباح امام ابواب احدى المؤسسات وفي الشارع لان حاكم بلدنا قادم للزيارة . . وبعد انتظار طويل ونحن نرتجف برداً في الثياب الكشفية ، وانقضاء وقت الغداء مر (الامبراطور) ولم يلتفت إلينا ولم يتسم ولم يسلم . . واحتواه الثلج كابن شرعي مؤهل للذوبان . حين يكون المرء صغيراً ، يكون حسه بالديمقراطية والعدالة كبيراً . لقد شعرت يومها بالذل كما لم احسه ، وبالفهر ، ولماذا استعملوني كتمثال ؟ ولماذا لم يصافحني ويسألني عن مصاعبي ودرس الحساب ؟ ولماذا تأخر ولم يحترم جوعنا ؟ ولماذا تم استخدامنا كديكورات حية ؟ كانت تلك اول مرة احقد فيها على السلطة ، ولن انسى مذاق النقمة المالحة في فمي وانا راجعة الى البيت مهزومة بعدما حلمت طوال الليلة السابقة بان الحاكم لا بد وان يكون شيئاً خارقاً . . وكان خارق الايذاء .

تلك الشهية الطفولية الى العدالة والديمقراطية لم تفارقني يوماً ، وظلت تلازمها نظرة الحذر الى الحاكم ، التي كانت تتحول الى كراهية متأججة في ظل المراحل التاريخية القمعية .

وقد وعيت فيما بعد الطوفانات المتعاقبة التي نحيها في سوريا . احاديث الكبار عن الانقلابات العسكرية المتوالية بدأت اعني مدلولها . تلك الصورة المضطربة لم تكن

تضايقي حقاً كما يحدث للكبار ، ولم تسبب لي غماً كبيراً مثلهم . لأنني لم اكن راضية عن العالم الذي فتحت عيني عليه منذ طفولتي . وكنت اتخفى ان يتبدل بصورة ما . كل ما حولي كان يبدو مزوراً ومعلباً ومفروضاً علي في طقوس مسرحية ممجوجة مضجرة وهزلية وكنت عاجزة عن الانسجام مع (واقع الحال) ، اجدني اقرب الى ذكور الاسرة من إناثها . . اقرب الى والدي من عمتي او جدتي . كان يرعيني المصير الذي تحيكة (نساء الاسرة) لي بكثير من الحب . محاولات تعليمي تحلية (الزيتون المكلس) وصنع (كرات اللبنة) و(رب البندورة) الذي يجب تحريكه في الأواني النحاسية على السطوح يومياً . وغلي الجينة وتمليحها ، وتحفيف (البامية) وادخال الابرة والخيط في كل واحدة منها لتصير عقداً يحفظ ، وبقية الاعمال المنزلية (الارهابية) الاخرى المشابهة .

... وكنت اهرب ، من ذلك كله إلى مكتبة لتأجير الكتب في حي (عرنوس) . واعرج في طريقي على (حديقة السبكي) امشي وافكر كأى رجل يحمل هموم الارض على كاهله .

وحين صار عمري ١٤ سنة ، كانت سيدات الاسرة قد اعتبرني سلفاً النموذج لـ (البنت البائرة) . فأنا نحيلة وحنطية وسوداء الشعر ، ومقاييس الجمال الشامي تتطلب بنتاً بيضاء وممتلئة وشقراء . ثم انني لا اعوض عن ذلك بمهارات منزلية . لا أمل لي مع (الخاطبات) . ووداعاً لمستقبلي . ولم يبق لي غير ذلك الحل البائس في نظرهن : ان اتعلم . وكان رائعاً ان يطلق سراحي (نسائياً) . فقد كنت احيا في كوكب آخر وتقلقي امور اخرى مختلفة . . . وداعاً لخياطة (البسماشكات) ولف (اليرق) و(حفر الكوسا) ومرحباً بطه حسين وجرجي زيدان وكيثس وشيللي وبايرون وشكسبير وروايات ارسين لويين وكل ما تطاله يدي من كتب متفاوتة المستوى بين الرداءة والجودة . . كتب الجيران . . كتب المدرسة . . . كتب بالايجار . . . وانفتحت لي دنيا كنت احس وجودها . . . ولكنها لم تكن كافية ! . . .

بالمقابل ، ثمة نقطة مضيئة اسجلها للأهل في سوريا بوجه عام . لديهم عادة تعريف الطفل ببلاده ، واعتقد ان ابي طاف بي في دمشق التاريخية منذ صغري ، ضمن إطار هذا التقليد المتوارث لتربية الاولاد ، بعد انقراض عادة إرسالهم الى البادية لتعلم الشعر والفروسية . . لقد عرفني على الطبيعة والوطن ، الماء والنار ، العنصرين اللذين صنعت منهما مادة حياتنا بأكملها تقريباً .

كأنني لم اغادر دمشق بعد . كأنني ما زلت اطوف حول السور القديم المحيط بها ولما

يتهدم بأكمله كأني هناك في سوق الحميدية في طريقي الى الجامع الاموي . كأني لم اغادر قاعاتها القديمة وآثارها التي تروي حكاية تاريخ قوم مع البقاء . وبصمات أصابع الغزاة على احجارها الصلدة . كأني ما زلت اتجول في سوق ساروجة والشاغور والميدان وقبر عاتكة والباب الصغير والمهاجرين والقصاع وباب توما . . كأني ادوس الآن اوراق الخريف المكومة على تراب الغوطة ، ورافق ابي في مسيرتنا الى الطبيعة والماء ، نتسلق قاسيون حتى (قبة السيار) ، ثم ننحدر في الدرب (القادومية) إلى دمر ثم لنعود سيراً بعد استراحة في بيت المرحوم فخري البارودي . . .

كأني ما زلت في دمشق المرمية على حدود الصحراء والخضرة المائية . . .
الماء مركز الجذب الاول لأهل الشام ، ورمز الخزوج من الخيمة الى القبة . .
نهر بردى سحر الطفولة ، كم انكسر قلبي حين اكتشفت انه ليس اكبر نهر في الدنيا . . وانه مجرد نهر آخر صغير شحيح . . . والبحر . . . الماء المطلق . . . يعشقه اهل الشام كصورة إلهية شاسعة عن حبهم المائي لنهر الروافد السبعة (بردى) المتواضع .

. . . وهكذا بلغت سن المراهقة وفي رأسي آلاف المشاعر المتناقضة المتشابكة الغامضة عن ذاتي ، ودمشق ، وموقعي من هذا الكوكب كله ، وفي قاع روحي حقيقة واحدة صلبة : انني فتاة عربية تنتمي الى واحدة من اعرق مدن التاريخ واقدمها ، والى اقوام منحت الانسانية والحضارة اشياء كثيرة ، وفي دمي خبرات اجدادي مع القهر ، وحصانتهم ضد قسوة الحياة والغزاة ، ونقاط ضعفهم ايضاً .
بعد حفلة التعارف ودمشق ، جاء دور سوريا بأكملها . . . الذاكرة الساحلية مدينة امي ، تدمر مدينة جدتي زنوبيا ، حوران والجنوب ارض البسطاء والفقراء البركانية ، كسب وصلفة والفرلق ، الحلم الاخضر في الشمال ، شاطئ البسيط الخرافي الجمال . الذي يذكر بك بجرح واقعي هو امتداده في اسكندرون . . . وغيرها من المناطق السورية التي لا تنسى (مدينة معلولا المحفورة بأكملها في قلب الصخر الجبلي) .

ادهشني فيما بعد ان عدداً كبيراً من الاطفال اللبنانيين قد زاروا متحف اللوفر ولم يزوروا المتحف الوطني ببيروت . وثمة من ساح في اوربا مع اهله ، ولم ير مناطق لبنان المختلفة ويتعرف عليها ، ولم تكن الحرب قد اندلعت بعد . هذا امر لا يتهاون فيه الاب السوري (في ايامي على الاقل) .

كصبية مراهقة ، وطالبة في التجهيز الاولى للبنات - الفرع العلمي - بدت لي دمشق يومئذ مدينة مصنوعة للرجال فقط . لا مكان فيها للنساء الا من اجل اداء اعمال السخرة او الزينة . و« الرجل في البيت رحمة حتى ولو كان فحمة » ، ولم تكن الامثال الشعبية وحدها تؤكد هذه الحقيقة . . . فحينما كنا نظاهر - نحن البنات - لشأن سياسي ، كنا ننتظر وصول الصبيان الى مدرستنا كي يخرجونا هم في المظاهرة ونقول : « جاء الصبيان ليعلموا اضربنا » . لم نكن نأخذ المبادرة . لم نكن نكتب الشعارات وإنما كنا نمشي خلفهم ونردد اقوالهم . اذكر جيداً يوم انتظرناهم طويلاً ، لكنهم نسونا . وكانت اصواتهم تأتي من الشارع كالرعد صارخة : ناصر . ناصر . ناصر . . . ونحن نتابع الدرس مقموعات دونما اي حس بالمبادرة ، حتى تذكرنا صبي منهم (و اضرب) بمفرده مدرستنا بأكملها . .

لقد اضربت عن الاضراب يومئذ لانه صناعة مذكرة ، ولسنا اكثر من حناجر هتافة في موكب لم نختر شعاراته . إننا معزولات في غيتو نسوي إلا إذا تفضل رجل باخراجنا منه وترقيتنا الى مرتبة (عائلة) . . . في السينما حفلات خاصة بالنساء في المسابح فترات خاصة بنا . في المقاهي ثمة (حرملك) لنا ؛ وحتى في الجامعة كان احد اساتذتنا يصير على جلوسنا بعيداً عن رفاقنا الذكور لحضور (الشيطان) الدائم في اي لقاء مختلط ويطالبنا بوضع غطاء للرأس .

وسط تلك الصورة غير المشرقة ، التقيت وزملائي للمرة الاولى بسيدة اشرق حضورها في حياتنا ، هي الدكتورة رندة الخالدي .

كنت طالبة في السنة الجامعية الأولى - ادب انكليزي ، حين فوجئنا جميعاً بدخول (استاذة) الى الصف بدلا من استاذ ، واظن انها كانت اول امرأة تقف على منبر التدريس في جامعة دمشق ، ولكنها كانت بالتأكيد اول استاذة يراها صفنا الكبير (١٣٠ طالبا) .

كانت شابة جميلة جدا ، قوية الشخصية ، شديدة الثقة بالنفس فرضت احترامها على الجميع منذ الحصة الاولى . . . وظلت ذلك العام مصدر (سحر سياحي) ، يأتيها الضيوف من فروع الجامعة كافة ويحضرون درسها ، ليتفرجوا كيف تستطيع امرأة ان تضبط صفاً عسيراً دونما صراخ على طريقة الدكتور ! ، ودونما فصل بين الذكور (والحريم) ، كان تدريسها الناجح ظاهرة من ظواهر (التنويم المغناطيسي) او

(العلاج بالصدمة) . . . صدمة ان تبرز المرأة الرجل في حقل ما ، لمجرد انها تملك المؤهلات ذاتها . .

ما زلت اذكر حتى اليوم صوتها وهي تقرأ علينا مقاطع (ماكبث) لشكسبير بهدوء وصرامة ورباطة جأش شبيهة بالليدي ماكبث . . ووجدت فيها الجواب العملي على سؤال طالما حير مراهقتي : ماذا نفعل نحن النساء ؟ وكان الجواب هو بكل بساطة : المطلوب ان (نفعل) ! . .

اطروحات تحرير المرأة كلها ، والدعوات التبشيرية الانسانية في هذا المجال ، وآلاف المحاضرات النظرية لا تقدم لقضية المرأة ما تقدمه بصورة غير مباشرة امرأة واحدة عاملة ناجحة . . .

بعدها بسنوات ، يوم وقفت انا في قاعة الصف ذاتها كاستاذة محاضرة في جامعة دمشق سرت في جسدي قشعريرة رعب خجل ، فاستحضرت ذكرها واستخرجت من اعماقي رنده في ذاتي واخرجتها من القمقم وتمنيت لو ان كل امرأة عربية تعي ذلك المصباح السحري داخلها ، وتطلق مارد عطائها من عقاله . .

وصحيح ان دمشق كانت تبدو في ذلك الزمان مفصلة (على قياس) الذكور ، لكنني كنت اسرق نصيبي منها ، واغتصب حصتي من الحياة والفرح والنزوات دونما وجل . . . ولم يكن في مقدور احد ان يحاسبني على حياتي الداخلية المفعمة بالانفجارات المضيفة كالألعاب النارية في ليلة حارة ، والمغامرات مع اشجار بيتنا الصيفي القروي (في الشامية على شاطئ نهر بردى قرب جديدة الوادي) واحصنة الوادي وكائنات الطبيعة كلها . . والسباحة في ماء النهر المثلج ضد التيار ، وتحدي بقية صبيان (العصابة) في مجال الامساك بالسلاطين والافاعي والغطس في (الدوار) رغم (جني) شجرة الدلب التي شهدت موت اكثر من طفل في دوامة النهر امامها ، وإصابة الاهداف المتحركة (بالجفت) وغيرها من المهارات الحسية الصيبانية التي استمتعت بها في طفولتي ومراهقتي كأية مخلوقة معافاة تتوهج بحب الحياة بدءاً باللمس وانتهاءً بالتفكير والتأمل . . وما زلت حتى اليوم احمل في جسدي تذكارا من تلك المرحلة بصورة توقيع ناري . . فقد كنا نمارس متعة اطلاق النار على فريق من الضفادع حين اصابني احد افراد (العصابة) بطلق في ظهري ، وانتشر (الخردق) تحت جلدي وكنت لحسن الحظ بعيدة نسبياً . . لن انسى ذلك الشعور الكاوي لحظة الإصابة : انك لا تتوقع وإنما تدهش . . . وحينما ترى دمك يسيل تمتلئ

بالشفقة على الذات . . . ويومها ركضت كحيوان جريح بعيداً عن مرمى نظراتهم . . لم اكن اريد ان يراني (الرفاق) اتوجع او ابكي . . واختبأت في الغابة حتى تجاوزت مرحلة الارتجاف والصدمة الاولى . . وعيت ان ذلك السلوك الطفولي هو قدرتي . . لن اكون في اي يوم قادرة على التوجع امام احد او استعراض جراحي او مؤاساتها عبر الآخرين ، اني من ذلك النمط الذي خلق ليتألم وحيداً في وشره . .

عرفت هزيمتي العاطفية الاولى يوم انكسرت الوحدة بين سوريا ومصر . فقد كانت الوحدة يومئذ مثل (زواج غرام) دوغما تنظيم ديمقراطي و(انتداب) شقيق (باسم الحب) أو هكذا فهمت الحكاية في تلك السن المبكرة غير المثقفة سياسياً . . فترسخت في ذاتي تلك الحاجة الى حفظ الحرية والديمقراطية للناس في الظروف كلها . وفي كل لقاء او (احتكاك) بين فرد عربي وآخر ، وقطر عربي وآخر .

واتعسني فيما بعد ان الناس لم يتعلموا من درس (الوحدة المكسورة) ذلك شيئاً . . وحتى اليوم ، قلما يتطرقون في الاحتفالات التي تقام بهذه المناسبة الى ذكر الاخطاء التي نقلتها من الممارسة الى مقبرة التاريخ . كأن العرب يمتنون الاعتراف باخطائهم او تجنبها ، بل انهم يحرصون على تكرارها . . . وامام التقصير ، يرفضون التفسير ويعشقون التبرير . لقد تفتحت عيناى على الحلم الوجدوي الناصع ، ولكنني للأسف شهدت مصرعه مرات ، على مذبح رفض الديمقراطية والحرية كممارسات يومية لا كشعارات فقط . . . وبدلاً من الاعتراف بهذه الحقيقة نجد اللوم يوجه الى (الامبريالية) كبديل معاصر عن اسم (الشيطان) الذي كنا نتهمه في معرض الانسحاب من حقل المسؤولية .

● لحظات اللقاء الاولى بمدينة بيروت التي عرفتها عادة السمان في الستينات . . . وما هي الصورة التي كانت تحملها عادة السمان قبل ان تتعرف الى المدينة . . وماذا كانت تعني بيروت لغادة السمان . . هل انكسرت تلك الصورة المتخيلة ، ام ان عناصرها اختلطت وتشكلت من جديد ؟

- دمشق هي حبي الاول وجرحي الاول ، حبي العنيف المخلبي الاهوج الشرس المفعم بالحماقات وردود الفعل الطفولية الجنونية الغامضة ، التي تنوس بين التاليه والرفض منتهى العبادة واقصى الكراهية . .

وسوريا هي مسقط قلبي ومسقط رأسي . . وستبقى . . وحتى اليوم لم اشف من ذلك الحب المجنون بكل ما يتضمنه من سلوك هزلي داعم

ارعن يتجاوز كل محاولة للتفسير او التبرير المنطقي .
ومنذ اعوام ، دعيت لحضور مؤتمر الادباء في دمشق ، ودعي زوجي لحضور مؤتمر
الاقتصاديين الذي عقد فيها ايضاً وفي الوقت ذاته . .
كانت مصادفة كالحلم . . ان اذهب وزوجي معاً ، كل في حقله ، وأرى مدينتي
بعد ذلك الفراق الطويل ، ضمن اطار اجتماعي وعملي لائقين .
واشتعلت حماساً وقدت سيارتي الى سوريا ، وكنت وزوجي نتسامر طوال
الطريق ، حتى بلغت مدخل دمشق . . بل وصعدت في الطريق الملتوية نحو جامعتها ،
والى يميني المتحف وإلى يساري مدرجها ، وفجأة التفت الى زوجي وسألته : هل تغضب
اذا عدنا الآن الى بيروت ؟ قال بهدوئه التاريخي : « لا » . . وابتسم ابتسامته
« الموناليزية » وارتدى الصمت .

وعدنا . ولم . .
بالمقابل ، بيروت هي حبي الواعي الهاديء وحلمي البارد كما احلام اليقظة
الناضجة جميعاً .

جئت الى بيروت لانها تمثل لي واحة الحرية العربية . . . واذا كانت الاحداث قد
هشمت الحلم مراراً ، الا انها لم تهشم امكانية تحقيقه . . اكثر من اي وقت مضى أعني
اهمية نجاح تجربة الحرية والديمقراطية في بيروت ولبنان ، لأنها اذا فشلت هنا فهذا يعني
انه ربما لن تقوم لها قائمة في اي مكان عربي آخر . . وبيروت هي محك صدق العرب ،
ومرآة قدرتهم على تجاوز مأزق الديمقراطية .

في حوار صحافي منذ تسعة اعوام تقريباً . كتبت « الحرية في نظري رثة الفن ،
وهذا المعنى انا سعيدة لانني تزوجت من لبناني ولانني انجبت طفلاً لبنانياً . وقد تكون
لدينا مأخذ لا تحصى على هذا البلد ، ولكن ، بالمنظار النسبي ، وضع الحرية في لبنان
افضل من وضعها حولنا . لبنان جزيرة الحرية او سراجها ، لكنه تذكير للمنطقة
بالبدهيات الانسانية المنسية . اقدر في لبنان ذلك الحس الفطري بالديمقراطية والحرية .
ما نستطيع قوله في بيروت لا نستطيع قوله في اية عاصمة عربية اخرى » .
من اجل ذلك جئت الى بيروت ، دعني ابسط الاشياء على نحو ما ، بعيداً عن
الكلمات الكبيرة .

يوم كنت طفلة صغيرة في القرية ، عشقت حشرة مضيئة غريبة . .
كانت تطير في الحقول وتضيء في الظلمة ، فاركض خلفها اتأمل مدهوشة تلك

(الميني - نجمة) الارضية ، ويشتعل فضولي الطفل المفطور على التحليل : كيف ؟ من اي عضو ينبعث الضوء ؟ العينان ؟ اليدان ؟ اهي حشرة ؟ ما لونها في النهار ؟ هل هي من المخمل ام السكر ؟ هل تأكل ؟ تأكل البطاريات والاحجار الكريمة ؟ تنام في السرايب ام على اعمدة الكهرباء ؟ ..

صارت هذه اليعسوية المضيئة هاجسي . انتظرها في الامسيات الحارة ، والاحقها في ظلمات الحقول واتعثر واسقط واجرح ركبتي ووجهي ، ونظراتي لا تبارحها .. وقررت الخروج من الدهشة الى الفعل ، ولقاء القبض على واحدة منها ، واللعب بها متى شئت في البيت بدلاً من ذلك الركض المجنون في ظلمات الحقول .. وذات يوم ، نجحت في الامساك بواحدة منها بعد طول عناء ، وعدت بها الى البيت . وضعتها تحت كوب زجاجي شفاف ، فبدت لي مجرد حشرة عادية ، معتمة ، ذبابية الصورة والحركة .. وبلا ضوء .. وعند الصباح كانت تشبه اية ذبابة ميتة . ووعيت يومها ان تلك المخلوقة لا تضيء إلا إذا طارت وحركت جناحيها .. ولن يكون بوسعي ان ارى طيرانها الليلي الباهر إلا إذا لاحقتها في ظلمة الحقول بين الاشواك والفخاخ .. وتركتها مطلقة السراح .

وكذلك فعل الكتابة .. لا ضوء دوغما طيران ... لا وهج في سجن الكوب الشفاف ... الفنان ذبابة حين نقيده ، وضوء حين نطلق سراحه .. ولكن احداً لا يطلق سراحك ... الركض الليلي في حقول الالغام قرار يتخذه الفنان بنفسه .. وهكذا كان يوم قررت البقاء في بيروت لدراسة الماجستير في الجامعة الاميركية - كسبب معلن - ولتحريك اجنحتي في فضاء الليل كسبب حقيقي داخلي .. واخترت (الحرية) بدلاً من (الرعاية) العائلية والاجتماعية التي كانت متوافرة لي في دمشق .

الحرية والكتابة .. توأم سيامي ، لا حياة لاحدهما دون الآخر . والكتابة جوهر حياتي ، وعحركها الداخلي . بدونها ارى العمر قشرة فارغة مثل هيكل صرصار اكله النمل .. ولنبتعد ثانية عن العبارات الكبيرة مثل (جوهر حياتي . عحركها الداخلي .. الى آخره) ...

بكل بساطة ، فعل الكتابة يسحرني منذ الطفولة . في مراهقتي إذا غازلني شاب (شفهيًا) لا أصدق . إذا كتب رسالة ، صدقته !! ... لدي يقين مضحك بأن الإنسان قد يكذب اذا تكلم لكنه لا يستطيع الكذب اذا كتب . كان فعل الكتابة طقس

سحري مقدس له حرمة وكل انتهاك له يجلب لصاحبه اللعنة .
ثمة حساء يعدونها بواسطة معجنات لها شكل الحروف . اذهل امامها ولا اجرؤ
على ابتلاعها . اقرأ في حروفها رموزاً وإشارات كما تقرأ الساحرة في المنديل . . . الكلمة
المكتوبة تعني لي اكثر من المسموعة . . .

تركت دمشق الحماية الاجتماعية ودعم والذي المادي والمعنوي وجئت الى بيروت
لأعمل واستقل واعيل نفسي واختار حقولي وطيراني . . . عملت في البداية استاذة في
مدرسة ثانوية بالشويفات ثم وجدت عملاً في الصحافة ، فانتقلت لأنام في (بستاني
هول) القسم الداخلي بالجامعة الاميركية ، وادرس واعمل كأبي مخلوق يلاحق مصيره
مستقلاً عن المكاسب المتوارثة .

وبعدها تابعت طيراني الليلي في اقطار اخرى نائية . . . واقمت في لندن وعملت
ودرست . فازدادت قناعاتي بان لكل طير فزاعه المفضل ، وهو مهما طار ودار لا بد له من
فزاع طيور يأنس به ، وحقل يألفه .

وعدت ثانية الى بيروت حقلي المفضل . . . وبدأت علاقة (جادة) مع لبنان ،
الخطوة الأولى فيها معرفته . . . وساعدتني مهنة الصحافة .

فكنت احمل الكاميرا واطوف في الوطن من مكان الى آخر ، من عكار الى الجنوب
الى البقاع الى اللقنوق ، وحين تخذلني السيارة في مناطق بلا طرقات ، اركب الحمار
والأحق فضولي (كما فعلت في وادي قنوين) . . . حصيلة ذلك التعارف مع الوطن
جمعتها في كتابي « الرغبة ينبض كالقلب » . الذين تعرفوا الى بيروت داخل المطاعم
الفخمة والمقاصف الراقصة لا يعرفون شيئاً عن جوهر هذه العاصمة وحقيقة الكتل
البشرية التي تضطرم داخلها . . . وتعارف الفنان مع اهل لبنان لا يمكن ان يتم في المقهى
او (البيف ايتر) او (الكاف دي روا) ولا بد من الطيران الليلي إلى مغاور احزانهم
وهومهم وسراديبهم وخيامهم وبيوتهم المثقوبة بالحبيات ومياه المطر والاهمال . ولعل
روايتي « بيروت ٧٥ » لم تكن (نبوءة) بالحرب والانفجار . بقدر ما كانت حصيلة
حسابية باردة لدراسة ميدانية مباشرة !

● الحرب الأهلية اللبنانية صنعها الرجال . ومن حسن حظ المرأة - في لبنان - انها بقيت
على هامش هذه الحرب . . . ربما من حسن حظها ايضاً انها (المرأة) تبقى بعيدة عما
يسمونه « صناعة التاريخ » عموماً . . . ويقولون : الرجل منذ القديم صائد او محارب
او . . . بينما المرأة تخطط او تغزل . . . وتصنع الانتظار والوقت . . . هل تشعر او

شعرت غادة السمان برغبة ما في تغيير وجود او حضور المرأة بالمعنى الذي يقصده السؤال ، لا بالمعنى الذي نحاوله او نقصده « جمعيات او مؤسسات حقوق المرأة » ؟
- لا اعتقد ان المرأة قادرة على غسل يديها من دم بيروت . . . ربما كان ذلك ممكناً في الاشهر الأولى للحرب . . . اما اليوم فلا ،

صيغة سؤالك تتضمن دفاعاً نبيلاً عن المرأة لا تستحقه ، وتوكيداً لشائعة مفادها ان المرأة ضحية من ضحايا هذه الحرب كما الطفل .
انا ارى المرأة مسؤولة عما حدث بصورة غير مباشرة . انها لم تحمل السلاح ، لكنها شجعت فعل القتل باعجابها الآخرق بالقوة الجسدية وتحريضها للذكر (القبضاي) زوجاً كان او ابناً او جاراً . لقد ابدت قبولاً ضمناً لمقولة حل المشاكل بالقوة لا الحوار ، ولم تبد اعتراضاً إلا إذا سقط ابنها قتيلاً لا ابن المرأة الأخرى . اي ان الاعتراض كان دوماً على الخسارة الفردية ، لا على خسارة الوطن ، والرفض كان موجهاً ضد موت معارفها ، لا موت الانسان في المطلق .

وصحيح ان المرأة لم تسرق ولم تنهب ، لكنها بالتهابها امام الثراء المادي وشهيتها المفرطة للامتلاك كانت تشجع الرجال على السرقة والنهب لإرضائها . نادرات هن الزوجات اللواتي رفضن انفاق المال الحرام ، او المساهمة في اخفاء المسروقات والتستر على الجرائم التي تدر نقوداً . ان عشق المرأة بوجه عام للتشاف وكماليات الحياة والرفاهية والثراء كان شريكاً غير مباشر في كل انتهاك لحرمت الآخرين المادية والمعنوية . . . إلا فيما ندر . ولم تكن المرأة تحتج إلا حين يسرق بيتها هي .

بالمقابل ، لو رفضت نساء هذا الوطن الحرب ، هل كان يمكن ايقافها ؟ لا ادري . . ولكن ذلك المناخ من الهيستيريا الجماعية المتكالبة على القتل والسلب والنهب كان سيجد كابحاً ما ، ورادعاً معنوياً يساهم في توكيد وجود المقاتل الشريف الذي كان يموت حقاً من اجل يقين انساني ، وفرزه من بين آلاف اللصوص المندسين في صفوف الشوار الانقياء المشابهين في غرامهم للقضية بـ (عطيل) الذي احب جيداً بصدق وجنون ، ولكنه لم يكن يعرف (كيف) يحب بحكمة . . حتى قتل (موضوع) حبه . .
لقد لعبت المرأة في احداث لبنان دوراً غير مباشر وغير مشرف أحياناً ، وبقيت -

نسياً - بمنأى عن دفع الثمن الذي دفعه الرجال .
وجوهر الخطأ كامن في « حضور المرأة » الهامشي ، بحيث لا تشارك في القرار مباشرة ، وبالتالي تتنصل من المسؤولية ، وشهوها الرجال .

اتمنى للمرأة وجوداً مختلفاً في المجتمع ، يجعلها فاعلة ومسؤولة . فالمرأة لم تصنع حقاً في اي يوم الانتظار والغزل والحياكة ، بل كانت دوماً تؤثر في مجرى صيد الرجال وتوقيت رحلاته وكمية صيده .. وقتلاه وغزواته .. وحروبته .

اتمنى لها حضوراً علنياً واضحاً بمعنى عدم التنصل من المسؤولية ، والخروج من الخبث النسائي الصغير الذي يصور المشاركة على انها مسؤولية رجالية ، وهبة (وزارية) مثلاً ، يمنحها رئيس الوزراء لسيدة ما . . . هذه كلها مسرحيات اجتماعية تهواها جمعيات (شحادة) حقوق المرأة . . .

ارى نقطة الانطلاق في الموقع المعاكس تماماً : ان تعمل المرأة حقاً . ان يكون العمل مفتاح وجودها كما هو بالنسبة الى الرجل . ان يأتي يوم تبدي فيه المرأة دهشتها الصادقة - حتى الرفض - لان امرأة عاملة اخرى تركت (الوظيفة) استعداداً للزواج . . . تماماً كما قد يدهش الرجال اذا (استقال) احدهم من عمله بحجة انه مقدم على الزواج - هذا اذا لم يعتبر مجنوناً - .

لن تنال المرأة قسمة من رغبة الحرية إذا لم تشارك في زراعة قمحه وخبزه وجلب ملحه بغير التحريض و(النق) واستعمال الاولاد في معرض الابتزاز .

اشعر باستمرار بالرغبة في تغيير وجود المرأة (الوجودي) ، ورفع (حضورها) الى مستويات اعلى من الوعي الانساني . لذا لا اشاركها وفودها الذاهبة الى الرجال مطالبة بذلك ! . . فهي لن تملك يوماً الا ما تقوى يداها على الامساك به . . ما ترفض المرأة ان تعيه هو ان احداً لا يملك ان يعطيها شيئاً او يحرمها من شيء . عن الإمام رفاعه الطهطاوي في « المرشد الامين لتربية البنات والبنين » قوله « ان تعليم المرأة يمكنها عند اقتضاء الحال ان تتعاطى من الاشغال والاعمال ما يتعاطاه الرجال على قدر طاقتها وقوتها . ان فراغ ايدي النساء عن العمل يشغل الستهن بالباطيل وقلوبهن بالاهواء وافتعال الافاعيل . فالعلم يصون المرأة عما لا يليق ويقرّبها من الفضيلة . واذا كانت البطالة مذمومة في حق الرجال ، فهي مذمة عظيمة في حق النساء . ان المرأة التي لا عمل لها ، تقضي الزمن خائضة في حديث جيرانها وفيما يأكلون ويشربون ويفرشون ، وفيما عندهم وعندها وهكذا » .

العمل وحده هو المفتاح ، وحده يجعل الانسان حراً في ان يخسر او يغامر او يربح .

لا ادري كيف تطالب بعض النساء بحمل الاوسمة السياسية ، من دون حمل المسؤولية .

المرأة غير العاملة تتوهم دوماً ان الرجل يضطهدّها لانها قاصرة عن وعي العالم المحيط بها بمعاني الكلمة كلها .

لن يكون بوسعك ان تفسر لها كيف ان الحرية بدون مسؤولية فضاء بلا اتجاهات ، وخواء مطلق الفراغ .

سلوك الرجال في نظرها لا يطاق . لغز . وهي لن تعي يوماً المدلول الإنساني لافعاله (القاسية) ، او (الغامضة) ، او (غير الوفية) او (التافهة) .

انا لا ارى الجنس البشري مقسماً الى ذكور وإناث ، وإنما الى (الذين يعملون) والذين (لا يعملون) وتاء التأنيث ليست عذراً للتسول (الارستقراطي) ، او فرض (الاتاوات) على الاب والزوج واستيفاء (الخوة) من المجتمع . .

وستظل المرأة حضوراً هامشياً طفيلياً اذا لم تقم بتلك النقلة من خانة (المستهلك) الى (المنتج) ومن مقاعد المتفرجين الى الحلبة .

قال الفيلسوف العربي ابن رشد : « ان حالة العبودية التي انشأنا عليها نساءنا اتلفت مواهبهن وقضت على قدراتهن العقلية ، فحياة المرأة تنقضي كما تنقضي حياة النبات » .

وفيلسوفنا على حق ، وليس ادل على ذلك من حال المرأة نفسها ، وفهمها القاصر لفكرة الحرية ، وتوهمها ان تحولها من نبات الى إنسان يتم بمرسوم جمهوري وينتهي الأمر ! . . .

ولكن بعض التجمعات النسائية تصور القضية باستمرار ضمن هذا الاطار بعيداً عن الجوهر الذي يتطلب من المرأة تركيزاً على « تطوير الذات وصناعتها » قبل التطاول على « صناعة التاريخ » . رسولنا العربي قال : « ما اكرم النساء إلا كريم ، ولا اهانهن الا لثيم » ولكن ، ما حيلتنا مع نساء يحترفن إهانة الذات ؟

سهام الشامي تستجوب

- ليست مهمتي اجراء عمليات
تجميل للطبيعة البشرية .
- دفعنا ثمناً باهظاً لأن الفوضى
ركبت حصان الحرية .

قبل أن تكون اديبة ولا ألع ، فهي أولاً وقبل كل شيء ؛ انसानة ولا احلى ...
وقبل ان تشدك بكلماتها المنسوجة ، فهي تأسرك بنبراتها التي ... ولا اعذب ، الرقة
فيها آية ، والحنان امثولة ، والحب عندها حياة ... ما تكاد تسمع صوتها ، حتى
يصيبك مس ، فهي أشبه بتيار كهربائي يهز من دون ان يصعق ، بعيدة عن التعقيد ،
وبساطتها لا متناهية . سرها انها صادقة ، صريحة ، وجريئة . عندما تكتب ، لا
تتصنع ولا تتكلف ، وتسترسل عذوبة تجعلك تعيش معها ولا تريد منها انفكاكا . .
غادة السمان ، من لا يعرفها ؟ اديبة مجلية ، وشاعرة مبدعة ، وقاصة ملهمة ، وكان لي
معها هذا الحوار الشيق :

● غادة الشاعرة ، تفترس الكلمات لتعيش متوجة على قوافيها ، تسحر ، تتأوه وتفتن
بعجب ، فلا يريد القارئ الا ان يستمر عائشاً معها ، وحياء فيها . ما سر غادة الشاعرة
الكبيرة ؟

- ثمة موجة صوتية « لا مسموعة » ، يتقن قلبي الانصات اليها والتقاطها . فالكلمات
التي لا تقال هي ابجديتي ... تدوينها حرفتي ، ثمة مشاعر مشحونة بالوحشة والفجعية
والغربة والتوق الغامض للدفع الانساني ... مشاعر تقطن كبرياء الصمت ورحم
السرية . . أعياها باستمرار كما الرادار الروحي ، وتزلزلي كهاربها . ثمة قلوب تعلن
العصيان على الدروب السالكة ، وتفتش في الظلمات عن لافتة « ممنوع المرور » لترفض
فيها ، وتتسلق الدهشة بوجوه ملطخة بالخبر والنزوات . ثمة رغبات سرية تفرغ اغطية
توايبتها ، وتنادي الشمس بصوت شجي بلا حروف ... توقظ النوم ، وتهيم في

الشوارع تدق النوافذ والسطور... يتوهمها الناس صوت الريح... ثمة لحظات صدق
محكومة بالسجن مع الاشغال الشاقة : اي محاولة النسيان . وثمة احاسيس محكومة
بالاعدام رميا بالرصاص مع (كاتم الصوت) طبعا... مذبوحة على (الحواجز)
التقليدية كلها... ملعونة الهوية... مرصودة للخطف والقنص الاجتماعي، والقصف
الجماعي . ثمة حقائق انسانية ممنوعة كما الخطيئة، وصحو محرم تحريم الافيون،
وانفجارات داخلية تفتتح فوق بركة الليل الناصعة السواد، وورودا حالكة البياض،
وتكاثر بوحشية، معمدة بالتنصل العلني منها... ثمة شهية لمغادرة موضعك فوق رقعة
الشطرنج الى البحر... الخروج من القوارير و(الجوارير) والملفات والاولعية والانابيب
(المستطرفة) الى الصحراء... الهرب من السرداب الى الافق... ومن التجول في
جحر الى الركض في شعاع نجمة ذات ليلة كونية... هذه مادة عملي... انني ببساطة
احاول تسليط الضوء على كنوز النفس البشرية (العادية)، ولكن (المقموعة)،
وأحاول استخراج الشعر الكامن في الحياة اليومية للناس جميعا. انظري الى قطرة الماء،
سترين قطرة ماء. ضعيفا تحت المجهر، وحقيقي جيدا، تجدين مئات (الحيوات) النابضة
المتفجرة بالاسرار والالوان والمدلول... الشيء ذاته ينسحب على قطرات النفس
البشرية وأمطارها وعواصفها ونزفها... كل انسان قصيدة، والفنان يحاول
« تهجتها »...

● غادة السمان الانسان رقيقة، حية حية، لكن على عنفوان، معطاءة على بذل كأنها
تعيش للآخرين، فهل تتوافق غادة الشاعرة مع غادة الانسان؟ وكيف ترين علاقتهما؟
- ثمة شائعة يصبر الفنان على نشرها حرصا على صورتهم (الدعائية)، يؤكدون فيها
التطابق التام بين فنهم وشخصهم، اي بين الذات و(الموضوع)، بشكل لا يتطرق
اليه الخلل ولا تفسده الهفوات. الفنان لا يعيش للآخرين، انه يعيش للآخرين...
انه لا يكتب (لهم)، بل (يكتبهم)، واعترف لك بأن العلاقة بين غادة الكاتبة،
والانسان، لا تخلو من التطابق احيانا، لكن الامر ليس دائما على هذا المقدار من
البساطة، بعبارة اخرى، الفن ليس بالضرورة صورة صادقة عن الفنان ذاته. ويروي
الاديب البريطاني الكبير الدكتور جونسون حكاية طريفة عن معجبة بقصائد الشاعر
تومسون، احبته من خلال اعماله، لانها استخلصت من سطره صورة رائعة عنه
وهي : انه عاشق كبير، وناسك زاهد في امور الرفاهية، ورجل يحب السباحة وملامسة
الماء. ولكن الدكتور جونسون يؤكد بأن الشاعر اياه كان لا يميل الى الحب ولا

الاستحمام - ناهيك عن السباحة - ! ، ويعشق الترف المادي والملاذذ الدنيوية ، ولا يفقه من الحب غير الجنس العابر ! وفي كتاب « نظرية الادب » ، تأليف رينيه ويليك واوستن وارين ، نجدهما يؤكدان ان الفن ليس تعبيراً عن الذات بكل بساطة ونقاء . وحتى حين توجد صلة وثيقة بين العمل الفني وحياة الكاتب ، يجب ألا تفسر هذه الصلة على انها حالة تطابق بينهما . هل يعني ذلك انني اتصل من فني على الصعيد الشخصي ؟ انني لا اغسل يدي من دم ابطال قصصي ، ولا اطالب النقاد بشهادة « براءة ذمة » من جنونهم وشرودهم ، لكنني اعترف ايضا ان مرآة الفن لا تعكس صورة الفنان وحده ، بل صورة الآخرين مرتسمة في عينيه . . . بسموهم وسقطاتهم .

● الحب عند غادة عجيب غريب ، محب لدرجة التملك ، وفجأة تستغي عن حبها لتوته بعيدا ، بحثا عن حب آخر . . . وكأن قلب غادة مشاع ، هل هذه هي الحقيقة ، او انها البرقع الذي تستر به غادة ، الوفة لحبها الكبير ؟

- الخيانة هي صدقي . والحب عندي عجيب غريب لانه كذلك ! . . . هشاشة العواطف الجميلة الملونة كأجنحة فراشة تحيا ليلة واحدة ، قابلية المشاعر للعطب ، وسهولة انكسار الحكايا الكبيرة ، هذه كلها امور واقعية يجب الاقرار بها . الحب حتى القتل ، « الحب من الوريد الى الوريد » ، الحب الى درجة « ختم الذاكرة بالشمع الاحمر » ، الحب حتى شهية الايذاء ، الاخلاص غدرا ، والموت صمتا ، وتلك اللحظات الغامضة المشحونة بالمشاعر العميقة المتضاربة لا تحجلي . . . « السباحة في بحيرة الشيطان » لا تخيفني . . . طبول القبيلة ومراسيم الاعداء لن تجعلني ابدل حرفا واحدا من موضعه . ترى هل من الضروري التنويه بأنني اتحدث عن مادة عملي ككاتبة ، لا عن نفسي كمادة صحافية ؟ ! ! ! . . . هل من الضروري التذكير باستمرار انه لا يعني الادب العربي ان تروي كل اديبة حكايا حبها واخلاصها او خيانتها الى آخر المعزوفة ؟ . . . انني هنا اتحدث عن الحب في عمالي لا عن الحب في حياتي كي لا يضر القراء . . . فحب الملك ليس « ملك الحب » . وحب الفنان ليس « فنية الحب » المتجلية في سلوك ، المتقمصة شخصه الكريم ومحبوه . . . والكاتب ليس بالضرورة رقبة تفتش عن اسنان ! . . . الحب في عمالي اريده باستمرار صورة عن حقيقة المشاعر البشرية الدفينة ، التي يتحاشى الناس غالبا مواجهتها في ذاتهم ، بل وينكرونها . . . انني لا اتحاشى رصد تلك اللحظات الغامضة ، او الشاذة ، وليست مهمتي اجراء عمليات تجميل للطبيعة البشرية . . . انني ببساطة احاول فهمها ! . . . انا لم اخترع

الجنس ، ولم اخترع الحب ، ولا الكراهية ، ولدت فوجدت هذه العناصر حولي ، وكل ما افعله هو انني لا اتجاهل وجودها في الحياة العربية كما تفعل بعض الكاتبات والكتاب (لا النعامة ، فالنعامة تقاتل عكس ما هو شائع !) . اتحدث عن الحب كجزء من دعوتي لاجراج حقائق حياتنا من دهاليز الحريم الى ضوء الشمس ، بحيث تصير تلك المحركات الاساسية لحياتنا طاقة ايجابية غير مهدورة ، تنمو وسط مناخ الحوار والنقاش (من دون اطلاق رصاص) ونتفق على مفهوم « للشرف الرفيع بعيدا عن الرياء والحبث الاجتماعي ، ومن دون ان يراق الدم » على جوانب الصفحات والحوار فهل هذا ممكن ؟ او ان برقع الكذب ما زال فضيلة اجتماعية ؟ هل الاخلاص الزوجي هو ان يخون الانسان حقيقته ؟ وهل حفظ المظاهر هو الوفاء الوحيد الممكن ؟ انا لا اتقاضى راتبا من (جمعية تبشيرية) لاذور النفس البشرية . الفنان (عميل) للحقيقة ، (جاسوس) للمعرفة مكافأته الوحيدة ، معرفة المزيد عن كوابيس القلب البشري وكوارثه وانبيائه ومن وجهة نظر (قلبي) ، الحب فار اختبار لا بد من تبديله لضرورات فنية

- عادة كتبت معاناة عمرها الملتهبة في بيروت ولا اروع . بيروت تعود لسابق عزمها ، ولو بخطى وثيلة . اين عادة الآن من عودة بيروت ترتدي ثوب زلفافها ، وبيروت الملتهبة بنار الحقد والكراهية ؟ وماذا تعني لك بيروت اليوم ؟
- تعني بيروت لي اليوم ما كانت تعنيه يوم اخترتها : الحرية ، الديمقراطية ، او على الاقل امكانية توافرها . جئت الى بيروت لانها تمثل لي واحة الحرية واذا كانت الاحداث المتعاقبة في السنوات التسع الاخيرة قد هشمت الحلم مرارا ، الا انها لم تهشم امكانية تحقيقه . اكثر من اي وقت مضى اعني اهمية نجاح تجربة (الحرية والديمقراطية) في بيروت ولبنان ، كتنقيض (للفوضى وللدكتاتورية) معا ، واعلق املا كبيرا على ازدهار براعم الحرية ، لان فشل التجربة هنا قد يعني انه لن تقوم لها قائمة في اي مكان آخر . اكرر : بيروت هي عكس صدق العرب ، ومرة مقدرتهم على تجاوز مأزق الديمقراطية . هل (عودة الروح) الى بيروت سيرافقها هذه المرة عودة الوعي وموجة تمييز بين (الحرية) و(الفوضى) ؟ فالمطلوب حرية الفكر لا فوضى القتل . لقد دفعنا ثمننا باهظا لان الفوضى ركبت حصان الحرية ولكن ، هل سنقتل الحصان ؟
- ايام المحنة وسنواتها ، كانت عادة على عمل مستمر وانتاج متواصل . هل كان ذلك لنسيان المتأهة ، والخروج منها ، ام لسبب او اسباب اخرى ؟

- بكل صدق : لا أدري . هل كانت مصادفة ، إن التقت سنواتي المخصصة فنيا ، بسنوات الجمر والرماد في وطني ؟ أو كنت - في اللاوعي - اهرب من القنبلة اليدوية الى المحيرة ، ومن الألم الى القلم ؟ ... هل كتبت وسط دوي الانفجارات لأحافظ على وعيي من الجنون الداهم ؟ أم كتبت لآخدر نفسي ؟ هل خلقت عالما من الابطال والحكايا لاهرب من عالمي ، أم لاجسده وارصده ؟ لن اعرف ابدا .

● ماذا تعمل عادة اليوم ، وما تنوي فعله غدا ؟

- كأهل هذا الوطن جميعا ، اعمل في حقل « الترميم » ... انجزت ترميم الزجاج المكسور والجدران المهتمة ، وما زلت احاول اصلاح المعنويات المتقوية ، و(كريستال) الحلم المكسر ، وفخاريات القلب المدمرة .. تسألين ما انوي فعله غدا ؟ ... « الغد يهتم بشأنه يكفي كل يوم شره » ذلك يلخص شعوري في هذه اللحظة ... اما اذا كررت السؤال علي غدا ، فلا أدري ما سأقول ... يكفي كل يوم شره !!! ... واستلته ... واجوبته ... وحواره ...

اوراس مخلوف تستجوب

- ابطلالي يكتبون أنفسهم وانا
أرصدهم واتحسس عليهم .
- في الحلم تخلع الاصوات كماساتها
وتركض حافية على شواطئ
الابداع .

غادة السمان من اكثر الادباء العرب رواجاً وانتشاراً ومن أكثرهم قدرة على ابصال صوتها ببساطة اشبه ما تكون ببساطة شروق الفجر وطعم الخبز. هذا الصوت الطالع من هموم وطنها العربي وقضاياها ، ومن هواجس المرأة وتطلعاتها ، يكتسب بعداً خاصاً في كون صاحبتة امرأة جريئة تقول المباح . . حتى مطلع الصباح . كشهريزاد هي يتحد صوتها بالرواية كما يتحد جناح الطير بالهواء . يصير الاثنان واحداً . هكذا غادة السمان لا فارق بين ما تقول وما تروي ، وما هي عليه . ويتأكد ذلك في اسلوبها البوحي الحميم الذي يطالعنا في كل ما تكتب . والذي طالعنا هنا في اجاباتها الصريحة والمشوقة التي أدلت بها ، كاشفة عن جوانب عديدة من حياتها الداخلية : علاقتها بالحب والحبيب والأمومة والأولاد والأسرة والحلم وطائر البوم . . الى ذلك يدخلنا هذا الحديث مع غادة السمان الى كواليس عالمها الروائي حيث تتلمس علاقاتها مع شخصياتها الروائية وأبطال قصصها الذين « يكتبون أنفسهم بأنفسهم » كما تقول .

● تروي احدى قصص « الف ليلة وليلة » ان رجلاً وجد نفسه في قصر فأعطي مفتاحاً لأربعين غرفة وسمح له ان يفتح الغرف كلها ما عدا غرفة واحدة ، لكنه لم يستطع ان يقاوم رغبته امام المغلق . لو كانت غادة السمان مكان هذا الرجل ، هل كانت تتجرأ على فتح الغرفة الاربعين وهي القائلة بان « للأدراج المغلقة سعراً يتغلب على كل حس » وانها كانت في طفولتها تعالج الادراج المغلقة (سرراً) في بيوت الاقارب والمعارف ؟

- لم أعد اعالجها سرا . صرت افعل ذلك علناً اينما وجدتتها واتقاضى مقابل ذلك راتباً

باهظاً . . . انها حرفة الكتابة ، ومحاولة كشف اسرار النفس البشرية . . . والفنان لا يعاقب على (سرقاته) لكنه يعاقب اذا لم يتقنها ! هل انجزاً على فتح الغرفة الاربعين ؟ اي اديب يستطيع مقاومة سحر المعرفة حتى ولو عوقب بدحرجة صخرة « سيزيف » او سمل وهج الحقيقة عينيه كما حدث لـ « بروميتيوس » ؟ الفن محاولة بشرية متواضعة لملامسة شمس غرفة الاسرار وتعريه صناديقها (المختومة بشمع اللعنة الاحمر) للضوء . . . وتفكيك ألغاز الصدا الحبي ، لحروف ازمان مكتوبة بالدم والمعادن المائتية الغامضة . .

ان جوعي للمعرفة لا يوازيه غير وعيي باحزان ما يقع خارج تلك الغرفة المحرمة الشهية ، فانا من جيل فتح عينيه على مأساة ضياع فلسطين ، وانكسر صباه على حد شفرة هزيمة ١٩٦٧ ، وعاش نكبات هذا الوطن العربي ، احزان ما كان ، وخاوف ما قد يكون . . في زمن كهذا ، تعجز حروفي عن ارتداء الدانتيل والذهاب الى غابة النسيان لصيد الفراشات الملونة ، والدم يسيل على اطراف اصابع زمننا العربي .

ما زلت اشتعل شهية للمعرفة امام الغرفة الاربعين ، لكن واقع امتنا يخطف اليه قلبي وحروفي . . لا استطيع مثلاً ان ارقب على شاشة التلفزيون عريدة الصهبانية واحتفالاتهم بمناسية (عيد) دولتهم العنصرية اسرائيل ، العيد رقم ٣٩ ، (كما كنت افعل منذ دقائق) ، ثم انفض عني المشاهد كرش الطيور واتابع الكتابة عن الغرفة الاربعين دون ان الحظ سجادة الارض التي تكاد تسرق من تحت اقدامي . مأساة الفنان العربي (وميزته في آن) هو ان يحاول سبر تلك الغرفة الشهية دون ان يفقد ارتباطه بما يقع خارج عتبتها . ولعل ذلك الهاجس المسكون بهموم ملايين القلوب العربية يمنح حروفه مذاقاً خاصاً شرساً ومتأججاً . . . وطوى لمن يحترف النوم على عتبة تلك الغرفة ، والشخير على ايقاع النرجسية لا مبالياً بما يدور خارجها او يقع داخلها . . .

● هل تصدقن الابراج ؟ ما هو برجك ؟ وهل تؤمنين بالصدفة والحظ ؟

- بالتأكيد لا اصدق الابراج ، خصوصاً وانني كنت اكتبها ذات يوم لاحدى المجالات التي عملت بها !! . . . ولكنني ايضاً اتبناها دفعة واحدة وياستثناء « الابراج العاجية » ، الابراج كلها لي . . . وكل انسان هو الابراج كلها . . . أنا « الدلو » حينما تكون انفاسه بحراً من الاسرار . . . وانا « الحمل » حين يبسط حنانه غابات عطاء . . . وانا « العقرب » اذا لدغني الزمن بغدره ، وانا « الثور » الخرافي الذي يحمل الكرة الأرضية على قرنيه وهمومها في قلبه ، وانا « الجدي » الاسطوري الذي يطير بالابجدية المعجوز

إلى قمم السحر رغم قصف الذاكرة والزوات وحتى الأحباب ، وانا « القوس » بين يدي حبيبي اذا عزم ، وانا « الحوت » الذي يعود دوماً الى وطنه ليموت . . هناك .
تسألين هل أؤمن بالصدفة والحظ ؟

الحظ يا سيدتي هو الاسم الذي يطلقه البعض على نعمة لا يستحقونها ، او لا يستحقها سواهم في نظرهم ! وكل ما حصلت عليه في حياتي كدحت لاجله . واعتقد ان الحظ الكبير هو العمل ورفض اليأس . . . انني اؤمن بتصنيع الصدفة وترويض الحظ .

● اسم غادة السمان مرادف لما هو غير مألوف ، حتى في علاقتها مع الحيوانات ، فمن بين الطيور مثلاً ، طائر اليوم هو طائرنا المفضل . ما الذي يلفتك في هذا الطائر ؟
- يلفتني موقف الناس منه : الكراهية المتوارثة والتحامل المسبق . اكرر : انا لا اتفاءل باليوم ولا اتشائم منه ، لكنني اراه بعين جديدة فاحب عينيه الواسعتين الخريزيتين (تبارك خالق هذا الكون) ، اللتين يخافهما البعض لانهما تذكرانهم بأثامهم . الناس يسقطون ذنوبهم على اليوم . بعضهم يتوهم ان سبب موت طفله هو زيارة اليوم ، لا التغذية الرديئة والفقر والافتقار إلى الدواء . . . وثمة من يعتاش من تغذية هذه الاوهام ، لإلهاء صاحب العلاقة عن مواجهة العدو الحقيقي ، وتحميلة المسؤولية ، بدلا من القاء عاتقها على قوى ما وراء الطبيعة الغامضة . . . واذا كان المؤلف هو تبني الخرافات هرباً من مواجهة الواقع المرير فانا اقع خارج المؤلف ، وفي صدري مجاعة لمواجهة الواقع بلا اقنعة الاوهام المتوارثة . . وكرمز لذلك الموقف قررت ان يكون شعار « منشورات غادة السمان » التي اسستها عام ١٩٧٧ طائر اليوم . . . وها هي معظم كتيبي في طبعتها التاسعة ونجاحها ليس مديناً لليوم ، كما انها لو فشلت لما كان اليوم مسؤولاً عن ذلك . . . المؤلف احياناً هو اخطر المخدرات . . انه هيرويين الاستسلام بدل الرفض العفوي للشعاع المتوارثة او المكتسبة والرغبة في مقارعتها .

● هل تحب غادة السمان ان تحلم ؟ ما هو أجل ما تحلم به ؟

- احب كثيراً ان احلم ، واجمل ما احلم به هو الصحو .

● كيف تستطيع امرأة حاملة ان تتحمل العودة الى القطة ؟

- لا استطيع ان اتحمل حلمي اذا لم احملة لاعود به الى القطة ، واعمل على تحويله الى واقع ملموس . انا حاملة من نوع خاص ادايتها الحقيقة المعاشة . . . لست من اتباع « الحلم للحلم » بل « الحلم للبناء » . هل كان يشتغل « برج ايفل » كل ليلة دانتيلا

معدنياً صوتياً لو لم يحلم المهندس السيد ايغل ذات لحظة جنون بتلك المنارة التي تحول الحديد الى مادة شفافة ؟ ... الاعمال الجميلة كلها في تاريخ الانسانية لم تكن ثمرة تلقى اصطناعي في أنابيب المصالح العملية الجامدة ، بل جاءت نتيجة زواج جميل بين الحلم المجنون وشهية العمل في رحم العطاء ..

أنا حاملة حتى ثمالة اليقظة لا الاغواء ... يتمتعني ان احلم بالصحو لأن معظم ما في حياتنا مكرس لتخدير اصواتنا الداخلية ، وحتى الذين نحبهم يتحولون احيانا الى جرعات منومة وكمامات وقفازات مخملية لكنها قيود ... في الحلم تخلع الاصوات كمآماتها وتركض حافية القدمين على شطآن الابداع ..

● قلت مرة « بخيل الي انني اعشق الحب واكره الحبيب . الحب يطلق سراحي والحبيب يقيدي » هل يمكن ان يكون ثمة حب بلا حبيب ، ثمة نغم بلا وتر ؟
.. احلى الانغام هي تلك التي تسري بلا وتر ، وتمر بك كحلهم نصف منسي ، وكوجه حبيب خلف نافذة قطار مسرع في ليلة مطيرة ... الموسيقى هي محاولة بائسة لالتقاط تلك الموسيقى الكونية الخفية المرفهة التي تبث باستمرار رسالة المحبة وتوميء الى الضوء والحنان والود ، وتبوح بأسرار مدارات كواكب النفس البشرية والكون ..
لقد اخترع البشر الوتر في محاولة بائسة لتقليد تلك الموسيقى الكونية التي قلما نتوقف عن عدونا في سباق الفئران لننصت اليها ، وهي التي تصدح في اعماق كل انسان ويخفت صوتها كلما ابتعدنا عن الطفولة والبراءة والطبيعة ولوثنا الزمن بالهموم او الشهوات الهزلية ... يتهوفن (الاطرش) كان الاقدر على سماعها وقضى عمره وهو يحاول ان يكتبها لنا على الورق ... والحب كالموسيقى الخفية ... واولئك الاحباب الذين تتعلق بهم واحداً بعد الآخر (او بواحد منهم) هم سفراء من مملكة الحب الشاسعة ... يوقظون اعماقنا المطحونة بزعيق المترو وهمسات التملق وقصص الرصاص العدواني الخارجي والداخلي ، وينعشون فيها تلك الواحة المنفية التي يحرص كل منا على نقائها ... فيحتفظ بها لنفسه ملاذاً اخيراً من الاستلاب تحت شعار الحب ! ... دوماً يحدث الامر على هذا النحو ، وترتكب ابشع الجرائم تحت أعذب الشعارات ! فيصير الحبيب قفصاً ، بينما يظل الحب تحليفاً صوب لحظة حرية .

● كيف يتمثل حبك للحب ؟ ماذا يعني لك الحب في المطلق ؟
.. الحب بالنسبة لي ليس حالات عابرة ، ورجالا يحضرون ويمضون في المسافة بين الدمع

والابتزاز ولعبة شد حبال التكبر المتبادل ، بل اجده موقفاً من الوجود والآخرين : من الكون .

اذا لم تلهيني كل صباح تلك الفرحة المتأججة المجانية لمجرد انني حية ومعافاة ، وممتلئة بشيء حار يضفي اسمه المحبة ، لا اقدر على مواجهة اوراقي ولا على الهبوط للسباحة داخل مخبرتي . . . الحب هو اتخاذ موقف غير عدواني من كوكبي ، وهو تدفق ايجابي صوب عالم لا اهدف إلى امتلاكه بل إلى التفاعل معه وبه ، واذا تصادمنا فمن اجل المزيد من الانسجام . . .

في المطلق ، الحب الكبير هو ان اغني على عود بلا وتر . . . وانا التي تغني على عود بلا وتر ، وتجد ذلك ممتعاً . . .

● ماذا يعني لك الرجل ؟ اية علاقة يمكن ان تقيمين معه ؟

- الرجل ليس وثناً ولا شيطاناً . ولم اقل عليه يوماً بالتحامل او طلب الكمال . الرجل العربي يعني لي منجم كنوز لا نهاية لعطائها . . . انه كالخيسان العربي من انبل السلالات في نظري يمنح غالباً بلا حساب شرط احترام كبريائه وعدم السقوط في فخ محاولة ترويضه . . ثمة شيء لا يطيقه الرجل العربي ولا يسكت عليه ، هو محاولة اذلاله وتركيمه كما تفعل اقلية من مريضات النفوس اللواتي يتوهمن ان الدليل على حريتهن وقوتهن هو في اذلال رجلهن وسلبه حياته العامة والخاصة وتحويله الى كائن هجين ، بدلاً من المساهمة في تغذية ازدهاره ، وازدهارها اذا كانت قادرة على بناء نفسها في الحياة العامة وليس على اشلائه . .

لا انزّه الرجل العربي عن الاخطاء ، ولكن من قال ان المرأة معصومة عن الخطأ ؟ . . لا اريد الدخول في الحالات الفردية الشاذة المتبادلة لانني اريد ان اتحدث عن الجوهر . ومن حيث الجوهر أرى ان تحرر المرأة هو حالة حية من تبادل العطاء والتفاهم ووجهات النظر . . . وليس في العلاقات رجل شرير وامرأة نعجة - برجه عام - ولا العكس ، بل ثمة عصور من التخلف وسوء التفاهم المتبادل تترك رواسيها (وحساسياتها) . والحلل ليس بنبد الرجل ووجهة نظره والعيش في (يوتوبيا) تسوية وهمية من الحس بالعظمة والاضطهاد في آن ، بل في الانفتاح الصحي الودي على نصفنا الحشن ملمساً والناعم قلباً وعطاء . . اقيم مع الرجل كل الصلات التي تؤكد انسانيته وتساهم في ازدهاري ومجتمعي

ووطني ، وتشعل اصابعي وتنكس رايات احزاني . . . لقد عرفت الرجل - الزميل في العمل ، والرجل الحبيب ، والرجل المواطن رفيقي في الهم القومي العروبي ، والرجل الأخ والشريك . . . وعرفت ايضا « الرجل - الحرب » . فانا لست رومانسية تجري عمليات تجميل للحقائق ، عرفت علاقات الاظافر والانياب والحقد كما الضوء والفرح والازهار . . . وظل الرجل العربي هو ذلك الرفيق الذي امتلك احترامامي رغم تخلفنا المشترك وسقطاتنا المتشابهة . . . المهم ان نتعاون للزحف صوب الضوء لا ان نقتل فيما بيننا والعاصفة عدوانية ، والزمن يحاول سحقنا معاً بحذاء التاريخ . .

● هل تفضلين او تصدقين اكثر الشخصيات التي تملئها عليك تخيلاتك في رواياتك وقصصك ، ام الشخصيات التي تطالعك في الواقع ؟

- افضل الشخصيات التي تطالعني في الواقع ، لأن القدر هو اعظم روائي . . . احاول ان اتعلم من الشخصيات التي تمر بي (او تقيم ا) ، فالسلوك البشري مدهش . والانسان العفوي مدرسة . . . تلك العجوز مثلاً التي كانت تدخن بشراهة وظلت تسعل في الفهي حتى كادت تخنق وأرعبتنا ، ماذا فعلت حين هدأت ؟ اقسمت ان تكف عن التدخين ؟ لا ! وسط ذهولنا ، اشعلت سيجارة اخرى . . . وذلك الشاب (البانك) الذي اخافني منظره ورفاقه آخر الليل ، هل غرس سكينه في عنقي حين جاءني ؟ لا ، بل سألي خائفاً عن موقف التاكسي ، ورافقتة وصحبه المذعورين من ليل باريس وقد حملوا لي حقيبة اوراق . . . الحياة مدرسة مذهلة ، ووحده الفنان الذي انتهى يقع صريع حب شخصياته ، وكيف عن تأمل متحف الحياة حوله .

● كتبت مرة « اهرج صديقاتي ، واخون احبابي مع ابطال قصصي » . هل هذا يعني انك تفضلين شخصيات رواياتك لأنك تبتكرينها انت وتضبطين حركتها ، بينما الشخصيات في الواقع هي غير ذلك ؟

- شخصيات رواياتي أنا ابتكرها ، لكنها هي التي تضبط حركاتها الذاتية وتمرد على اي ايقاع مسبق ، وتختار لنفسها مسارها المنسجم مع شخصيتها وواقعها الاجتماعي والتاريخي . . . بل انني قادرة على التدخل في حياة الذين حولي اكثر من قدرتي على تبديل رفة عين في جفن احد ابطالي . . . انهم يكتبون انفسهم ، وكل ما افعله هو انني ارصدهم وانقل اصواتهم (وانجس) على سلوكهم . . . وهذا يتطلب التفرغ لهم في مرحلة الكتابة وهجر صداقات العالم الخارجي ريثما تنتهي الرواية ، ويتابعون حياتهم خارجها . . . بدوني ! . . .

● ما هي المسافة بين تجربة روايتك « كوابيس بيروت » كواقع معاش ، وبين كتابة هذه الكوابيس ؟

- شاسعة كالمسافة بين المذكرات التي تنقل الواقع المعاش ، والفن الذي يخرج بها من ذاتيتها لتصير تجربة تخص كل انسان يواجه حربا مركبة مريرة . . . لقد ترجمت هذه الرواية حتى الآن الى « البولونية » و« الروسية » و« الالمانية » ضمن نطاق النشر الواسع ، والى « الفرنسية » ضمن اطار اطروحة دكتوراة للسوريين . . . واولئك ليسوا معنيين بما عشت (بعضهم لا يعرف ان كنت كاتبة او كاتباً ، كدار نشري الروسية التي طبعت ٥٠ ألف نسخة من عملي كطبعة اولى وتخططيني في رسائلها بعبارة : مستر السمان !) . . . وتلك المسافة ليست بالضرورة شاسعة كالمسافة بين ألف ليلة وليلة والف كابوس وكابوس ، فالهم هو لمسة قوس القزح الفنية التي تخرج بالتفاصيل من الذات الى العام دونما افتعال او اقسار . . . وتنقل هموم شعب في محرق افراد احياء يتعذبون ويشتملون ، ويصارعون اقدارهم وحماقاتهم وعدوان الآخرين عليهم . المستشرقة حنا يانكوفسكا التي نقلتها الى البولونية قدمت للرواية بأنها حكاية المساة الفلسطينية ، وواقعي المعاش يقول انني لست فلسطينية ، ولكن روايتي في احد مستوياتها تترجم ذلك الهم . . . وذلك ما لفت اليها المترجمة ودار النشر . . . اذن ، مع الكتابة يذهب الفنان ليصطاد كلمة مضيئة دون ان يعرف بالضبط ماذا ، واذا لم يفشل وجد الناس في عمله اشياء مختلفة وهواجس متعددة . . . وتناولها كل من الزاوية التي يجد نفسه معناها . . . والكاتب معني بشيء واحد : محاولة الانطلاق من واقعه المعاش لرسم حقيقة فنية انسانية . .

● معروف عن عادة السمان انها تهجس وتخاف من الموت ، هل ضاعفت الحرب هذا الهاجس عندك ؟ هل ان اللجوء الى الكتابة هو سلاحك في مواجهة الموت ، وطريقة ما في الاستمرار ؟

- اخاف الموت العبي الذي لا يجدي ، ويفجعني في لبنان (الاتهام الاخوي) بدلا من الانقضاض على العدو . . أهجس ايضا باشكال الموت المتعددة الاخرى : موت الاحياء وهم يتابعون حياتهم الخاملة . . . موت الاشياء الجميلة . . . موت القيم . الحرب ضاعفت وعمي بأهمية الحياة ، لأنها المادة الوحيدة لصنع طموحاتنا (ما عدا الموت الاستثنائي ، حين يكتب المرء سيمفونية حياة خارقة بضربة موت واحدة كما فعل اولئك النبلاء الذين فجروا انفسهم بالعدو ، وكما فعل خليل حاوي حين سطر قصيدة احتجاجه

على التخاذل العربي برصاصة على صفحة حجمته) .
ككاتبة ، صار هاجسي عدم هدر الوقت قبل كتابة ما اشتبهى قوله . . . وفي
المرات العديدة التي واجهت الموت فيها في بيروت ، تحت القصف ، وبين شظية
واخرى ، وفي طوابير الاحباب الذين مزقتهم قذيفة امام بائع الخبز واكتفت بجرحي ،
كنت اقول له : دعني انجز هذا السطر . . . اعرف انك حق ، وانني لن املك ذات يوم
الا ركوب قطارك ، ولكن محبرتي ما زالت ممتلئة كبحر . .

اقول له ذلك وانا اعرف انه لم يستأذن احداً من قبل . . . هكذا نحن البشر . . .
هزليون تضحك منا ستائر مسرح الوجود ! اللجوء الى الكتابة قد يكون احد الاسلحة
العتيقة لمواجهة الموت لكنه استحضار للموت في أن معاً ، لانه الوعي والصحو ، وكل
وعى ينفي الموت يتحول الى نكتة مملّة تفهقه ففاعاتها وهي تنفخ . الكتابة هي الطعنة
والدواء في لحظة نارية واحدة . . انها استحضار الموت من النسيان ونفيه الى الذاكرة في
آن . . .

● بين الماضي والحاضر والمستقبل ، اين تعيش عادة السمان اليوم ؟
- ماذا يتبقى من جلدي إذا تخلّيت عن طعنات الماضي التي ترصعه ؟ أرتدي الحاضر
وعيني على المستقبل ، وأعيش امتزاج الأزمنة . . فالماضي لا يغادرنا حقاً ، وشهية
الحاضر تعني الانتباء الى المستقبل كي يصير للأزمة كلها معنى التناول . بالنسبة لي ،
الماضي حاضر في حاضري ، وحصان جميل عليّ ان اتعلم كيف اروضه في ركضي الى
المستقبل والا سقطت تحت سنابكه . .

● من المعروف عنك انك سافرت كثيراً ، وانك مستنفرة دائماً للرحيل ، ما هو سرّ
هذا الرحيل ، والى اين ؟

- اعي بوضوح انني في زيارة قصيرة على هذا الكوكب ، واريد ان اراه جيداً كأية سائحة
مثالية قبل ان امضي بعيداً . . . لكن القلب لا يستطيع ان يكون مجرد سائح على جلد
زمه . . . وحين نرحل ، نحمل معنا هواجننا وهمونا ، وكلما ابتعدنا عن الوطن نراه
بمزيد من الوضوح كالنجوم في ليلة صافية صحراوية . . كأن الغربة رحيل سري الى
الوطن ، والدروب كلها تقضي في النهاية الى مسقط القلب . . .

الغربة توجعني احياناً لكنها لا تخيفني . المرعب حقاً غربة الانسان في بلده بين
صحبه واهله وخلّانه . . وغربة المرء عن ذاته ، عن جلده ، عن صوته الداخلي
الحقيقي . . . الفراق الذي يكسر قلبي هو فراق المرء عن جوهره وحقيقته .

● نشعر امام عنوان كتابك « رحيل المراقىء القديمة » وكأن الرحيل قد رحل ، وما عاد ثمة مراقىء يحيط عليها المسافر رحاله . .

- وذلك يعني ببساطة ان علينا غربة « المراقىء القديمة » ، واعادة بناء جيلها بالمعنى الانساني حتى ولو كان تراثياً ومتوارثاً ، والتخلي عن الهياكل الفارغة الضخمة حتى ولو شفع التراث بها . . ويعني ايضاً ان علينا بناء مراقىء جديدة من صنعنا ، ولا يضيرها - ولا يشفع بها - ان تكون جذورها مغروسة في تربتنا منذ اقدم العصور . .

حزين هو رحيل المراقىء . . . ان يركض قطارك ، والمحطات تهول امامه على السكك اللامتناهية ، بلا توقف . . . بلا عصفور يؤنس النافذة او وردة تنبت في قحط الهباب المعدني . . . لكن المفجع حقاً هو التخلي عن حلم بناء محطات ومناورات جديدة . .

● غادة السمان من اكثر الادباء العرب مبيعاً ، الى ماذا تعزى ذلك ؟

- لا اعرف بالضبط ، لكنني لن اخفي فرحي بهذه الحقيقة وراء قناع التواضع الكاذب . اني فخورة بالطبعات العديدة لكتبي ، واشعر بالدفء حين التحلها تنعم بالامان في بيوت قرائي العرب . . . حيناً أمشي في ليالي باريس الباردة فوق الثلج وحيدة ويكاد الصقيع يسلبني انفاسي ، اذكر ان كتبي تنعم بالدفء والضوء في ملايين البيوت العربية فامتلىء بالقوة . . واضرب اكوام الثلوج بقدمي بصلاية اشد ، واشعر بانني لست وحيدة ، ولخطواتي جذور اينما مضيت ومهما تشردت . . . وسأكتب المزيد ريشاً تطلق الحياة سراحي . . القارىء البعيد القريب هو الوهم الكبير الجميل في عمري ، لكنه ايضاً الحقيقة الاولى . . .

● هل تعتبرين ان كونك امرأة يؤثر على تلقي نتاجك الادبي عند القارىء العربي ؟

- نعم ولا . في مراحل الاولى ، كان له بالتأكيد بعض التأثير . . . بمعنى فضول القارىء : ماذا تريد هذه المرأة ان تقول ؟ بعد صدور كتاب او كتابين لي ، يعاملني القارىء كقلم « انسان » . . . انه لن يشتري المزيد من كتبي الا اذا وجد لدي ما اقول ، اما فضوله « المذكر » نحوي « كائن » ، فقد انطفأ . ٢٥ كتاباً قدمتها للقارىء العربي ، صدر آخرها هذا الشهر « الاعماق المحتلة » ، ولا اعتقد ان قارئاً واحداً سيشتريه تحت سطوة « تاء التأنيث » التي تصادف وجودها في اسمي . . . واذا فرضنا جدلاً ان كون الاديب « أنثى » يؤثر في مجرى تلقي نتاجه الادبي ، فذلك سلاح ذو حدين . . . فالقارىء العربي ذكي ومرهف ، وسيكون غضبه مضاعفاً اذا اوقعته خديعة

ادبية مؤنثة في حباتل هدر وقته .

● لمن تقرأ عادة السمان حالياً ؟

- كمادتي ، اقرأ كل ما تطاله يداي بثلاث لغات ، وقرأ الاصوات التي اسمعها ، والألوان الراكضة في دفتر الطبيعة ، وقرأ الجمر تحت الرماد العربي ، والجرح الذي لن يندمل كيفما اتفق .

● الى اية موسيقى تستمعين ؟

- احب عبقرية الرحابة وأغاني فيروز ، ولا ادري ايها اروع حتى الآن : صداقة تلك السيدة، أم صوتها؟ احب كل ما هو اصيل في الموسيقى العربية ، وما أقله وسط طوفان التضاوة والميوعة في هذا الحقل . استمع كثيراً الى الموسيقى الكلاسيكية ، ولكل وقت موسيقاه . لا استطيع مثلاً الانصات الى بيتهوفن صباحاً ولا اثناء الكتابة لأنه يسحقني تحت سنابك عبقريته ، ويحتلني بجنونه طارداً افكاري . بالمقابل ، شوبان عذب وشفاف للحظات الكتابة ، وكذلك تشايكوفسكي المتوحش الدمة ، وبرامز عصياً ، وموزار نهر الابداع المسائي ، وجريك الدافئ رقيق ، وشومان متوجع وحنون ورحمانيونوف مرهف ، وكلهم يجتل حيزاً من حياتي لا يحظر ببال الى جانب ليست وسيلبيوس وباخ وغيرهم ..

واعترف انني ذات ذوق (محافظ) في هذا الحقل . فقد استمعت طويلاً الى بيلا بارتوك وجيرهارد بروخنر (الكلاسيكية الجديدة الالكترونية !) فلم يروقوا لي ، لكنني لن اقول عنهم ما قاله « روينشتاين » ذات يوم في (كونشرتو الكمان) لتشايكوفسكي : « انها بلا اية قيمة ولا تستحق مجرد العزف . انها سيئة ، تافهة ، سوقية ، مفككة فنياً »

لعلهم سبقوا زمنهم وانا قاصرة عن تذوق فنههم . لا ادري .

● من تحبين الآن ؟ وماذا تحبين ؟

- كمادتي ، احب رجلاً لا اعرفه . . . ستشاجر طويلاً حين نلتقي ، ويتهبي بي الامر كالعادة ، وحيدة اسبح في محبرتي وانا افكر بالرجل الآخر الذي لم اعرفه بعد ! ماذا احب ؟ عمري لا يتسع للأشياء كلها التي يخفق قلبي طرباً لها . . البحر . . . صوت الاصداغ . . كائنات الطبيعة الجميلة كبيرها وصغيرها ، من تلك التي تعارف الناس على انها جميلة كالنمر والحصان ، او الاخرى التي احبها ايضاً كالحراذين اللطيفة والافاعي الطيبة والطوايط الغريبة وسواها من مخلوقات الله المدهشة . . . الصبار . . . حجر

الصوان . . . النجوم . . . الغابات . . . الوردة وحدها معجزة صغيرة قلما نلتفت اليها . . كيفا تحركت على هذا الكوكب المدهش يخفق قلبي طرباً للقاءات جميلة عذبة وسرية . . وحين ينكسر شيء في عمري واحزن ، يكفي ان التحسس بيدي قبضة تراب حبة مسكونة بالبدور اللامرية وانا امس : تبارك الخالق . . . او التحسس نبتة خضراء وأقول لها : مساء الخير . . . او أهول على شاطئ النهر ، ويربي النورس الابيض ، فأنس اليه مرجبة : اهذا انت ثانية ؟ بهذا المعنى ، لم اشعر يوماً بالوحشة المطلقة حتى قاع عظامي ، وحين تخذلني الدنيا كلها تظل ثمة مرافء صغيرة الجأ اليها . . وهي مجانية ومتوافرة ولكن قلما ينمي الناس صلتهم بها . .

● انت التي تبتكرين شخصيات خيالية ، كيف تتعاطين مع الطفل الذي انجبته ؟ وما تعني فكرة الامومة لامرأة تزاوّل الكتابة ؟

- الخطوة الاولى للتعاطي مع الطفل الذي انجبته هي النسيان : ان انسى انه كان طفلاً (امتلكه) . هذا جزء من ذكرياتي لا ذكرياته هو . انظر اليه كشخص مستقل قائم بذاته ، واحاول ان امنحه الحنان والحرية معاً . مأساة الاولاد ان اهلهم يمنحونهم الحنان مقابل سلبهم الحرية . . حرية ان يكونوا اشخاصاً مستقلين بمعاني الكلمة كلها . . ان يستقلوا عن طموحاتنا المحبطة وهواجسنا المتوارثة واحقادنا الشخصية ، وثأرنا من الحياة الذي نرغمهم احياناً على ان يتابعوا مجازره .

حين اتعامل مع ابني ، احاول دوماً ان اتذكر كيف كنت يوم كنت في سنه . . . وما كان يضايقي يومئذ من عالمي . اعتقد ان الاسرة العربية مؤسسة جميلة تستحق الحرص عليها ، ولكن علينا تحويلها الى مؤسسة ديمقراطية ، ونطلق سراح ابنائنا من احلامنا الصغيرة ونتركهم يصنعون دهشتهم بانفسهم بعد ان نفرس في نفوسهم الانتفاء القومي الى الوطن والمجتمع . . لا يبق لنا (في شؤونهم الخاصة) ان نرغمهم على ان يعيشوا عنا حياتنا من جديد ا وكي لا نتالم ، علينا ان نتذكر ان تعليم التحليق لاولادنا بالنظريات وبالمراسلة امر مستحيل . . . ولا بد ان ندعهم يجرّبون اجنحتهم حتى ولو كنا متأكدين من سقوطهم . . لا يمكن لاحد ان يتعلم الطيران اذا لم يجربه بنفسه . ويكسر جانحه غير مرة . . ومن حقهم ان (يغفلوا) ومن واجبنا ان ندعهم يرتكبون اخطاءهم ، وقد نستطيع ان نورثهم اموالنا ولكن ليس خبراتنا . . زراعة القلب ممكنة ، اما زراعة الذاكرة فمستحيلة . كأم ، انا منحازة لاستقلال ابني ، وحين يكبر سيسعدني ان تكون صديقين . هذا اقصى طموحي .

تسأليني عن معنى الامومة عند امرأة تكتب ؟ الامومة تعني درساً في الحب . .
الحب الحقيقي بمعنى العطاء دونما انتظار مقابل حتى في قاع الذات ومعنى قبول الآخر كما هو وضمن شروطه لا على أمل تبديله (و اصلاحه) .

● هل تطبخين ، وماذا تطبخين ؟

- اعالج الابدئية في قدر الساحرات . اوقد الليل في الغابة ، واذهب الى (الطبخ) وقد عقدت شعري بمنديل الرياح وزينته بامشاط الصواعق ، واحمل معي ملحاً من دموع العاشقات العربيات ، وبهاراً من سفن قراصنة تكسرت على نصل ضوء حنايهن وشراستهن ، وامرأة كانت قطعة من قمر محطم في ليلة فراق ، ؛ واقول للحزن كن ، فيكون حرفاً !

● هل شعرت يوماً بانك عاجزة عن نقل بعض احساسك من خلال الكتابة ؟
- دوماً اشعر بذلك ، ولذا استمر في المحاولة .

● خارج الكتابة ، كيف تعبرين عن نفسك ؟

- بشكل في غاية الرداءة . انني دوماً قادرة على ان ابدو أفضل مما أنا ، او اسوأ مما أنا . . . ولكنني لم اقدر يوماً على التعبير عن نفسي لأحد كما (أنا) ، خارج أداة الكتابة . . . وربما لذلك أصر حتى على كتابة (اجاباتي) الصحفية . فالكتابة أداتي التعبيرية الوحيدة الاقرب الى حقيقي .

تعبيري الوحيد عن ذاتي خارج الكتابة يحدث دوماً بلغة حسية وبكفاء ، كالسباحة وركوب الداراجة في الغابة والامساك بالافاعي التي اتفاهم معها عبر الكهارب والسيالات والشحنات العاطفية التي لا تصاغ بالكلمات ، وهي لذلك لا تلدغي كما يفعل بعض الاحباب والخطأ ليس فيهم ، ولكن في قصور لغة الصمت بين الناس الى ما دون مستواها حتى عند الافاعي وقصور لغة الكلام المعطلة دائماً عندي .

● مارست العمل الصحفي ، وما زلت تطلين اسبوعياً على القراء العرب . هل من احداث طريفة او هامة بدلت في مجرى حياتك عند قيامك بالتحقيقات الصحفية ؟ ما ابرزها ؟

- الاجابة على هذا السؤال تعني نشر فصل كبير من مذكراتي . لذا اكتفي بامثلة سريعة . . . حادثة طريفة ؟ كنت اكتب تحقيقاً في مستشفى المجانين ، وأمتشي بحذر بعدما نهني الطبيب الى ضرورة تحاشي مجنون عنيف وخطر ، وأرافق دليلي المريض وانا اتحدث الى المرضى وعيني على باب الهرب ، وكان دليلي لطيفاً رقيقاً يستشهد بأعذب

الشعر ، وحين ودعته أمام الباب اعطيته عنواني في بيروت ليتكرم بزيارتي ، وركبت في سيارة الطبيب الذي سألتني : ما هي الورقة التي كنت تعطيتها لمجنوننا الخطر ؟

ثمة أحداث أخرى أقل طرافة وأبعد تأثيراً ، منها ذهابي مع الصيادين الى البحر لتحقيق عن همومهم وقد اصطادهم القهر ، ومع الفدائيين في جنوب لبنان في إحدى غاراتهم ضد العدو ، ورحيلي للتحقيق في جريمة قتل ارتكبتها احدهم واعترف لي بها في رسالة سطرها قبل انتحاره ، وذهابي بالقلم والكاميرا الى اصقاع مهجورة نائية في لبنان وعالمنا العربي(في وادي قنوين اضطرت الى ركوب الدواب لانجاز التحقيق لافتقار المكان الجميل الجليل الى طريق !) وبوجه عام ، كان لعملي الصحافي ابلغ الأثر في مساري الروائي وسلوكي المعيشي ككل . . فالصحافة هي ملامسة الجرح بلا قفازات . انها الدخول الى محرق أوجاع الآخرين ، وهي تعلم الانسان كيف ينصت الى غير صوته (وهو ما لا يميل اليه الاديب غالباً !!) ، اي ان الصحافة هي العبور المباشر الى الدورة الدموية للوجع الكبير . . . ولذا فضلتها منذ صغري على المهن الأخرى كلها ، حتى التدريس الجامعي

- ٣ -

استجواب حول المرأة - الرجل - التحرر

- حقوق النساء واجبات الرجال .
- كارل كراوس -
- ثمة خلافات بين أبناء الجنس الواحد أكثر من الخلافات بين الجنسين .
- روبرت لوي ستيفنسن -
- بين أولئك الذين يكرهون القمع ، ثمة كثير من القامعين .
- نابليون -
- يدفع المرء ثمناً باهظاً من أجل ابداع عمل يبقى ... يدفع حياته كلها ... فكيف يصلح بعدها لشيء آخر ؟
- ثورو -

سعيد طه يستجوب

● لا نريد استبدال رجل قاسٍ بامرأة قاسية !

للكلمة عندها نكهة شرقية خاصة ، ومن خلال اسطر رواياتها تفوح رائحة المرأة في عنفها وتمردا . . في كتاباتها ابداع واشراقة ، تحاول من خلالها ان تتجاوز حدود الاقليمية التي تسعى الرجعية الى ترسيخها في أعماق الانسان العربي . في بيروت كان لنا جولة طويلة مع الادبية والقاصة السورية اللبنانية غادة السمان ، حدثنا فيها عن البداية والمرأة ورحلتها مع الأدب .

● غادة السمان من أنت ، ومن صنع منك أدبية ؟

- أنا امرأة عاملة وأم لصبي واحد (حازم - ٨ سنوات) تسألني من « صنع » مني أدبية ؟ . . . الجميع ، ولا أحد . لا ريب في ان عوامل كثيرة تضافرت وساهمت في تكوين شخصيتي ككاتبة .

لنستعرض بحياء واختصار ، وقائع حياة تلك المرأة التي هي أنا . نشأت في بيت تسكنه الكتب . والدها أرمل وهي رفيقته الوحيدة ها هي طفلة تنمو في مناخه ورفاقه من اساتذة الجامعة ، وتألف لغتهم وعالمهم وقد انكسرت طفولتها لكنها وجدت البديل في عالم المعرفة الباهر . . ترحل الفتاة مزودة بالعلم . تواجه العالم القاسي وحيدة . تعمل باستمرار وتعيّل نفسها . تغامر تفشل : تنجح تفتش عن مدن جديدة وحقائق جديدة . تسقط اكثر من مرة ولا يرفعها أحد ، وتتعلم كيف تخرج باستمرار من رمادها لتعاود تقمصها في جسد امرأة . تلملم اعضاء جسدها المتناثرة حولها فوق ثلوج الغربة وتلصقها من جديد لتتابع ركضها من أجل عالم أقل بشاعة وكلمة اكثر عطاء . . .

ولكن ، هل كان ممكناً ان تجعل مني هذه الأمور (وسواها) كاتبة لو لم تكن بذرة الكتابة مطمورة في أعماقي ؟ ام ان كل ما فعلته الغربة والثقافة ورحلة الزحف فوق

الجمر ، هو أنها حضنت تلك البذرة الجهنمية التي لا تنمو بغير الألم وأنضجتها ؟ ...
لا أدري ...

● لمن تكتنين ؟

- أكتب غالباً للذين لا يقرأوني ! ... أكتب للمتعبين والبسطاء والمُعذَّبين وأكثرهم في عصرنا الحاضر وفي عالمنا العربي من الأميين . من هنا كان فرحي كبيراً حين علمت بحملة مكافحة الأمية في أكثر من قطر عربي . أكتب أيضاً للذين لا يملكون ثمناً لكتبي ! ... وهذا طاملاً أوجعني . بعض الذين يقرأون كتبي هم الذين كرسوا كلماتهم لفضح قيمهم المزلية ومجتمعاتهم الاستهلاكية واحتفالهم التكرية الكرنفالية حيث عالم الألقعة والزيف .

وهذا الكلام ينطبق بصورة عامة على أعمالي الأخيرة .

● ما هو أحب كتبك إليك ؟

- أحبّ كتبي التي هي ذلك الذي لم اكتبه بعد . بالاحرى ، تلك اللحظة التي تسبق الكتابة ، حين يكون الكتاب سديماً مضيئاً ملتهباً يمتشق جدارات رأسي وروحي كشفرات مروحة جهنمية الدوران مستقطباً كل الكلمات المنسية والكلمات التي لم تقل الكتابة كالحب ، أحلى وأصدق لحظاتها هي لحظة ما قبل اللغة ، اللحظة المضيئة التي تسبق مثلاً التصريح بالحُب لغويًا ورسميًا ليتحول بعدها الى جزء من الاشياء المقبولة الخاضعة لنصوص سلفية وأطر جاهزة ! في هذه اللحظة أحب كتابي الذي تزدحم كلماته فوق الرأس الدقيق لقلمي ، وتصرخ بلغة غامضة وبكل الصدق البدائي لإنسان الكهف الحجري لحظة تناول عن الأرض حجراً لأول مرة ليرسم به على جدران كهفه صرخة روحه ..

● هل تشعرين بوجود فجوة بين ما تكتنين وما تؤمنين به ؟

- لا أشعر بمثل هذه الفجوة ، لأنني منذ البداية وطنت نفسي على إعلان صدقي جمهورية مستقلة أيا كان الثمن في البداية كان الأمر موجعاً والقمع الاجتماعي شبيه بلسع السياط . ثم صار الألم من بعض العطاء بصدق . الذين يقبلون بتدجين فنهم مرة ، يخسرونه الى الأبد ، خصوصاً في مراحل العطاء الأولى لأنهم يألّفون ذلك الذل الصغير الصامت ، ويصيب عطاؤهم ما يصيب أقدام الفتيات الصينيات أيام كانت توضع في الاحذية الحديدية كي لا تنمو .
أنا شرسة كالبرق ، ووحيدة كقطرة المطر ، وليس هناك ما اختشاه سوى عذاب.

الداخلي المريع إذا جرؤت مرة على خيانة صوتي الداخلي ولكنني أعاني من عذابين :

(١) العذاب الذي يخلفه إحساسي أحياناً بوجود هوة بين الفكر واللغة أي بين ما أرغب في قوله ، وما اكتشف أنني قلته بعد أن دخلت الفكرة نطاق اللغة . أحياناً أحس بهوة ، وأتعذب ، واكافح بضراوة كي أمتلك ذلك الصفاء الذهني والمهارة اللغوية في أن معاً بحيث تصير الكلمات (جنود مجندة) للأفكار ، تتعارف وتتألف دوماً تنافر أو اختلاف .

(٢) العذاب الذي يخلفه الاحساس بأن للحقيقة أكثر من وجه واحد . وهكذا فالفجوة ليست بين ما أؤمن به وما أكتبه ، ولكنها بين ما أؤمن به بيقين مطلق أو بيقين نسبي أو بإيمان مهزوز . وهو أضعف الإيمان .

فمشكلة الفنان مع العالم الخارجي لا تخيفني وقد روضت ذاتي على احتمال النتائج أياً كانت . جوهر المشكلة يقع في داخلي ! في الإيمان بحقائق نهائية وسط عالم فقدت محطاته ورشدها وصارت هي التي تركض على سكك القطارات وصار على كل قطار أن يعيد النظر بسكته ومحطاته وبزمن رحيله ووجهة سيره .

● بآية أحاسيس تكتبين ، المرأة أم المواطن ؟

- لا تناقض بين أحاسيس (المرأة) وأحاسيس (المواطن) ، أنا مواطنة ، لا تلغي تاء التأنيث في اسمها مواطنتها الحققة ، وانشغالها الحقيقي بقضايا وطنها .

● غالي شكري أصدر مؤخرًا كتاب نقد لكتابات غادة السمان . فيها رأيك بالكتاب ؟

- كتاب غالي شكري النقدي عن عمالي كتاب جاد وعلمي جدير بالاحترام . وهو بداية جميلة لظاهرة أتمنى أن تنتقل عدواها إلى بقية النقاد ، بحيث يُدرس نتاج المرأة الأدبية بمعزل عن النظرة السلفية الدونية التي نجدها لدى بعض النقاد نحو أي شيء تكتبه المرأة وقبل حتى مجرد قراءتهم لأعمالها

أوائل السبعينات ؟ حوار مع مجهول*

● ما الحب الا للحبيب الآخر

● هل هناك بين الادباء العرب من يستطيع ان يصور احاسيس المرأة بصدق وواقعية ؟
- ذلك يتوقف على ما تعنيه بأحاسيس المرأة . فالاديب المبدع هو ذلك القادر على تصوير احاسيس الانسان ، امرأة كان ذلك الانسان أم رجلاً . . . في الادب ليس هنالك (تخصص) في طرح قضايا الانسان وليس هنالك ما يستدعي مثل هذا الفصل بين قضايا الرجل والمرأة حتى ولا مرحلياً . . . فما يسمى بمشكلة المرأة العربية وأحاسيسها وحقوقها وتخلفها ما هو الا جزء من مشكلة الانسان العربي ككل وأحاسيسه في خضم ذلك وانتزاع المرأة لحقوقها هو جزء من معركة انتزاع الإنسان العربي لحقوقه السياسية والاجتماعية والانسانية والجنسية ، والمرأة داخل الأسرة الواحدة هي « البروليتاريا » والرجل هو طبقة « البورجوازية » ! (في الطب هنالك ضرورة لتخصص الطبيب في الطب النسائي مثلاً ، وذلك لان تكوين اعضاء المرأة ، المخصبة (رحم) يختلف عن اعضاء الرجل . . .) أما في الادب ، فالدماع واحد ، والشبكة العصبية واحدة ، والاحاسيس واحدة ، والعذابات واحدة ، والاضطهاد واحد . . . في التاريخ ، جميع الفنانين الكبار كانوا قادرين على خلق نماذج انسانية خالدة نسائية ورجالية على السواء . . . فالنسيج الانساني هو نفسه وان اختلف تشريحياً في بعض المواضع .
وصحيح ان ذلك الاختلاف التشريحي يؤدي الى بعض الاختلاف الوظيفي (المرأة هي التي تحمل لا الرجل) ، ولكن احاسيس المرأة عالم كبير وما حكاية الحمل والولادة الا من بعضه ، والادباء الكبار قادرون حتى على تجاوز ذلك الحاجز برؤيائهم الثاقبة ، وكمثال اذكر بشخصية « مدام بوفاري » التي ابدعها رجل هو فلوير ، وبشخصية « آنا كارنينا » التي ابدعها رجل هو تولستوي ، والشواهد المماثلة كثيرة .

(*) هذا الحوار وجدته لدي في نسخة الخاصة (فوتوكوب) ولم يزودني به صاحبه بعد نشره ، ولم اكتب عليه اسم المحاور ليعني بانني لن اتسب ، اولائه صديق حميم ، ولكنني نسيت لينا يبدو . ولست متأكدة من تاريخ الحوار .

● هل تغيرت أحاسيس رجل القرن العشرين ؟ هل لا يزال ذلك الإلته بالنسبة الى المرأة ؟

- الرجل (المنفوش) شعر الصدر والذي جر امرأة بإحدى يديه من شعرها وحمل بيده الاخرى هراوة وتاه زهوا بعضلاته القولاذية على بقية حيوانات الغاب انتهى عصره على مااعتقد . . . لقد سقط عصر «الرجل الوثن» ، والمرأة العاملة كفت عن وثنيها العاطفية . . . صارت تبحث عن الرفيق في الرجل لا عن السيد . . . لم تعد تسجد لحامل السوط ، والمركيزدي ساد انتهى عصره مع بدء عصر المرأة العاملة وبدأ اليوم عصر الرجل الشريك ، شريكها في مواجهة متطلبات الحياة المعاصرة على الصعيدين : العملي اليومي المادي ، والصعيد الوجداني الميتافيزيكي (صعيد ما وراء الطبيعة واسرارها وانعكاس ذلك على الانسان) . . .

● مررت في حياتك العاطفية بالمرحله الطبيعية للمرأة . . ماذا اكتسبت ، وماذا خسرت منذ ارتعاشات المراهقة الاولى الى الآن ؟

- لا . لم امر في حياتي العاطفية (بماتسمونه) المراحل الطبيعية للمرأة . لقد عشتها باستمرار كلها دفعة واحدة . . . كنت دوما مرافقة وصبية وكهله وعجوزا في آن واحد . . . وهكذا فاني لم اخسر شيئا منذ ارتعاشات المراهقة الاولى حتى الآن لان كل لحظة حب حقيقية تعيد الي رعشات المراهقة دون ان تجردني من قدرة الشيوخ على امتصاص التجربة واستنزافها والاستمتاع بها . ربما كنا نخسر الزمن لكننا دوما نربح التجربة ، والتجربة تغلطنا اختصار كثير من الزمن الضائع ، الزمن الذي لا يحسن المراهقون استعماله ولا يوظفونه ، ونخسرونه ، ويصيرون بالتالي اقل امتلاكاً له من سواهم . . التجربة هي اختصار للزمن الضائع . . .

● ما هو اول ما يلفت نظرك في الرجل عند رؤيته . . . واستطرادا من هو الرجل الذي يستطيع ان يلهمك قصة ؟

- لا شيء . ليس هنالك رجل يستطيع ان يلفت نظري منذ الوهلة الاولى الا اذا كان مصاباً برصاصة او جريحاً مثلاً او مهرباً . . . بالنسبة اليّ النظرة الاولى هي اللقاء عبر الاقنعة . . واللقاء عبر الاقنعة والقفاذات لا يهزني . . .

يستطيع الرجل ان يلفت نظري بعد ان اسمعه يتحدث واري تصرفاته . حديث الرجل هو الرجل بالنسبة اليّ . . فالحديث مرآة النفس والسلوك شاشة الروح . .

والرجل بالنسبة الي نفس وروح لا مجرد حيوان جميل في غاب حفلات الكوكيتيل .انا لا (ارى) أي رجل الا بعد ان (اسمعه) . وبعد ان اسمعه اقرر فيها اذا كانت لدي رغبة لرؤية المزيد منه ام لا وبعد ان يخرق ذاتي بصوته ويمضون ذلك الصوت من افكار، تبدأ عيني دورتها . . . اطلقها حوله كمصباحين في مطار ناء، واتبأ لاستقباله في عالمي . . . أما الرجل الذي يستطيع ان يلهمني قصة فهو اي رجل قد أمر به . . بالنسبة الي كل انسان مادة اولية غنية لكتابة قصة ما ، بل ان كل شيء يستطيع ان يلهمني قصة . . حتى احجار الارصفة المتآكلة . . .

● اين انت كشرقية من نعمة « الحياة الحرة » التي تنادي أو تقول بسلبية الزواج وعدم ضرورته في علاقة المرأة بالرجل ؟

- لا استطع ان افهم لماذا الزواج هو بالضرورة ضد « الحياة الحرة » . . . ولماذا نعي « بالحياة الحرة » اشياء قذرة وسوقية مثل الانضمام الى نوادي العرة أو تأدية نمره سترتيز في سوق مزدحمة . . . عبارة « الحياة الحرة » توحى لي شخصا باشياء جميلة وهامة . . . مثل حق الانسان في اختيار عمله ، واصدقائه ، وثيابه ، وطرق انفاق امواله ، واجازاته ، وحرته في اختيار الحزب الذي يود الانضمام اليه ، والمعتقد الذي يشارك في تحرير بلاده وانسان بلاده . . . الحياة الحرة عبارة تذكرني بالمطالبة بحو الامية ، والمطالبة بتعديل القوانين ومن بينها قانون (جرائم الشرف) غير الشريفة بالمعنى الانساني . . . « الحياة الحرة » عبارة توحى لي شخصا بكل شيء الا بحفلات الاورجي (الجنس الجماعي) وغير ذلك . . . اما عن تصادم مؤسسة الزواج مع (الحياة الحرة) كما هي بمفهومي ، فأمر يرجع الى فساد مؤسسة الزواج بشكلها القائم في بلادنا . . . الزواج عندنا هو غالبا مجرد عهر رسمي علني مزود برجل دين ووثيقة رسمية وشهود ومدعويين . . . انه يشين المرأة بقدر ما يشين الرجل ويحد من قدرتها على العطاء وعلى الابداع الانساني . . .

الزواج الحقيقي هو ذلك الذي لا يقف بوجه الحياة الحرة الانسانية ، وانما يشجع حرية الانسان (امرأة كان ام رجلا) على الانتاج والعطاء الى آخر مدى . . .

● أريدك ان تنهمني الرجل . . . فبماذا تدينه هذه الأيام ؟

- اتهم الرجل العربي المعاصر بالازدواجية واختص بهذا الاتهام الثوريين العرب . . . بعضهم هو دكتور جبجل بين الناس ومستتر هايد في علاقاته الحميمة مع نسائه و (حريمه) . . .

اتهمه بالازدواجية بين آرائه وسلوكه ، بين معتقداته وممارساته . . انه قد يقضي امسية يتحدث فيها عن ضرورة تحرير المرأة وطاقتها من اجل بناء مجتمع جديد ، ثم يتشاجر مع شقيقته فور عودته الى الدار لانه امسكها (بالجرم المشهود) تراجع دروسها مع زميلها بالجامعة . . . اتهمه بالازدواجية في الولاء . . . بعضهم يقضي مساءه في التخطيط للحرب والدفاع عن شرف الارض لكن لا يتوانى عن هجر الجيش اثناء المعركة للحاق باخته وقتلها دفاعا عن (العرض)

● كأمراة وكأديبة ، ما هي الاعتبارات والالتزامات التي يجب الا تتجاوزها المرأة بالنسبة لنظرية المعادلة بالرجل ؟

- بالنسبة اليّ ليست هنالك اية اعتبارات لا يحق للمرأة ان تتجاوزها الا اذا اصرت على ان يحمل زوجها وينجب الاطفال بدلا منها والا طلقته . . على مثل هذه المرأة الصبر قليلا فقد لا يطول الوقت قبل ان تتولى آلات خاصة مهمة الالقاح وانجاب الاطفال واختراع (الرحم الاصطناعي) قد لا يستغرق وقتا طويلا . . وقد يشهق الناس لما أقول ، ولكن ذلك لا يهمني ، لا ريب في ان الكثيرين شهقوا حين طرح مجنون آخر مثلي اعتقاده بأن الانسان سوف يسير بقدميه فوق سطح القمر ذات يوم . . وشهق الكثيرون يوم قال غاليله ان الارض هي التي تدور حول الشمس وطلبوا اليه ان يسحب كلامه تحت طائلة الاعدام . . وسحب كلامه وقال هامساً (ولكنها تدور) . . .

● اي انسجام يمكن ان يوجد بين رجل كبير يحب فتاة صغيرة . . أو بين امرأة كبيرة تحب شابا صغيرا ؟

- تلك قضايا خاصة لا يمكن طرحها في المطلق . . هنالك علاقات كثيرة ناجحة بين نساء يكبرن رجالهن سنا او العكس . . ولا ارى من حيث المبدأ ما يحول دون ذلك . . بل ان ما نراه نحن (نواقصا) قد يكون هو بالذات ما يشد كل منها الى الآخر . . قد يحب الشاب امرأة اكبر منه سنا بالضبط لانها كذلك ولانه يجد فيها المرفأ والحنان والملجأ ، والعكس صحيح . . قد تحب صغيرة رجلا يفوقها سنا بسنوات فالزمن بالنسبة لبعض الناس يزيدهم توهجا ويصيرهم كخمرة الاديرة المعتقة . . والمهم في هذه العلاقات ككل العلاقات الانسانية ان لا يكون هنالك اقسار أو ارغام من طرف لآخر . . .

- ما رأيك في رجل يبكي بسبب الحب ؟
- لكل انسان الحق في التعبير عن مشاعره بطريقته الخاصة . هنالك نساء يعبرن عن الحزن بالصمت وبغرس اسنانهن في شفاههن وهنالك رجال يرميهم البكاء . المهم ان يكون الانسان صادقا في حزنه اما طريقة التعبير فأمر ثانوي . . . وانا ضد كل الاشياء التقليدية والمفاهيم التقليدية بما فيها مفاهيمنا عن طريقة التعبير عن الحزن . . . لم لا يبكي الرجل ما دامت الطبيعة قد خلقت له عيوننا وغددا دمعية وعواطف ورغبة في البكاء ؟ ولم يكون ذلك الاسلوب في التفجع حكرا على النساء . . .
- لماذا نصفق لموضة (اليونيسكس) في الثياب حين ترتدي النساء والرجال زيا واحدا ونرفض في الوقت ذاته ان يعبر كل من المرأة والرجل عن عواطفها على طريقة (يونيسكس) ؟ لماذا نتقبل دوما قشور المواقف ونرفض مضامينها ؟ . . .
- هل الحب الاول هو أقوى حب في حياة المرأة ؟
- لا ادري بالنسبة لبقية النساء ، أما بالنسبة اليّ فالحب الاخير هو دوما أقوى حب في حياتي وهو في كل مرة حبي الاول . . . وكلما احببت ، جاء ذلك الحب ليلغي كل ما قبله وليصير حبي الاول والاعنف والاصدق . . . كأن الزمن « يدوزن » اوتار النفس مع كل حكاية حب ، وتصير كل مرة أكثر قدرة على ان تصدح وتوهج بأنغام الحب . . .
- هل الحب يؤدي وظيفة معينة في حياة المرأة . . . وفي حياة الرجل ؟
- الحب شحنة عاطفية جبارة يمكن ان تعيد خلق الانسان او تدمره . . . الحب هو الولادة الثانية للانسان ، واذا كان لا خيار له في ولادته الاولى (حين يجره الطبيب من جوف امه ويقذف به في الحياة) فإنه يستطيع الى حد بعيد ان يتحكم في ولادته الثانية ، الحب ، لتكون محرك عطاء وابداع لا ينضب . . . الحب يطهر كما النار ، يستطيع الانسان عبره ان يعيد صهر ذاته . . . بالحب تسمو الروح وتشف وتمتلئ رغبة بالصفاء واحتضان كل ما في الوجود . . .
- هل الجنس يكمل الحب ؟ واذا كان الجواب ايجابيا فهل الحب عاطفة ناقصة ؟
- اوافقك على ان الجنس يكمل الحب ، لكن ذلك لا يعني - كما استنتجت انت - ان الحب عاطفة ناقصة . . . الجنس هو اكتمال الحب ، كما يكتمل الصدر في منتصف الشهر ، والحب هو الهلال كما نراه أول الشهر ، لكن ذلك لا يعني ان (الهلال) قمر ناقص وانما هو قمر ليس في افضل (وضعية) للرؤية . . . لذا لنقل ان الحب بدون جنس هو حب ليس في (أفضل اوضاعه) . . .

● يقول الشاعر الانكليزي بايرون . . . ان الحب بالنسبة للرجل هو احد المشاغل فقط . . . اما بالنسبة للمرأة فهو حياتها . هل هذا صحيح ؟

- نعم هذا صحيح في مجتمعات معينة وفي عصر مضى الى غير رجعة ، اي انه قول مرتبط بمواصفات تاريخية واجتماعية معينة ، لكنه لا يكفي لوصف مشاعر الحب الاشمل . . . والواقع ان شكسبير هو سيد من تحدث عن الحب وفهم علاقات المرأة والرجل في جميع وجوهها . . . ولكن ما سبب شهرة هذا القول لبايرون في بلادنا بالذات ؟ اعتقد ان الرجال يجنون الاحتواء به وجعله مظلة واقية امام نسايتهم . . فالرجل الشرقي الحامل لكبت آلاف من الاعوام ، مصاب بمراهقة مزمنة ، وهو كالجائع الذي وجد نفسه فجأة في وليمة . . او مثل طفل وجد نفسه وحيدا في دكان الالعب . . انه لا يريد بالضرورة امتلاك كل الدمى حوله ، ولكنه يريد لمسها واللعب بها ويحار من اين يبدأ .

أما القول بأن (الحب هو حياة المرأة كلها) فأنا اعتقد انه يدل على حقيقة (مادية) اكثر مما يشف عن حقيقة عاطفية . .

فالرجل هو الذي يعيل المرأة بصورة عامة في بلادنا ، اي انه هو (عملها) وهو بالتالي كل حياتها . . والدليل هو ان هذا القول لبايرون لا ينطبق كثيرا على المرأة العاملة او ذات المورد المادي . . حيث ينتفي مفعول حكمة بايرون ذات المظهر الرومانتيكي والمضمون المادي . . .

● هل تغارين من امرأة اذا كان برفتها « رجلك المثالي » ؟

- لا يمكن لهذه الفرضية ان تحدث ابداً . ان وجود امرأة في حياة رجل رائع ما - ايا كان هذا الرجل - يجعله يكف عن ان يكون (رجلي المثالي) . . . فأول صفة في (رجلي المثالي) - اذا فرضنا جدلاً ان التسمية صحيحة - هي الا يكون مرتبطاً بامرأة أخرى . . فأنا أكره بناء سعادتي فوق اشلاء تعاسة الآخرين . . اذن لا اغار من مثل هذه المرأة ، ولا أحسد لها وانما اغبطها بمحبة واصلي من اجلها وانسحب من حياتها . . .

● هل تمنيت في يوم لو ان الله خلقك رجلاً ؟

- مرة واحدة فقط تمنيت ذلك : خلال ولادتي لوحيدي الصغير حازم . . .

● ماذا يعني لك شخصياً شارب الرجل . . . وهل هو اكثر من ديكور . . . للزينة ؟

- لدي قط صغير وقد لاحظت انه يستعمل شاربيه للمس والشم ، ومن يومها وانا

التخيل ان شاري الرجل ليسا مجرد حاجيين اضافيين فوق الفم ، وانما تكمن فيها (حاسة ما) ...

● هل تخمين ان « يحكمك » الرجل ... ام ان تكون القيادة في يدك ؟
- اكتره فكرة (الحكم) في العلاقات ... اكتره كل علاقة (استعمارية) بين انسانين فيها حاكم ومحكوم ... اكتره ان يكون حبيبي سجانا بقدر ما اكتره ان يكون سجيناً ... لا اتصور ابدا ان العلاقة بين الرجل والمرأة هي مثل العلاقة بين النمر ومروضها ، او بين السكين وجرحها ..

احب العلاقات الانسانية (الديمقراطية) حيث الحب جسر مضيء من المشاركة والتفاهم يمتد بين انسانين .

● ما هو السلاح الذي تستطيع المرأة ان تسيطر به على الرجل ؟
- التفاهم والافتقار العقلائي والحوار المنطقي المباشر والبعيد عن الخبث ... هذه كلها هي (أداة) حل المشاكل بين رجل وامرأة ... اما عبارة (سلاح) فاكتره استعمالها في الحديث عن العلاقة بين المرأة والرجل ، فالانسان يستعمل السلاح للحرب وللصيد وانا ارفض كل علاقة مع الرجل تستحيل حرب مناكدة (واثبات وجود) ، او رحلة صيد المهدف منها غرس رايتنا فوق جسد الضحية ودفع اسمنا فوق جلد الطرف الآخر واعلان ذلك على (المجتمع) ، ثم البحث من جديد عن رحلة صيد جديدة ...

علاقة المرأة بالرجل يجب ان تسمو عن ان تكون مجرد لعبة صيد ... أو (ماتش) مصارعة واستعراض عضلات غرامية ...

● كيف تصارح المرأة الرجل بحبها ... وهل يجب ان تكون هي البائدة ؟
- في مجتمعاتنا العربية المعاصرة لا انصح اية فتاة بمصارحة حبيبها بحبها او حتى بأن تكون هي البائدة .. فالحب في بلادنا لعبة شد حبل ، وكثير من الرجال هجروا حبيباتهم لمجرد انهن احبين بصدق وعلناً ، فكانت النتيجة ان اتهمن بالابتذال والرخص ... ان قانون (العرض والطلب) الاقتصادي يتحكم حتى الآن في عواطف الرجل الشرقي ... ولكن لا ... فليكن العكس ... فلتصارح كل فتاة رجلها بما تحس به نحوه بكل صدق وبلا مواربة ... ولتكن هي البائدة في كسر قناعات (لعبة الغمضة) التي يسمونها الحب في بلادنا ... ولتأخذ المرأة المبادرة في محو الخبث من العلاقات .. ولتصارح كل فتاة حبيبها في هذه اللحظة وفورا ، بعد ان تقرأ هذه النصيحة القاتلة ..

● ما هو دور الغزل في موضوع اسمه الحب ؟

- ليس للغزل اي دور في الحب . . . انها في نظري مستقلان تماما . . . الحب صمت محموم تجسده الأيام في سلوك بناء قد يصير بيتا او صداقة . . . الغزل قد يكون العتبة لكن الحب هو الدار والمعبود .

ان من يعيش بالغزل وحده هو كمن يغمس خبزه ببخار الشواء ويتوهم انه يأكل لحما . . . ولكن لا بأس في شم رائحة الشواء قبل التهام وجبة الطعام

زينب حمود تستجوب

● الحب المعاني هو الشمس والايحائية والمصارحة .

ماذا نقول لهذه الدمشقية الراحلة ابدا في دنيا هذا الكون تستكشف اسراره !
ماذا نقول لتلك السندباد الطائرة ابدا . لذلك الحضور الفريد المميز في عالم العطاء والكتابة ؟

ماذا نقول لغادة السمان الحلي دائما بالكتب والمتقلة ابدا بنار الكتابة ؟
صديقة الاطفال والفقراء والكادحين وعشيقه الورود والأشجار والرياحين .
انقول لماذا هذا التدفق والانتاج ؟ كلا... عيب هذا السؤال . لكن السؤال يأخذ مجراه عندما نسألها ان تقدم نفسها لقراء « العطاء » فنسمع الجواب التالي :
- ليس لدي ما اقدم به نفسي غير اعمالتي الموجودة في المكتبات : عينك قدري - لا بحر في بيروت - ليل الغريباء - رحيل المرافئ - حب - بيروت ١٩٧٥ - اعلنت عليك الحب - كوابيس بيروت - زمن الحب الآخر - الجسد حقبة سفر - السباحة في بحر الشيطان - ختم الذاكرة بالشمع الاحمر - اعتقال لحظة هاربة - ع . غ . تنفوس . - صفارة انذار داخل رأسي - كتابات غير ملتزمة - وفي المطبعة كتاب الحب من الوريد الى الوريد .
اما طفولتي فهي كطفولة اية فتاة دمشقية يسكنها طموح شاسع . كطفولة اية شجرة برية تنبت في العاصفة وتتعلم كيف يصير البرق شريانها لتغذى به . وبالرغم من الريح التي تحاول اقتلاعها تنصر ان تمد جذورها في تربة وطنها ، دون ان تفقد القدرة على الانتشار في المسافة بين الجرح والحلم . تفتحت شهيتي على الكتابة وانا مراهة نزلت لاسبح داخل محبرة . فغرقت في المحبرة . وما زلت في ليل التحدي الطويل .

● ما هو رأيك بجيل الشباب المعاصر واين موقعه من خلال كتاباتك ؟
- الشباب هم الوقود الحقيقي للمستقبل والامل الوحيد في التغيير . ولا اعني بالشباب سناً زمنية فحسب ، بل اعني روح العطاء والبذل ، والقدرة على تحويل الافكار الى

سلوك معاش ، وردم الهوة القائمة بين النظريات والممارسة . . . أعني بالشباب ، العين الجديدة القادرة على الخروج من ركام التقاليد ، القدرة على التحرر من جفون العرف والعادة وتناول الفضاء الانساني الرحب ، كحق من حقوقها ، دونما خوف او وجل .

● هل يمكن لغادة السمان ان تحدد لنا باختصار موقع رواياتها في مسار الروايات العالمية ؟

- ان لثة التنظير والشهير تسود مناخنا الادبي اليوم . انا شخصيا احب ان اعمل ولا احب التنظير لأعمالنا الا بقدر ما يساهم ذلك في التعريف ببوصلة مساري ، انا غير معنية بموقعي (في اول الصف أو آخره) بين الروايات العربية انما معنية بمسار رواياتي في الهم العربي المقيم في صدري والجرح العربي الذي انا مسؤولة عنه ككل عربي آخر لأنه لا بريء بيننا ولا عايد . وهناك نوع من التواطؤ بين السكين والجرح . وبين القاتل والمقتول ولتترك للتاريخ مهمة النقد . أما نحن فعلينا فقط الكتابة .

● غادة السمان . عالمك خاص . حالاتك مميزة ، لغتك . . . ايضا خاصة . انت مليئة بالدهشة والسر . . هل تشرحين لنا . . ذلك .

- انا امرأة البراري المكشوفة للضوء والصدق والريح . انا الساقطة في شرك العاصفة . كما انا اميرة الانهيارات في مملكة الزلازل ، انا تلك الريشة في مهب الاعصار اتطاير واتفتت في كل آن وللم اشلائي الأدمية والسرابية ، لأتطاير من جديد كي اصف من الخارج ألم الاعصار . . . انا . . . ؟ آه . . . كمن يسأل الطيور الراحلة عن اسرار ترحالها الغامض . . انها تطير وهذا يكفي .

● ما هو رأيك بالحب . وكيف يمكن ان تكون صورته الجديدة وفق المعطيات الجديدة للتطور الاقتصادي والاجتماعي التي بدأت تغير في بنية المجتمع العربي . . وهل يمكن ان يكون قضية اساسية تجاه قضايا التخلف والاستعمار التي تواجه الشباب العربي ؟

- الحب في نظري ليس خطيئة ولا وثنا . انه ببساطة « امر واقع » . . . وانا لا أسب أن ننظر الى الحب بمفهومي الضيق . اي بمفهوم العلاقة بين المرأة والرجل وان كنت لا اهرب من ذلك .

لكنني أرغب في التنويه بأن علاقة الشاب النقي بالوجود هي علاقة حب بالمعنى الكوني الشامل للكلمة . . الثوري عاشق : عاشق للحقيقة وللقيم الانسانية ، كالعدالة والحق والخير والحرية والمساواة .

وتحرركات الثوري الحقيقي ، هي فعل حب . انه يريد غسل البشاعة عن وجه العالم ، وازالة استغلال الانسان للانسان واللاعادلة والظلم الذي ترزح الجماهير تحته ، ويحول بين الابتسامة ووجوه الاطفال والكادحين . . .

الثوري الحقيقي ، بهذا المعنى هو رسول حب . لكننا (نجفل) عادة من استعمال كلمة (حب) لكثرة ما علق بها من مفاهيم مغلوطة بشعة طيلة عصور . . .

صورة الحب كما نراها في اكثر الافلام المصرية واللبنانية واكثر الاغاني العربية هي تعبير عن موقف هروبي من الحياة وعن نفسية انهزامية هاربة من مسؤولياتها السياسية وواجباتها القومية منكبة على افئوس النواح مدعية ان ذلك يحدث باسم الحب وبسبب هجران الحبيب ! صورة الحب في اكثر وسائل (الفن) العربية بشعة ومهزوزة وخاطئة . . انها غالبا تعبير عن استراتيجية منحرفة في مواجهة النزاع الطبقي . مثلاً : دوماً البنت الفقيرة تحب ابن الباشا وتحمل مشكلة الفقر عن طريق الهروب من طبقتها ، وخيانتها لها ، والانضمام الى طبقة (الباشا) وزمرته من اعداء الشعب ومستغليه .

وهناك ايضاً (الحب من اول نظرة) وهو موقف آخر هروبي من تحمل مسؤولية الحب الذي يفترض ان يكون (عن سابق تصميم وتصور) . . .

وحتى حكاية روميو وجولييت العربية ، (اعني قيس وليلى) ، فيها تعبير عن الميول الماسوشية المرضية في قضية الحب حيث يؤدي ذلك المرض بصاحبه الى الجنون !

حينما نتحدث عن الحب افكر بالشمس والايجابية والمصارحة والمواجهة والعمل البناء .

وحينما احصي ما بدلته قوى التغيير في القيم الاجتماعية السائدة وما ينتظر ان تبدله في بنية المجتمع العربي اشعر بأن الظروف صارت اكثر ملائمة ليعيش الفرد العربي حكاية حب صحيحة بحيث لا (يقع) في الحب بل (يقف) في الحب بمعنى ان يكون الحب عملاً مسؤولاً مترابطاً مع بقية فعالياته وايجابياتها على المستويات الاخرى .

من المفروض ان الثورات جاءت لتكسر قشرة الرياء الاجتماعي والفروق الطبقي والعقلية العشائرية عن وجه المجتمع ، وهذه كلها طالما سممت الحب وشوهته وحولته الى طريد يقطن الظلام وربما إلى مجرم . . .

الحب المعافي لا يمكن ان ينمو الا في مناخ انساني وصحي . ومن هنا كانت حاجة الحب الى ثورة اساسية .

تسأليني عن الحب . وكونه قضية اساسية تجاه قضايا التخلف والاستعمار التي تواجه الشباب العربي ، اقول لك ان الحب المعاقى ليس ضد قيام « الثوري » بواجب النضال في وجه قضايا التخلف والاستعمار . . . الحب بمعناه السليبي المرضي الاستعراضي هو طبعاً هدر لوقت الثوري وتشتيت لطاقاته عن النضال لانه شبيه بمرض يفتك بالنفس من الداخل . . الحب بلا عقد وبلا انحرافات وبلا قوالب تقليدية وضغوط تعسفية هو كالتنفس . . . ومن يتنفس جيداً يقاتل افضل . . الانسان الذي يعيش بدون حب هو كمن يعيش برئة واحدة . انه اقل حماساً في المجالات كلها .

الحب بمفهومي هو موقف ايجابي من الوجود ، وليس مجرد موقف رومانسي من المرأة فحسب ! الحب ليس حصراً للعواطف فوق رقعة جسد الجنية ، بل هو شعاع من العطاء يلف كل ما تقع العين عليه من بشر وارض وقضايا . « اريك فروم » لاس في كتابه « فن الحب » هذه الأفكار بشكل متقن .

● المرأة الشابة لا زالت تعاني . . . هل حررت نفسها . ام حققت شيئاً من حريتها على المستويات الاجتماعية والاقتصادية . ترى ماذا تقولين للفتاة الشابة في القطر العربي السوري وهي تواجه مسؤوليات ضخمة ؟

- من الخطأ الفادح طرح المرأة لقضيتها على طريقة الحركات الليبرالية البورجوازية التي تحاول تشويه نضال المرأة ووضعها في غير المجرى الثوري الحق الذي يجب ان تصب فيه ، اي ان المطالبة بحقوق متساوية للمرأة بالرجل دون طرح قضية النظام الاجتماعي ككل لا يجنم أحداً .

اني اؤمن بأن تحرير المرأة ليس قضية منفصلة عن تحرير كل الكادحين والمناضلين العرب ، وبقية الطبقات المسحوقة . . فالمرأة في بلادنا العربية هي طبقة مسحوقة بفعل القوى الاجتماعية والتسلط والتخلف نفسه الذي هو سبب عذاب العمال والفلاحين وبقية المسحوقين .

المرأة هي بروتيتاريا البروليتاريا ومن الخطأ الفادح تحويل قضيتها الى حكاية (نسوان) والنظر اليها على ضوء مفاهيمنا البالية عن الذكر والأنثى أو اسطورة (شمشون ودليلة) .

قضية المرأة يجب النظر اليها ضمن رؤيا تاريخية تراثية اجتماعية مادية شاملة . ويجب ربط كفاحها من اجل نيل حقوقها بكفاح بقية الجماهير والطبقات المظلومة .

ان تحرر المرأة لا يتم الا بتحرر المجتمع من مستغليه ، والفرد العربي من القوى
التي ما تزال تستلب انسانيته في اكثر الاقطار العربية . وكفاحها يجب ان يظل جزءا من
كفاح الفرد العربي لانتزاع حقوقه الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية . وهكذا
فان مهمة تحرير المرأة لا تقع على المرأة وحدها بل هي واجب « الثوري » العربي . وان
اية حركة لا تضع في رأس مهماتها تنظيم النساء الكادحات وتبنيتهن للنضال القومي لن
تستطع التصدي لتحرير المجتمع العربي .

محمد حمود يستجوب

● وضع المرأة العربية جزء من وضع المجتمع العربي .

عندما نتكلم مع « غادة السمان » على الهاتف تشعر بأن صوتها قادم من خلف الغيوم ، يشدك اليها رغبا عنك . فلهذا الصوت سحر يعرفه كل من يقرأ أدب غادة . ففي أدب غادة السمان روح من التحدي والاصرار على ان تشق لعقلها وقلوبها مكانة في هذا العالم ولا شك ان موهبة غادة السمان قد ساعدتها على اقتحام العقبات والأشواك وجعلتها تدخل من الباب الواسع الى عالم احتكره الرجال طويلا وهو عالم التعبير والفن والأدب والبوح والتفكير بصوت مرتفع ومناقشة قضايا الانسان والدنيا بلا خجل .

فهي لا تردد عن « السباحة في بحيرة الشيطان » وتقرأ « الجسد حقيقية سفسر » وفي « زمن الحب الآخر » تمزق غادة السمان اقنعة النفاق وتقدم نفسها امام اعين الآخرين دون حجاب ودون ان تشعر « بالعار » ! اما « كوابيس بيروت » فيكفيها قول النقاد انها عمل أدبي شامخ . اما « اعلنت عليك الحب » فهو نموذج مبدع لأدب البوح العاطفي الرفيع وتجديد للون رائع من الأدب العربي عرفناه عند القدماء مع الكاتب الاندلسي ابن حزم في « طوق الحمامة في الألفة والألاف » ومع الشيخ جعفر بن احمد بن الحسين السراج من ادباء القرن الخامس الهجري في كتابه « مصارع العشاق » ومع ذلك فله مع غادة نكهة خاصة مميزة . اما روايتها الأولى والكبيرة « بيروت ٧٥ » فقد اضافت الى الرواية العربية الحديثة رصيدا غنيا بالتجربة والمعاناة الى حد الاحتراق كما اضافت الى معنى الالتزام صياغة جمالية ثرية الى حد التنوير . . . لقد انتهت غادة السمان من كتابة هذه الرواية في تشرين الثاني - نوفمبر ١٩٧٤ ولم تكد تمضي خمسة أشهر حتى اندلع الجحيم اللبناني من تحت الرماد الأزرق .

وماذا عن « ليل الغرباء » ، في « ليل الغرباء » يشعر القارئ انه يسير على جمر ملتهب من أول سطر الى آخر سطر . لغتها ادبية رفيعة والفاظها مدببة جارحة واسلوب

غادة احتراق ومعاناة ولهات . وتشدك غادة في قصص « لا بحر في بيروت » الى اغوار للنفس مافجة بالضباب واللهب والتناقض والاضطراب وحسبها انها لا تقف عندما ترى وتحس بل نحن ابداء الى اغوار اعماق وابعد والى مزيد من الاحساس بزخم الحياة وحسبها انها بذلك تنور وانها لا تريدك ان ترضى عنها او ان ترضى عن نفسك . اما في « عينك قدرى » فيبدو ان غادة تعاني وتعني ما تمناه وتحاول ان تؤجج لنا لوحات عنيفة عن انبثاق الكائن الانساني في الأثنى العربية .

ان غادة الكاتبة في الحقيقة ، شيء لا يمكن الا ان يهزك حتى الأعماق ، تحبها لدرجة الحقد او تتحامل عليها لدرجة العشق ، دون ان تستطيع التعرف الى حقيقتها كاملة . الذين احبوا كلمتها والذين نفروا منها لسبب او لآخر لا يستطيعون إلا ان يعترفوا بتفردا وتميزها . وبالمكانة التي استطاعت اخيرا ان تحتلها .

اما غادة « الانسافة » فهي من اللواتي يعرفن ماذا تعني هذه الكلمة .

● غادة هل توجزين في البداية قصة حياة غادة السمان ؟

- اعتقد انه يمكن ايجاز قصة حياتي في عبارة واحدة هي : العمل . لقد كنت باستمرار امرأة عاملة . منذ طفولتي كان اول مشهد انطبع في ذاكرتي كالوشم هو مشهد والذي الاستاذ الجامعي منكباً على كتبه واوراقه . في هذا المناخ الجاد الصارم نشأت . وكبرت والمشهد لا يتبدل . وصار والذي رئيسا لجامعة دمشق ووزيرا للتربية والتعليم والمشهد هو ذاته : رجل غارق بين اوراقه ودفاتره يؤلف الكتب ويسعى لنشر العلم ، وبيت ماتت الام فيه فصار الكتاب امي منذ طفولتي ، ومناخ متكشف لا موضع فيه للابتذال الاجتماعي او حب المظاهر .

وهكذا بدأت عملي الأول كاستاذة في المدارس الثانوية وانا ما ازال طالبة جامعية . وكنت في الوقت نفسه اعمل موظفة في مكتبة الجامعة . بعد ان حزت على الليسانس في الأدب الانكليزي عملت كاستاذة محاضرة في كلية الآداب ، ومثقفة للطلابات فموظفة في كلية الهندسة .

اثناء دراسة الماجستير في الجامعة الاميركية في بيروت عملت في الصحافة واثناء دراسة « الدكتوراه » في لندن عملت ممثلة اذاعية في أل « بي . بي . سي » و مترجمة وعملت في باريس وجنيف وكل مكان تشردت فيه . واذا كان الرحيل قد دمغني ، فان العمل هو الايقاع الداخلي لحياتي كلها . . متشردة كنت ام مستقرة . الآن اعمل

موظفة عند غادة السمان الكاتبة ولأجلها قمت بتأسيس دار للنشر هي « منشورات غادة السمان » وسأعود للعمل في الصحافة من جديد مع مطلع الربيع .

● وما حكاية قصة غادة السمان مع الأدب ؟

- يجئني الي ان الأمر يبدأ كهواية . في هذه المرحلة اصدت كتيبي الاول : عينك قلدي - لا بحر في بيروت - ليل الغرباء - ثم يصير الأمر عشقا في هذه المرحلة اصدت كتيبي : - رحيل المرافئ القديمة - حب - بيروت ٧٥ - ثم يصير الأمر ادماناً وفي هذه المرحلة اصدت كتيبي - ختم الذاكرة بالشمع الاحمر - اعتقال لحظة هاربة - مواطنة متلبسة بالقراءة . ثم يكتشف الكاتب ان ماهية العطاء هي مزيج من ذلك كله : الهواية والعشق والالتزام . وفي ظل هذا الوعي كان كتابي : «الرغيف ينبض كالقلب» وهو اخر ما صدر لي «وكتابات غير ملتزمة» و«صفارة انذار داخل رأسي» و«الحب من الوريد الى الوريد» وهي حالياً على «ذمة المطبعة» واعمل الآن على انجاز كتاب « ذات ليلة ذات جرح » وكتاب آخر هو « قراءات لحفلي التأبني » .

وكما ترى ان حكايتي مع الأدب مشابهة لحكايتي مع الحياة ويمكن ايضا تلخيصها بعبارة : العمل .

لي طموح نسر ، ومثابرة غملة ! . . لقد سقطت حبة القمح من فمي اكثر من مرة ، وكنت دوما اعود اليها لأجرها في الغربة والبرد والوحشة غير أهبة بجراح روحي ونزفي الداخلي تماماً كآية غملة اخرى مسكونة بغريزة الكفاح .

● لم يسبق ان احتلت امرأة عربية المنزل الأدبية التي تحتلها غادة السمان في الأدب العربي المعاصر ، إلا ما ترددين اسباب نجاحك ؟

- الى وعي الشعب العربي وفضوله العلمي . ليس صحيحا ان الشعب العربي لا يقرأ ، كل ما في الامر هو انه يختار ما يقرأ ، ولولا الأمية المتفشية في وطننا العربي لكننا امام شعب من اكثر شعوب الأرض اقبالا على المعرفة . وانا سعيدة بمكانتي في نفس القارئ العربي ، واعتقد انني مدينة ايضا بما حققت من مكاسب لأمر بسيط هو : استعدادي للخسارة وقدرتي على التخلي عن كل ما احب من اجل ان اكتب بصورة افضل . لقد تعلمت منذ البداية ان حكمة ما تكمن وراء وجود يدين فقط للإنسان (بدلا من ثمانية اذرع كما للأخطبوط مثلا) ! فكان على الانسان ان يفهم انه لا يستطيع ان يمتلك كل شيء دفعة واحدة ولا يستطيع ان يقبض بيديه جيدا على اكثر من شيء واحد في الحياة . لقد اخترت الأدب - او انه هو اختارني - ومن اجله تخلت باستمرار عن اشياء كثيرة

ومكاسب اخرى . ان الاستعداد للخسارة والقدرة على التخلي هي صفة يجب ان ترافق الذين يندرون انفسهم لهدف ما لا يجيدون عنه . ويجب الا تشوب هذه الصفة مشاعر المرارة او الندم او الأسف او الاستعلاء !!

● هل بالامكان تعريف القارئ عن ابرز الموضوعات التي غالبا ما نحاولين التركيز عليها فيما نكتبين ؟

- ربما كانت المحاور الأساسية التي تشكل خلفية سطوري هي المواجهات التالية : الحرية ، حرية الانسان داخل مجتمع ، لا داخل غابة مفترسة ، اي حرية الانسان بالمعنى المسؤول للكلمة . العدالة : الانسان مع ذاته ومع الآخرين . الصدق : في مواجهة زمن الاقنعة والزيف وعلاقات الرياء والمخادعة تلك التي تفرغ الانسان من سموه وتحوله الى هيكل ملون اجوف . . . المحبة : بالمعنى العميق والشمولي للكلمة .

اني باختصار اطمح الى عالم اقل شراسة وقسوة وبشاعة ، واطمح الى علاقات يسودها التفهم وابكي بصمت لموت الحنان والرفقة والعذوبة وانقراضها التدريجي عن كوكبتنا ، واطمح في ان تحمل سطوري صرخة - ولو خافتة - صرخة احتجاج وصرخة شوق الى شمسها .

● بعد ان أثبت امكانية المرأة العربية على العطاء بل على الابداع ، ما رأيك بوضع المرأة العربية مالها ، وما عليها ؟

- لا احب السذاجة التبسيطية التي يتبناها كثيرون والتي تنطلق من المقولة التالية : الرجل العربي يظلم المرأة يسلبها حقوقها . الى آخر هذه النغمة النواحية .

ارى ان القضية اكثر تعقيدا من ذلك . فالمرأة جزء من كل وهذا (الكل) هو المجتمع العربي . ومن البديهي ان تنعكس على شاشة حياة المرأة كل ما يقاسي منه مجتمعا من عذابات وامراض .

اذن انا لا انفي الظلم الاضافي الواقع على المرأة ، الظلم المركب . لكنني انفي ان الرجل يعتمد ذلك او انه المسؤول الاوحد . هنالك عوامل نفسية اجتماعية متبادلة خلقت عذاب الرجل والمرأة معا في هذه المرحلة الانتقالية التي تعيشها مجتمعاتنا . وهكذا فوضع المرأة العربية هو جزء من وضع المجتمع العربي ولا يمكن مداواة وضعها خارج الاطار العام ولا يمكن لها تحقيق مكاسب جذرية خارج اطار مكاسب المجتمع ككل .

● ولكل اديب مبدع مصادر يستمد منها ما يكتب او بتعبير النقاد يستوحي منها ما يكتب . ما هي هذه المصادر بالنسبة لغادة السمان ؟

- الصمت والعزلة . ففي الصمت تأتي الأصوات اللامسموعة ، الأصوات الحقيقية ، تأتي بزخها كله لتقرع جدران رأسي من الداخل ، وتتفجر اصوات الينابيع الداخلية والعناصر ، وتهب رياح النفس البشرية حاملة اصوات النوازع بعيدة الاغوار . . . في الصمت ترهف الروح اذنيها ، وتعيد الانصات الى شريط احداث الحياة اليومية فتختزلها ، وتستخرج منها الكلمات التي لم تقل ، والصرخات التي تم خنقها وراء كمامات اللباقات ، والاظافر التي تم سترها تحت قفازات المجاملة او الزيف وتسمع صرير تلك الاظافر المخالب وهي تجرح زجاج الليل المغسول بمطار الحزن القلبي الحقيقي . وفي العزلة يأتي الآخرون حقا الينا . وفي العزلة نراهم بشكل افضل ونجهم بشكل اعمق ، ونواصل معهم ، مع جراهم حتى الالتحام .

في الصمت والعزلة يصير بوسع الكاتب ان يفتح جرحه ليتدفق عبر الجرح الى الدورة الدموية الواحدة لمجتمعه ، يسبح فيها كالسمكة ، ويتأملها ويذوب فيها ويصير من بعضها ويرسل اشارات الاستغاثة ويطلق شهادة الوعي بما كان وما قد يكون . . .

● ما هو الأثر الأدبي الذي تعتبره الأكثر تعبيراً عما تشعرين وتفكرين به ؟

- انه الأثر الذي لم اكتبه بعد . . . مأساتي انني كلما انجزت كتاباً قلت : هذا هو ! ومع فجر اليوم التالي اعود فانكره وانكب على كتاب جديد .

هذا الشعور الدائم بعدم الانجاز يعذبني باستمرار ، يثني باستمرار على محاولة بعد الأخرى . ينجيل الي انني لحظة احتضر ، سأصرخ وانا ممددة فوق فراش محشو بآلاف الصفحات التي كتبت : يا الهي ، ساموت قبل ان ابدأ بالكتابة ! ! . . .

سوسن شريف تستجوب

● المخيف ليس الزمن ، بل الزمن
المهدور !

● هل فرضت التقاليد والتراث يوماً ما عليك قيوداً انطلقت منها او دُرتِ في مدارها ،
ام انك تمردت واتجهت في غير تلك الطريق ؟

- علاقتي والتقاليد والتراث غير عدوانية . انني اعني زنازة التقاليد ، ولكن سجينها هو
السجان ذاته . بعبارة أخرى ، بعض الناس يفضل الهرب من مواجهة تحديات الحياة
بالهرب الى زنازة ذاتية من السلبية ويلقون بمسؤولية هربهم على التراث . اتعامل مع
التراث كمادة حية غنية بالامكانات . آخذ من التراث ما هو (انساني ومستمر) وابذ
القشور والافتنة . ابحت باستمرار عن الجوهر ، وأهمل ما تبقى من خرافات . احترم
التجارب المتوارثة . أسخر من الخرافات المتوارثة . .

وحين اتحدث عن العلاقة بالتقاليد والتراث لا اعني العلاقة بين الزجل والمرأة
فحسب ، وانما اعني عاداتنا وتقاليدنا التي تمس نواحي حياتنا كافة ، كطقوس الزواج
والموت والأعياد والعلاقات الاجتماعية وسواها . وهكذا فأنا لست من أنصار « التمرد
للتمرد » وانما من انصار التمرد لأجل الأفضل والأجمل .

● ماذا تعني لك المساواة بين المرأة والرجل ، وعن اية حقوق تبحث المرأة ؟
- تعني لي إطلاق طاقة مهدورة وتوظيفها في خدمة الوطن . هذا على الصعيد القومي .
وتعني لي منح حق الحياة والخطأ والصواب لفئة مقموعة من البشر . هذا على الصعيد
الانساني . عن اية حقوق تبحث المرأة ؟ عن الحقوق نفسها التي يكافح من أجلها رفيقها
الرجل .

حق الحرية السياسية والفكرية ، والحق في حياة كريمة اقتصادياً وإنسانياً . الحق
في توفر الفرص للجميع دونما اعتبارات طبقية او طائفية او شوفينية (انثى - ذكر) من

هنا لا يمكن فصل قضية تحرر المرأة عن قضية تحرر الرجل العربي . والمرأة العربية لا تطالب في الحقيقة بالمساواة مع الرجل العربي لأنه هو نفسه لا يتمتع حقاً بحقوق يحسد عليها . .

ومن هنا لا بد من صهر نضال المرأة داخل بوتقة نضال المكافحين جميعاً من أجل حياة أفضل للإنسان العربي .

● لماذا أبواب السياسة موصدة أمام المرأة اللبنانية . وهل غيابها عن الحياة السياسية غياب مجبرة عليه ؟

- المرأة اللبنانية ليست غائبة تماماً عن الحياة السياسية بوجه عام . انها غائبة عن الحياة السياسية (التقليدية) ، لكن حضورها أكيد وفعال ضمن صفوف القوى الوطنية الصاعدة .

ثمة حقيقة لا نستطيع انكارها : الاكثية الساحقة من النساء اللبنانيات - بعيداً عن واجهة النساء المرفهات الاقلية - هن نساء كادحات يعاني الكلمة كلها ، لكنهن غير منظمات واكثر الكادحات هن طبقة ربات البيوت اللواتي أكن هن احتراماً حقيقياً ، فعملهن شاق ويومي وبلا إجازات ولا رواتب تقاعدية ولا ترقيات ! . . . هذه الاكثية الساحقة من نساء بلادي ما تزال محرومة من التعليم ومن التوعية والرعاية مما يجعلها طاقة مهدورة في درب العمل السياسي . . . ان التوجه الى الكادحات اللبنانيات وتنظيم صفوفهن ضرورة ومهمة غير سهلة . . . إذ كيف نقنعهن أولاً بأن مهام الرحم (الانجاب) ليست بالضرورة ضد مهام (الرأس) ؟؟ . . . وأن مهنة (ربة المنزل) لا تلغي مواطنتها ولا تحرمها من ممارسة حقوقها - بل واجباتها - القومية الأخرى ؟ . . . وكيف نقنعها بأن (أمومتها) لا تلغي (مواطنتها) ؟ . . .

● الزمن يخيف المرأة ، ويجعلها في كثير من الاحيان تسعى لمسايقته أو تجاوزه . غادة السمان ، هل يخيفها الزمن ؟

- الزمن يخيف أصحاب المهن التي تتطلب مهارات جسدية معينة ، رجلاً كان ام امرأة . الزمن ضد الملاك ، وضد لاعب التنس ، وضد راقصة الباليه أو بطلة الجمباز ، ضد المرأة التي تعتاش من جمالها أو الزوجة التي مهمتها الوحيدة في حياة زوجها هي (الانجاب) . . .

بوجه عام ، الزمن ضد كلوديا كاردينالي مثلاً ومع مدام كوري . الزمن ضد محمد علي كلاي ومع اينشتاين وبرناردشو . كل من تنوقت أساسيات حياته على محور الجسد ،

يحسر مع الزمن ، وكل من يمارس وجوده في حقل الفكر يربح مع الزمن . .
بنظري : الزمن ليس خفيفاً ، المخيف حقاً هو الزمن المهدور ، باختصار :
لاتصدي ياعزيزتي ان الخوف من الزمن مكرس للمرأة . الرجال يخافون الزمن لكنهم
يتسترون على ذلك ، واسألي أبطال قصصي ! . . .
● هل أنت جريئة في الحب وفي الحياة كما انت جريئة في كتابتك ؟
- نعم . أقولها ببساطة ودونما مواربة !! . . .

مريم ابو جودة تستجوب

- دوري التحريضي في حياة المرأة العربية لا أنكره . نريد العدالة الانسانية لا « العدالة المذكرة » !

في كلماتها الينا تثقب شرنقة المألوف لتطير فراشة حرة في فضاء لا يحد . في المرأة ترى عقلا ينبض بالعاطفة . لكنها تعارض الدمة المهدورة في عينيها . ولكي لا تنكر دورها التحريضي ككاتبة في حياة المرأة العربية كان هذا اللقاء :

- ارتبطت عادة السمان بالمرأة العربية كأنها العقل الموجه والمحرك . لكنها بالرغم من حريتها التعبيرية المطلقة في السرد والوصف والتفسير ، ظلت محاصرة بخوف مجتمع الرجل منها . وهكذا رحنا نشعر بأنها تحاول تثبيت الانثى فيها بخلق عقدة نقص الرجل تجاهها .

- انا لا انكر دوري التحريضي في حياة المرأة العربية . ولكن لم يحدث مرة ان حرضتها ضد الرجل بالذات . انني احرضها ضد نفسها ، ضد مخاوفها ولحظات ضعفها ، واحاول ان اسقي نبتة الثقة بالنفس المحرومة من الضوء في داخلها . واحرضها ضد قوى القمع غير العادلة التي تحرمها حقها في انسانيته . لا اشعر بانني محاصرة بخوف الرجل . اشعر انني محاطة بحب الرجل الانسان الذي يشتهي تطبيق العدالة على كائنات الطبيعة كلها دون ان يستثني المرأة من ذلك .

- الحرية اسم ولفظة للمرأة بشكل مطلق . ولانها كذلك ، كيف تنظرين الى حريتك ككاتبة انطلاقا من ماضيك حتى اليوم ؟

- انا لست ابنة الفراغ والفوضى . انني حصيلة مجتمع معين ، وحتى حريتي المطلقة ككاتبة يحيط بها ذلك المجتمع العربي بكل سموه وسقطاته . ككاتبة ارى في حريتي كسبا لمجتمعي وشهادة لصالحه . ها انا اثقب شرنقة المألوف واطير في افق المعرفة الرحب فراشة حية ولا اعاقب بشكل (مطلق) . . . ربما لانني وعيت ان الحرية لا تولد في فراغ

المطلق ، ولا خارج الجماعة ، وجذورها مغروسة في ارض الآخرين بالرغم من ان فروعها تسكن الغيمة والحلم . لقد وعيت دوما تلك المعادلة - المفارقة : قد يكون الآخرون قيذا ، ولكن لا حرية خارج اطار الآخرين الذين ارتبط والتزم بهم .

● كلماتك عادة السمان ترددها المرأة ، لكن في احيان كثيرة لا تفهم ماذا تريد من ورائها . اي ان انقيادك احيانا وراء « العبث » او « اللامعقول » في اسلوبك القصصي يخلق جدارا من الايصال بينك وبين المرأة القارئة . لماذا ؟ وكيف تفسرين اسلوبك ؟ - اسلوبي موجات مختلفة لبحر واحد . اسلوبي رغم وحدة النبع يختلف من موضع الى آخر . اسلوبي في بعض قصصي القصيرة يصح فيه ما قلته . لماذا ؟ لانني كفنانة لا املك اجوبة نهائية بخصوص تلك القضايا الانسانية والكونية التي طالما حيرت الفنانين سواي . القارئ الذي يريد اجوبة محددة او مشاعر واضحة ، عليه ان يفتش عنها في كتيبي الاخرى ، عليه ان يتجنب مثلا كتابي « ليل الغرباء » الذي يفجر في النفس لوعاتها الغامضة وجوعها الى الحنان والحب في قحط من الخواء ، وعليه ان يقرأ مثلا « اعلنت عليك الحب » . وهذا لا يعني انني اجد كتاب « ليل الغرباء » افضل من « اعلنت عاينك الحب » ، لكن اسلوبي في الكتاب الثاني مختلف ، لان الاسلوب هو امتداد للموضوع وكل ما في الكتابين يحاول نبش مشاعر مختلفة . من يفتش عن حد ادنى من الوضوح المطلق عليه ان يتجنب ايضا قراءة « رحيل المرافئ القديمة » وان يقرأ كتابي « صفارة انذار داخل رأسي » او « الجسد حقيبة سفر » او « كتابات غير ملتزمة » .

● اذا كنت محرصة في مجتمع يقوم على الدونية ، او النكوص والكبت ، فهل انت ردة فعل لذلك ام فعل يهدف الى التغيير والتطوير ؟

- يخيّل الي ان الفعل وردة الفعل يمتزجان في هذا المجال ، ويصعب تحديد اين ينتهي الاول ويبدأ الآخر . حينها يتلقى الوجه صفة ، تركض الدماء اليه - كحد ادنى من ردة الفعل - المهم الا يكون سلوك الانسان مجرد ردة فعل آنية هوجاء . المهم ان يخطط الانسان لأمله ، وان يحفر له القنوات البناءة ، كي لا يكون الرفض سيلا يجرف السيء والطيب معا ، وانما كي يكون الرفض نهرا موحدا لسواقي القهر التي يحس بها المقموعون جيمعا من امرأة ورجل . وهذا ما اطمح الى تحقيقه دوما في سطوري .

● كيف تنظرين الى المرأة كعاطفة ؟

- لا انظر اليها كعاطفة فقط ، مهدورة كدمعة ، اراها عقلا ينبض بالعاطفة . انها عقل انساني الحنان .

● قلب المرأة الكاتبة يتحول احيانا الى دماغ محرك للشعور ، هل يعود هذا التحول الى تثقيف الرجل لها ، ام ان الحدس الذي هو اسبق وعيا فيها هو الحركة الفاعلة والمتفعلة في وجودها .

- الكاتبة بحاجة الى ادواتها كلها وابرزها الثقافة والحدس معا ، لكن المرأة لا تكتب بانوثتها وانما بانسانيتها . انها لا تمنع باستخدام اية ادوات اضافية زودتها الطبيعة بها كالحدس مثلا - اذا فرضنا جدلا ان المرأة تملكه اكثر من الرجل وانا اشك بذلك - لكنها لا تنسى ان تشحذ بقية الأسلحة الإنسانية التي اسبغتها الطبيعة والحضارة على الجنس البشري .

● ما دامت الانوثة هي الانوثة ، وما دامت الذكورة هي الذكورة ، ما الفرق بين الاثنين ؟ وما هي المميزات لكل منهما اذا اعتبرنا الانوثة قلبا والذكورة عقلا ؟
- الانوثة قلب ، والذكورة عقل ؟ . . . ارى في ذلك تبسيطا شديداً للاشياء يشوه جوهرها .

ربما كانت الوظيفة الاجتماعية للمرأة التي تعاطتها مرغمة احيانا على مر العصور قد نمت لديها موهبة القلب وشغلتها عن حصاد العقل . لكن ذلك مجرد نتيجة لسجن طاقاتها الاخرى . تماما كما يحدث حينما نسقي بذور نبتة فتنمو ونحرم الاخرى من الماء والضوء والرضى الاجتماعي . وانا شخصيا اعتقد ان الفرق الوحيد بين الرجل والمرأة هو طاقة الانجاب ، وهو فارق لصالحها ! لكن المجتمعات المتعاقبة ، بدلا من ان تكرم المرأة لطاقتها الاضافية على الخلق ، حرمتها من حقها في الخلق في بقية الحقول الاخرى الفكرية والانسانية والعلمية . . . وبذلك اضاف الانسان الى جرائمه على مر العصور جريمة حرمان فئة النساء من حقوقهن اسوة بفئات اخرى طالما حرمت من حقوقها وربما ما زالت . ان المرأة تنتمي الى طبقة المحرومين التي يحاول الفنانون والطيون والمكافحون (عتقها) اينها وجدت .

● اين وصلت تجارب المرأة في عصر يحكمه الرجال ؟ هل يعود اليها امر المشورة ، ام ان حنانها الاكبر كأم وحاضنة عاطفية للاطفال هي الحقيقة الواقعية والملموسة في حضارة اليوم ؟

- النظريات الملونة كثيرة تجدها في اي كتاب يتحدث عن « تحرير المرأة » . حسنا . لنكن أكثر واقعية ولنعترف : الأطفال بحاجة إلى رعاية . والبيت بحاجة إلى تنظيف . ولا تستطيع المرأة ان تقذف باطفالها من النوافذ وان تترك العنكبوت يحتل الاثاث وان تتناول

وزوجها وجبة طعام من النظريات عن تحرير المرأة او ان يلتها بعض صفحات من مقدمته ! مأزق المرأة العربية امر واقع يجب ان نجابه : هنالك (كمية) من الاعمال البيئية الرتيبة يجب ان يقوم بها شخص ما ولا مفر من القيام بها . الخادمة ؟ هذا حل لمشكلة عدد محدود جدا من النساء العربيات . (ثم ان الخادمة هي بدورها امرأة) . . . ماذا تفعل الاكثرية الساحقة من النساء العربيات لتحرير طاقاتهم الخلاقة كلها دون ان يكون الثمن تدمير البيت العربي ؟ الحل لن نجده عند المرأة وحدها ، ولا عند الرجل وحده . الحل يبدأ من تفهم المجتمع لهذا الواقع ، ومن تعاون عملي وفعال لايجاد حل لا نخسر فيه انوثة المرأة كي نربح انسانيتها . فالام حقيقة اكبر من النظريات كلها ، واطفالننا ليسوا بعد من اطفال الانابيب !! . . . ان المرأة العربية بحاجة الى حل ينبع من واقعها ومن تفهم عميق لحقيقة تراثها بحيث لا نخسر حقيقتها كأمر ولا تدمر حقيقتها كعضو فعال منتج في المجتمع .

● لن نسألك عن الحب ولا عن العلاقات الحرة بين الرجل والمرأة ، وانما نحاول التفاضل معك الى عقل الحب والى عقل غادة . كيف تنظرين الى هذه اللغة بين الرجل والمرأة ، وما هو القاموس الصحيح الذي تقاس به هذه اللغة ؟

- « العدالة الانسانية » لا « العدالة المذكرة » . ان لا يطلب الانسان من سواء ما لا يرضاه لنفسه . فكلنا نقف سواء امام الحق . والمرأة لم تخلق من فصيلة مختلفة عن الرجل . والامومة التي حبتها الطبيعة بها كملكة اضافية يجب ان تكون موضع تكريم لا مبررا لاضطهاد .

نهى الغور تستجوب

● تاء التأنيث سور بشكل دائرة .

الادبية والروائية والقاصة - « غادة السمان » - حملت مشعل الرفض المطلق لكل ما يقيد الذات الانسانية المحلقة في فضاء هذا العالم . . . « غادة السمان » أعلنت حبها للانسان والحياة على شكل أناشيد وروايات وقصص ارادتها حرب ابادة ضد كل القيم والافكار والمبادئ الصنمية ، فراحت تنحت أفكارها بإزميل الجرأة الثقافية تارة ، وبإزميل العقل الباطني المتفلت من قيود الوعي المراقب - بكسر القاف - تارة اخرى . . . « غادة السمان » صوت أدبي يدوي في آذان القارئ العربي منذ سنين . . .

ونبحر في لجة الحوار مع « غادة السمان » ميممين شطر بداياتها الكتابية منذ ان كانت طفلة في سن التاسعة من عمرها . . . ونسألها :

● المعروف عن غادة السمان ، ابنة التاسعة من عمرها انها قرأت لفكتور هيكو ، وبرناردشو . فمن الذي وقف وراء هذه الثقافة المبكرة ؟

- والدي . . . فلقد اطلعتني على كنوز الادب العالمي ، وعلى كتب التراث العربي قبل ان ابلغ سن المراهقة . خطفني من الطفولة الى النضج ، ومن النسيان الى الجرح ، فوعيت منذ البداية ان الحياة ليست نزهة لقطف التفاح ومطاردة الفراشات في حقول اللهب .

● من الذي دفعك الى اخذ منهج الوجودية ؟ وهل هو منهج مستمد من ارض الواقع ؟ أم أنه من نشادك للتطور المستمر ؟ وبمعنى آخر نخالك مسافرة دائماً فكراً وجسداً . . . فمما سبب هذا التأرجح في حياتك ورحيلك ؟

- ليس هنالك اجماع نقدي على ان كتاباتي يمكن ادراجها في خانة نهج الوجودية . بعض النقاد يميل إلى وصف أعمالي الاخيرة بأدب « الواقعية » .

اما اذا كان التساؤل يشمل حياتي الشخصية ، فأنا اعتقد ان الفنان الذي لا يتطور ينتهي .

الثقافة وسعة الاطلاع والرحيل ، هذه كلها ، ادوات ضرورية لتوسيع افق الفنان وتجديد ابجديته .

● عشت البوهيمية والوجودية بتجربة عميقة وواسعة ، فما مدى انعكاسهما على كتابتك ؟

- نعم عشت البوهيمية والوجودية ، لكنني عشت ايضاً اشياء اخرى كثيرة .
عشت العمل والغربة والاستقلال والمسؤولية .

الكاتب وحده لا تتجزأ . ومن الصعب عزل جانب واحد من جوانب حياتي ورصد انعكاسه على كتابتي . من هنا اقول لك ببساطة : لا اعرف بالضبط مدى انعكاس (بوهيميتي) على نتاجي سلباً او ايجاباً ، لكنني اعرف انني عشت كل لحظة من حياتي بكل ما في طاقتي على النبض والاخذ والعطاء ، سواء في ازقة « سوهو » الموحلة او في اروقة المتحف البريطاني الباردة كتحية اجتماعية ارغامية ! . . .

● بعض الكتاب القصصيين يستقون قصصهم من الواقع ، والبعض من تجاربهم الخاصة ، والمعروف عنك ، ان تجربتك الذاتية طاغية . . . اكثر من التجارب الانسانية فهل انت هكذا فعلاً ؟

- ثمة خطأ نقدي شائع يفصل بين ما يدعى « التجربة الذاتية » و « التجارب الانسانية » . . . انا انتمي الى مدرسة نقدية اخرى عبر عنها الكاتب « البيروني » ذو الشهرة العالمية « ماريو فاغاس لوسا » بقوله : « التجربة الذاتية هي مصدر جميع الكتابات وحتى « الفنتازية » منها ، كحالات « بورغيس » و « كافكا » والفرق الوحيد يعتمد على درجة وعي الروائي ازاء مادة الخلق . إنه أمر غير ممكن اختلاق كل شيء من الصفر والفراغ » .

● لماذا لم تخصصي بادب الجريمة ؟

- ربما لانني افضل القتل . . . حبا ! . . . والحب من الوريد الى الوريد ! . . .

● احببت اباك لدرجة التفرد . . . فهل وجدت في شخصية كل رجل صادفته واحبيته ، الصورة الواضحة لايك الحبيب ؟

- في الحب انا لا انشد التكرار ولا ابحت عن البديل . . لقد احببت ابي حبا هائلاً يستحقه ، لكن ذلك الحب لم يتحول الى هوس . فانا اعرف ان كل رجل هو كائن

مختلف وفريد كبصمة الاصبع . . . وابي لن يتكرر .
لكنني لا انكر انني ما زلت اقدر صفات ابي : سعة العلم والمعرفة . التواضع
الجم . المرح . ولا انكر انني افرح حين اجد هذه الصفات ، بعضها او مجتمعة في كائن
حي اخر . . . ان ذلك لا يعني بالضرورة انني ساقع صريعة غرامه فورا ، لكنه يعني
ان امكانات نشوء علاقة انسانية بيننا قد تزايدت .

● المعروف عنك انك المحرصة العنيفة على حرية المرأة . . . فكيف استطعت تنمية
مفهوم الرجل الشرقي بالمرأة الشرقية ، ومن اي منطلق ؟

- من منطلق المشاركة في العمل وفي حل المسؤولية . من منطلق وعي الواقع الموضوعي
الذي نعيشه والمآزق الذي يواجهه الوطن . من منطلق الخوف من ابادتنا نحن الذين
نتلهى عن الزلزال بقضم الاكاذيب . من منطلق الحاجة الى اطلاق سراح نصف سكان
هذا الوطن الذين تم سجنهم داخل « تاء تانيث » التي حولناها الى سور بشكل دائرة .

● في كثير من الاحيان ، المرأة لا تستطيع ان تدرك ابعاد الكلمة التي تقولونها من حيث
مدلولها ومغزاها ، وهذا ما يجعل بحثك عن الحقيقة المطلقة تخلق حاجزا بينك
وبينها . . . فلماذا ؟

- انا اؤمن بذكاء قارئ ، ولا اعتقد ان المرأة لا تستطيع الطيران مع كلماتي . وهي اذا لم
تفعل في مرحلة ما ، فستفعل في مرحلة اخرى . . . فأنا في جوهرى لا اكتب كراسات
موجهة للمناداة بتحرير المرأة . انا اكتب ادبا ، والادب يتضمن دعوة لتحرير الكائنات
الحية كلها من اي اضطهاد وتمييز . وهكذا فانا لا اؤدي (غمرة) في سيرك المناداة بحرية
المرأة ، لكنني اكتب حروفا اتمنى ان تبقى حتى بعد ان تتحرر المرأة . فحروفي مكرسة
لكل متألم ومعذب ايا كان جنسه ولونه وعصره .

● ما هو مفهومك لحرية الرجل ؟

- الشمس للجميع ، شرط الا يلقي احد بظله فوق الآخر من انثى ومن ذكر ! . . .

● يقولون انك عنيفة مع الفكرة . فهل هذا هو انعكاس لشخصيتك الحقيقية ؟

- لا انكر انني معجبة باللمس الناعم لحد الشفرة . . . القاطعة !

محمد غشام يستجوب

- المرأة والرجل ، لا خلاص
لأحدهما دون الآخر
- امقت ارتداء اقنعة الزيف ومسوح
الزهد المفتعل !

(التمرد الجميل) كان هو الجناح الذي حلقت به غادة السمان من ارض التقاليد والرتابة والخضوع الدائم . . وهو الجناح الادبي الذي انفلتت به من قفص الظلام - من الماضي ، ليبرها فضاء الحرية الاخلاقية ، المضاء بشموس العصر الحضارية من حولنا . ولذا اقتبست من ذلك الضياء ما اصبح مشعل الابداع في وجدانها وأزهر رياض البيان الادبي الجميل الذي تصوغ منه عبير الفكر والفن والعاطفة ، وتراءى لها من خلاله اطياف الخيال ، كل ذلك زها في مؤلفاتها الغنية عن التعريف .

ولكونها امرأة عربية انطلقت وواصلت مسيرتها بشجاعة وثقة ، واخترقت جدران المألوف ، عمدنا الى استنطاق الهواجس والافكار والمواقف والعواطف التي تصطبغ في اعماقها من خلال الحوار التالي :

- نود العودة الى الذكريات والى المناخ والمؤثرات التي اخصبتها في خاطر غادة السمان ؟
- دعنا يا أخي من حديث الذكريات فهو يطول ، وقد يقذف بنا الى صحارى الالم ووديان الندم . . . بايجاز اقول لك : كنت طفلة عربية ورثت في دمها خبرات حصتها ضد الخوف والالم السلبي . . . طفلة مسكونة بكل ما في جداتها النساء العربيات من صلابة وطاقة على الاحتمال ورغبة في العطاء والمشاركة في بناء مجتمع اكثر صدقا وعدالة .
- من التي اختارت الاخرى انت ام الكتابة . وماذا تعتبرين الادب . . . متعة ام رسالة ؟

- الادب فن ورسالة . والفن الحقيقي لا يمكن الا ان يتضمن رسالة ما . فالفن لا ينمو في الفراغ . . والفنان هو ابن لمجتمع معين يتأثر بواقعه وقضاياه ، وعزلة الفنان عن قضايا وطنه تقتله ، ولكن تحويل فنه الى مناشير وشعارات بغيائية يقتل هذا الفن ايضا .
المهم باستمرار هو ذلك التلاحم الخلاق بين الفن والرسالة ، والتزاوج العفوي غير القسري بين القصة والهدف منها . لا تضاد بين الابداع والرسالة . بل هنالك نوع من التكامل تصهره نار الموهبة لتتحول اللغة الى نسيج حي ، والحروف الى فراشات ملونة حيناً والى ألغام أحياناً !

● نراك تتقلبن بين القصة والرواية والشعر ، فأبي المرافىء تؤثرين ، وما هو مرمك الاخير الذي تودين الرسو عنده في النهاية ؟

- اطمح الى ان ارسو في مرفأ الابداع سواء ركبت مركب القصة او الرواية او الشعر . . . لكل لحظة مركبتها ، لكل خاطرة قالبها . لكل فكرة جسدها الفني الذي تحمل فيه . . . يخيل اليّ ان فعالياتي الاساسية تكمن في كتابة الرواية . لا شيء نهائياً حينها تأتي لحظة التوهج والتفجر ، لحظة الكتابة . وما قلته حول علاقتي بالرواية هو وليد خبرتي السابقة ، ولكن ما أدراني بخبراتي اللاحقة ، انا الشاردة في مهب اعصار العطاء مثل نورس فضولي ؟

● اتوقف عند كتابك « اعتقال لحظة هاربة » لماذا « اعتقال ؟ » وما هو جذرها البعيد في نفسك ؟

- كلمة اعتقال تفرض نفسها على قاموسنا العربي انطلاقاً من الواقع الحزين الذي تعيشه بعض اقطارنا . . لكنني في كتابي هذا كنت اتحدث عن « اعتقال » من نوع آخر يمارسه الفنان باستمرار مع اللحظات الهاربة . .

فالعمر لحظة هاربة . . . الحب . . الصداقة . . لحظات الصديق العذبة . . . لحظات الجمال المغسولة بالوفاء ، كما المدن الليلية في الشتاء الماطر . هذه كلها لحظات جميلة ومضيئة لكنها هشة كالازهار ، عابرة كالطائر الدوري . . هنالك لحظات يتمنى الانسان فيها لو ان بوسعه ايقاف عقارب الساعة وانهارات رمل الزمن . . يتمنى لو ان كل شيء يتحجر لحظتها ويدوم . . المال يقف عاجزاً عن اعتقال لحظة هاربة . . . السلطة والثروة . المجد والقمع والبوليس العلني والسري . . كل اولئك لا يستطيعون اعتقال لحظة هاربة . . وحده الفن يقدر . . . وحده الفن يستطيع احتواء ذلك الجمال كله ، ذلك الحنان كله ، تلك المخاوف كلها ، وذلك القهر كله . . وهذا بعض

طموحي في « اعتقال » لحظة هاربة . . لقد اعجب الشاعر بايرون ذات يوم ببناء
اغريقي فخلده في قصيدته الشهيرة « انشودة الى اناء اغريقي » . . . لقد انكسر الاناء
ولكنه ظل جديدا ونضرا داخل القصيدة دوغما خدش وحتى « حينما تحترق الاوراق تطير
الكلمات بعيداً » .

● هل تعتبرين رواج كتبك انجازاً عاماً من اجل التغيير ام تشعرين في قرارة ذاتك
بالمجد الفردي ؟ وهل تعتبرين انك حققت بها مكاسب ذات اهمية للمرأة العربية ؟
- بما انني امقت ارتداء الاقنعة ، اقنعة الزيف ومسوح الزهد المفتعل اعترف لك بكل
بساطة انني في قرارة ذاتي سعيدة لأنني استطعت الوصول الى قلب القارئ العربي .
واعتقد ان كل انسان ينكر على نفسه فرحة شخصية بنجاح حققه هو شخص يخفي
حقيقة ليست مدعاة خجل لأنها جزء من الطبيعة البشرية . . هذا اولاً . . . ولكنه ليس
كل شيء !!

انني اعتبر وصولي الى قلب القارئ العربي انجازاً فنياً ، وشهادة حضارية لصالح
الفرد العربي الذي لم يرفضني لمجرد انني انثى ، ولم يقبل عليّ للسبب ذاته ، وانما كان
تعامله مباشراً مع حروفي وعطائي . . . وهذا الكلام ينسحب على التعامل الحضاري
الذي لقيته حروفي من الصحافة والنقاد بوجه عام . . . لا من قارئ وحده .
لقد ظل القارئ العربي يطالعي بحذر ويقرأ حروفي بهدوء وامعان طوال عشرة
اعوام ولم يقبل عليّ بهذا النهم الا منذ سنوات (بالضبط منذ اواخر عام ١٩٧٧) يوم
اسست « منشورات غادة السمان » .

واريد ان اصارحك بشيء آخر . لم يكن الغرض من كتابتي في اي يوم تحقيق
مكاسب للمرأة العربية فحسب بل كان غرضي تحقيق مكاسب للانسان العربي . . ولم
يسعدني في اي يوم من ان يقال انني اكتب كما الرجل ، فهدفي هو ان اكتب كما
«الانسان» . وصحيح انني دافعت كثيراً عن (قضية المرأة) لكن دفاعي هذا كان من
ضمن دفاعي عن مظلومي المجتمع جميعاً وعن المقهورين جميعاً والمرأة من بعضهم .
شيء آخر . . . احب ان اعلن ان المرأة العاملة او المثقفة ترتكب خطأ انسانياً
فادحاً حين تطالب بتحرير المرأة خارج اطار تحرير الانسان العربي ككل . المطالبة بتحرير
المرأة مرحلة بدائية انقضت ، ومن المفروض ان تنتقل المرأة العصرية العربية من المناادة
بحرية المرأة ، الى المناادة بمجتمع سعيد وحر وعادل ، والى وعي الجذور المتشابكة
والجدلية ، التي تربط قضية تحرر المرأة ، بقضايا الحريات العامة ككل ، وقضايا الوطن

وازماته وتراثه وبؤس بعض رجاله . . انتهت موضحة (المرأة المثقفة) التي تتوهم ان واجبها الاوحد هو المندادة بتحرير المرأة . هذه مرحلة تجاوزها التاريخ ، كانت ذات يوم ضرورية لانفتاح الرؤية ولكنها صارت الان قاصرة عن استيعاب الواقع للاكثرية الساحقة لنساء الوطن العربي .

بعبارة اخرى لن تنال المرأة قسمة من رغيف الفرح اذا لم يكن رغيفه متوفرا للشعب العربي بأكمله رجالاً واطفالاً .

نحن الآن على ابواب مرحلة جديدة . لقد اكتشفت المرأة في نصف القرن الماضي ضرورة تحريرها وهذا جميل ، اما الآن فعليها ان تخرج من المرحلة الشعرية الخطابية الاستعراضية لهذه الحرية ، وعليها ان تواجه مرحلة جديدة وهي مرحلة الانفتاح على قضايا المكافحين الاخرين لأجل تطوير المجتمع العربي ككل . والانفتاح على الواقع الموضوعي والعلمي لوضعها ولوضع سواها ، فالرجل ليس عدوها ، كما انه ليس بوسعه ان يمنحها (حقوقها) حتى ولو شاء ، فالعدو الحقيقي هو التخلف باذرعه الاخطبوطية المتعددة والمتشابكة ، والمرحلة التالية تفترض ان نقول وداعا للمرحلة الشعرية لتحرير المرأة . وصباح الخير للمرحلة العلمية الموضوعية الواعية والمسؤولة لتحرير المرأة ، ضمن اطار تحرير الفرد العربي ككل ، ومن ضمن مخطط قطع الجبال كلها التي تحول بينه وبين تفجير عطائه الذي ملأ الارض ذات يوم علماً ومعرفة وانسانية . وهكذا فان التزامي بقضايا الانسان العربي - لا المرأة وحدها - هو جزء من انفتاح المرأة العربية المعاصرة على قضايا الاخرين واعتبار هذا الانفتاح هو المدخل الحقيقي لحل قضيتها وقضاياهم معا ، انها لظاهرة صحية ان تلتزم المرأة بالانسان العربي ذكراً وانثى ما دام لا خلاص لأحدهما دون الآخر ودون الخلاص العام .

رندة أبي هنا تستجوب

- أنا زعيمة المافيا الثقافية ؟!
- أنا كاتبة اتعامل مع الخبر ، لا مع حساء الفطر !

● حياتك اليومية ، هل هي صراع بين واجباتك البيتية ، وحبك للكتابة ؟
- لا صراع يا عزيزتي . القضية محسومة منذ زمن بعيد لصالح الكتابة . اقر ببساطة اني ربة منزل رديئة ، وانه لأمر رائع ان زوجي لم يطلقني ! . .
فالطلاق قائم بيني وبين ما يدعى (واجباتي المنزلية) ، وهو امر لا اشعر بالفخر به ولا بالخجل منه . انه (أمر واقع) ! انه حقيقي . . .

اجل . لا صراع . .
القضية محسومة لصالح البحر والرياح والشواطىء ، والمرافىء الغامضة والقوارب المهاجرة وامطار المدن النائية . . القضية محسومة لصالح الركض خلف الأبجدية الملونة كالفراشات ، الغامضة كالنجوم ، المراوغة كالنوارس . . .

أنا كاتبة ولا أصلح لأي شيء آخر . لا أصلح ربة منزل ، لا اشعر بأن من واجبي ان أفعل ما يناقض حقيقي . ولا أدري لماذا يسمح المجتمع للرجل الفنان بالتفرغ لفنه ، ويجدون ذلك غريباً حينما تمارسه امرأة . لماذا لا يسأل احد توفيق الحكيم عن - واجباته المنزلية - ولماذا تجد الادبية نفسها باستمرار - في مجتمعا - مضطرة لمواجهة الصراع بين فنها ، والاعمال البيتية ؟ الصراع موجود في اعماقي صوب (جبهة) الفن فقط . اعيش صراعاً مع فني ، كي امنح الافضل ، وكى اتجاوز ذاتي في كل كتاب . . .

أنا كاتبة . هذه حقيقي ، وارفض تزييفها داخل قالب جاتوه ! .
أنا كاتبة اتعامل مع الخبر ، لا مع صلصة المايونيز وحساء الفطر . استفسارك الموجز هذا يحرك في نفسي شجونها كامرأة عاملة لا كفنانة وكاتبة فقط .
انك تضربين على وتر مأساة المرأة العاملة بوجه عام مع الواجبات المنزلية . فهي

احياناً تعمل خارج البيت كالرجل تماماً ، وتعود منهكة مثله ، ومرهقة مثله ، لكن المجتمع التقليدي علم الجميع ان الواجبات المنزلية من نصيب المرأة في المطلق . ان التبدل في حياتنا الاجتماعية الناجم عن عمل المرأة لم يرافقه الوعي بضرورة تطوير مؤسسة البيت واعادة النظر في مفاهيمنا عن جوهر (الواجبات المنزلية) ، وايجاد الحلول للمشكلة التي لا تحسمها دور الحضانة فقط ، وانما تحتاج الى نظرة جديدة للمشكلة ككل . النتيجة ؟ خسارة طاقات نسائية عاملة وخلاقة ومبدعة على مذبح الوهم بأن المرأة مكرسة لخدمة البطن والمعدة .

● ما هي القضية التي تحين النضال من أجلها ؟

- البحث عن الحقيقة . الوقوف في وجه الظلم . عدم حرمان البشر من انسانياتهم . اقف ضد القمع بوجه عام . ضد كل ما يحرم الناس من حقهم في الحرية والعدالة المتوازنة ، حرية الروح والجسد والفكر والمعتقد ضمن اطار احترام حق الآخرين في الامر ذاته . اناضل من اجل الحنان والفرح . وأكره الحنان الفضيض بمعنى انني لست عاطفية مع (القط) وقاسية مع (الانسان) ، ولن اخرج في مظاهرة ضد اباداة الحمام اللندني مثلاً او الاسماك الالمانية ، وانما افضل البدء بالاهم ، وسأخرج في مظاهرة ضد محاولة اباداة الانسان العربي ، او ضد تجويع اطفال بعض اقطاره مثلاً .

● اين يقع الرجل في حياة غادة السمان ؟

- الرجل بوجه (خاص) ؟ انه الحبيب ، اي الضوء في داخلي . بدونه انا المصباح ذاته وقد انطفأ . انه الحماس والزخم والتوق واللهفة . .
والرجل هو ايضا - الصديق - فأنا افضل صداقة الرجال على النساء ، وافضل صداقة المرأة العاملة على المرأة المكروسة للرفاهية .

الرجل بوجه (عام) ؟ انه رفيقي على هذا الكوكب الزاخر بالتعاسة والالوجاع . . . ورفيقي كمواطن في أمتنا التي تواجه تحديات همة . . . انه شريكي في الحلم والعاصفة .

ومن هنا موقعه الاساسي لا في حياتي فحسب ، بل في (حياتي العملية) . في حروفي . ومن هنا انا لست منحازة للمرأة رغم انني قد ابدو احياناً كذلك . انا منحازة للعدالة . وحين ادافع عن المرأة ، فليس ذلك لانها انثى مثلي ، ولكن لانها تستحق ذلك كإنسانة ، ولان الظلم الواقع عليها مركب ومزدوج .

● هناك اتهام يقول انك كنت تؤلفين مافيا ثقافية وعبر ذلك كنت تفرضين الفنانين والصحافيين والشعراء على الصحف .

- هذا صحيح . وللأسف المافيا من اصدقائي لا تحمل الرشاشات . اننا مجموعة من رفاق القلم نلتقي مصادفة ، ونحدث عن الادب . وحينما اعجب بعمل ما واستمتع به ، اتمنى ان يستمتع به سواي من البشر . ثم ان العمل الفني المبدع يتضمن في داخله سطوة ذاتية تدفع بالناس الى خدمته والسعي لترويجه . الابداع شيء سحري ، وقوته تنبع منه ذاته لا من صاحبه . السحر في النص الشعري لا في الشاعر . السحر في اللوحة لا في الرسام . السحر في اللحن لا في الملحن . وأنا ككاتبة اتوق الى الابداع في عملي وفي عمل سواي . وحينما اجد تلك اللمسة السحرية لا أملك الا طاعتها ورعايتها والقيام على خدمتها بايصالها الى الآخرين . الا تشعرين يا عزيزتي بالحاجة الى توسيع - المافيا - على طريقيتي ؟ . . . وهل تنضمين الينا ، نحن الذين مقررنا الرياح وخيامنا منصوبة داخل الليل واوتادها مدقوقة في الامواج ؟؟ . . .

● كيف تتعاملين مع المال . وماذا يمثل لك الرصيد المصرفي ؟

- اتعامل مع المال كما يعامل الرجل الشرقي عشيقته : يسعى للحصول عليها كي يبددها . . الرصيد المصرفي هو بالنسبة لي بطاقة سفر ، واسطوانة ، وكتاب ، اي لمسة حرية وفن .

● هل تعارض دارك للنشر « منشورات غادة السمان » ودار زوجك « دار الطليعة » ؟ ولماذا لم تنشري في « دار الطليعة » ؟

- ثمة تكامل لا تعارض . في الحياة اساس الحب هو حفاظ الانسان على كيانه وغموه ، وليس التفريط بهذا النمو تحت شعار (التضحية) .

في الزواج ، يحدث ان تهرب المرأة من مواجهة طموحها تكاسلاً او تحاذلاً سلبياً ، ثم تلقي تبعة ذلك على الرجل مدعية انها (ضحت) من أجله . . . وهي احياناً في الحقيقة هاربة من العمل والكفاح .

انا لست من هذا النمط ، ولا احب هذا النوع من - الحب - . الحب غمو وازدهار . الحب تحقيق الذات ، و« منشورات غادة السمان » تكريس لاستقلالي كامرأة عاملة ، لكن الاستقلال لا يعني الانفصال ، بل العكس هو الصحيح ، فالمرأة الحرة المستقلة هي التي تستطيع ان تمنح ، لانها تمارس فعل اختيار لا فعل ارغام . كون المرأة مسكونة بالطموح والفعالية والرغبة في النمو لا يعني انها تحب زوجها

اقل ، وكون المرأة سلبية في الحياة العملية لا يعني انها تحب زوجها اكثر . ومن هنا فالتعارض غير موجود ، وجوهر الصلة هو الوعي المتبادل بأن الزواج لا يعني الغاء وجود احد الطرفين ، وانما يعني النمو المشترك لانسانين مختلفين لا يوحدهما الحب ، وانما يخلق بينهما حلفا في مواجهة هموم الحياة ، كالالم والغربة والمرض والموت والفراق .

● اطلقت تسمية « الاعمال غير الكاملة » على كتبك الاخيرة . هل فشلت في كتابة القصة الطويلة ، او فرض ذلك عليك الوضع السريع الذي نعيشه ؟
- تسمية « الاعمال غير الكاملة » سببها كما ذكرت في - المقدمة - انني لا احب عبارة - الكمال - مقترنة بالعطاء البشري ، وكل ابداع انساني يظل - غير كامل - فالكمال لله وحده . . .

اما عن فشلي فحكاية اخرى . كل كتاب من كتبي تطالعيه يخفي خلفه عدة كتب اخرى فشلت في كتابتها . انا اتقن الفشل ، بمعنى انني اعيشه واتجاوزه . انه لا يخيفني . الفشل هو الوجه الآخر لعملة النجاح . لقد اخرجت الى الناس حتى اليوم عشرين كتاباً . . . والناس ترى هذه الكتب ، لكنها لا تعرف شيئاً عن المذبحة الدائرة بين اوراقني ، ولا تعرف شيئاً عن الكتب التي طالما فشلت في كتابتها او ولدت مجهضة . الفشل جزء من رحلة النجاح والعمل ، ومن لا يحاول لا يفشل . الفشل لا يخيفني . ما يخيف حقاً هو ان يكف المرء عن المحاولة ، وهذا ما لم اعشه بعد .

فاطمة طقو تستجوب

- هاجس التحرر لم يستعبدني
- ضد الألفة مع الذل والقهر

● من خلال وجودك في لبنان ومعايشتك لأجوائه الثقافية ، ما هو برأيك واقع الرواية في لبنان ، وهل استطاعت التصدي لمختلف المشاكل التي يعانيها اللبناني على جميع الأصعدة ؟

- ليس الروائي اللبناني وحده المطالب بالتصدي لمختلف المشاكل التي نعانها (هذا إذا فرضنا جدلاً ان مهمة الرواية هي هذا التصدي) ، ولكن الروائي العربي بوجه عام مطالب بوعي المأساة اللبنانية لأنها في جوهرها انعكاس للتقاعس العربي العام والتخلي عن الشعارات المعلنة لغوياً لحظة الحسم عسكرياً بالاضافة الى عوامل التفجير المحلية المعروفة .

مأساة لبنان هي الانعكاس المرير لعصر العار العربي داخل مرآة بيروت وملعون هذا الزمن العربي الذي تكاد تدمر فيه عاصمة عربية ، وتحاصر المقاومة التي تعلن معظم الانظمة تبنيها ، ولا يجد ذلك كله ترجمة عملية (جغرافية) في ساحة المعركة ، باستثناء البيانات (التاريخية) التي تناضل (شفهيّاً) حتى آخر قطرة حبر في المحبرة زمن لم تخرج فيه مظاهرة عربية واحدة احتجاجاً إلا من قبل عرب الارض المحتلة في فلسطين أليس معنى ذلك اننا نعيش زمن الاحتلال العربي في كل مكان تقريباً ، وكلنا نرزح تحت احتلال او آخر بعض الانظمة تقمع ، وبعض الشعب نخدر هناك ولاه عن المأساة

في زمن رديء كهذا ، اعتقد ان الفنان العربي بوجه عام مدعو للتصدي ضد الألفة التي تكاد تنشأ بيننا وبين الذل والقهر ومدعو لمواجهة مشاكل بيروت على انها مشكلته الشخصية ، وهي كذلك بحق - مع وقف التنفيذ - لأن كل فرد عربي سيتأثر عاجلاً او آجلاً بالاحداث التي تدور هنا على صعيد رزقه وحياته وأمنه وسلامة

أطفاله وأمواله . . . ومن المؤسف ان نضطر للاستعانة بهذه (اللغة المادية) ، ومن المفجع ان يتدنى مستوى الاستجابة العربية للاحداث الى هذا الحد الأدنى ، فيصير لاهياً عن مأساة لبنان إلا لحظة تمس مصالحه ، كأنه غريب عن العروبة غربة الفرد الاميركي مثلاً الذي لم يلحظ وجود بلاد العرب إلا يوم افتقد المازوت للتدفئة ولوقود السيارة . . هذا الكلام لا ينسحب طبعاً على قطاعات عربية شاسعة واعية ، لكنه ايضاً لا ينفي غلبة التعاطي السلبي العربي مع مأساتنا . . التي هي حزنهم الآتي . . .

انني أتمنى على المبدعين العرب في اقطارهم كافة، وعي المدلول العميق لما يحدث (هنا) . . . كي لا يحدث (هناك) . . . والتعبير عنه في حروفهم بمنأى عن الموضوعات التقليدية التخديرية . . وأعي في الوقت ذاته القمع الذي تتعرض له في غير قطر كلمة الصدق ، او الرؤيا الجديدة الواعية للعروبة بين الحلم والامر الواقع .

● غادة السمان التي تعتبرها قارئاتها نموذجاً للمرأة المتحررة ، ما هي دعوتها للفتاة العربية في هذا الوقت الذي أصبح فيه المصير يشغل البعض اكثر من التحرر والمساواة ؟ - ربما كنت نموذجاً للمرأة المتحررة ، لأن هاجس التحرر لم يستعبدني (والمصير) كان دوماً يقلقني اكثر من مقولات التحرر والمساواة . . ولأنني آمنت منذ زمن بعيد انه لا وجود لفرد حر داخل مجتمع مستعبد داخلياً أو خارجياً . . . ولأنني طالما تمنيت على المرأة النضال من أجل حقوقها ضمن إطار نضال بقية المظلومين والكادحين العرب رجالاً ونساء . . . ولكن بالمقابل ، يبدو لي ان المجتمع ككل مطالب اليوم بحث المرأة على العمل كالرجل ، وذلك من أجل (المصير) . . اي ان التهديد الجاد الذي نتعرض له ، يتطلب إلحاحاً خاصاً على قضية المساواة من اجل الاستفادة من طاقة المرأة المشلولة ، اي من نصف المجتمع المرغم على ان يكون عاطلاً عن المقاومة في زمن التحدي . . وهكذا فان الدعوة ليست للفتاة العربية وحدها ، بل للرجل العربي كمسؤول واب وحاكم وفنان . . . المطلوب اطلاق سراح المرأة لتساهم في المعركة حسب موقعها وطاقاتها ، فالانسان غير الحر لا يستطيع ان يقاتل ، وقد وعدت العرب ذلك منذ زمن بعيد يوم وعدت عترة باعتاقه مقابل ان يقاتل وقالت له : « كرّ ، وانت حر » . . اي اهجم وقاتل ، ولن تكون عبداً بعد ذلك ، بل ستمنح حريتك . . .

هذا لا يعني ان تجلس المرأة تغزل الانتظار على وسادة الحلم ، وصوت الانفجارات يغطي الفضاء العربي . . ان المبادرة مطلوبة ولوبلغت حدود المغامرة ، ولا نصّر حقيقياً دونما ضحايا لكل مرحلة تطور . . فنحن لسنا في رحلة سياحية نقدم فيها وعوداً براقاً ،

نحن في مرحلة تاريخية متأججة . . . تتطلب اجراءات استثنائية .

● غالباً ما يكون الرجل في رواياتك مضطهداً للمرأة ، ألا تعتقد ان الرجل كالمرأة ضحية للمجتمع وافكاره وتقاليده ؟

- حينما يكون الرجل في احدى قصصي مضطهداً للمرأة يكون أداة الاضطهاد ووسيلة الاذلال ، لا (المضطهد الأوحده) . . . إنه الرصاصه ، والمجتمع هو الذي يضغط الزناد . . .

في روايتي « بيروت ٧٥ » مثلاً نجد الاضطهاد المركب الذي يتعرض الرجل والمرأة له معاً من قبل قوى مالية واجتماعية ومؤسسات جهنمية شرسة في محاولتها لامتلاك الانسان العربي وتدجينه .

بطلة الرواية (ياسمينه) تتعرض لاضطهاد حبيبها الثري وهذا الاضطهاد هو في جوهره نتيجة حتمية لمقولة اجتماعية هزلية : الثري لا يتزوج إلا من طبقته زواجاً سياسياً ومالياً . . . وله ان يمارس الحب سراً خارج إطار المؤسسة البيئية التي تفرغ من مضمونها (الحب) ، لتصير امتداداً للمؤسسات الاخرى الفاسدة .

وبطل الرواية نفسها (فرح) يتعرض للاضطهاد من قبل ذكر آخر (نيشان) ، يستغله ، ويتخذ من فقره مطية ، ومن ضعفه امام اغراء الثراء أداة لاستلابه روحه ، وهكذا تقدم له الشهرة في طبق الجنون . . . حتى في اعماله الاولى المبكرة ، لا أظن اني سقطت يوماً في فخ اعتبار الرجل مضطهد المرأة الأوحده . . . ولكنه دونما شك أحد أسلحة الجريمة وأدواتها . .

● كل كاتب يعرف خلال مسيرته الادبية ، مرحلة جديدة ، غالباً ما يسمونها بمرحلة النضوج الفني او الفكري (أو مرحلة التراجع والتردي) ، النضوج الذي عرفته عادة السمان في كتاباتها هل يلغي ما بدأت به ، ام هو حلقة من السلسلة ؟ - لا شيء يلغي حرفاً خطه الفنان . . . اكرر : الكلمة كالرصاصه ، لا تسترد بعد إطلاقها ، وكالخطيئة لا شيء يحوئها . .

ماضي الكتابي هو جزء من حياتي بخيره وشره . . اتبناه بالمعنى المطلق ، لأنني أقدمت عليه بغض النظر عما هو . . . واكذب اذا تنصلت من حرف كتبه . كل ما سطرته يدي ، كان نتيجة لحظة قناعة وصدق جارفة . . . وانا بالتالي لا أنفي عن نفسي امكانية السقوط في الخطأ ، لكنني انفي السقوط في تزوير الاشياء . . . كل ما قلته في الماضي ، كان وجهة نظري في الحياة لحظة الكتابة بكل اخلاص ، حتى لو اكدت النقيض بعد

ذلك ، وبكل اخلاص أيضاً .

لا أدري اذا كانت تبدو كتبي (العشرون) من الخارج في حالة غو طبعي متدرجة من حرارة الشهقة الاولى الى دفء النضج الهادئ . . . أم انها تبدو وكأنها ثمة قفزة ما في مرحلة ما نحو اتجاه معاكس كلية . كل ما ادريه انني لم اكذب يوماً على قارئ ، حتى لو قلت له اشياء متناقضة .

● لقد ساعدتك قوة شخصيتك وبعض الظروف على تحقيق ما تطمح اليه المرأة العربية من تحرر وتكوين الارادة المستقلة ، فما هي السبل - بناء لتجربتك - التي تحقق للمرأة حريتها وتكرس لها حقوقها ؟

- العمل هو المفتاح . ان احداً لن يمنحنا الا ما نقوى على الامساك به . . ولن تقبض ايدينا إلا على ما نستحق . .

بدون العمل تبدو طروحات تحرير المرأة (تسولية) وهزلية . .

والى جانب العمل لا بد من لمسة تضحية في مواجهة المقولات الاجتماعية التقليدية ، الجاهزة منذ عصور ، للاجهاز على روح المبادرة لدى المرأة . . . ان قليلاً من الثرثرة والانتقادات ضدنا ليست كارثة ، بل ردة فعل طبيعية ، ولا ضرورة لبدء ردود فعل مضخمة إزاء ذلك . . ومع الزمن يبدو الوضع عادياً ، ويألف مجتمع الرياء حضور المرأة العاملة الجادة ، المتماسكة الشخصية . . . وحذار من الكليشيهات الجاهزة في العالم النسائي البورجوازي مثل : سلاح المرأة دموعها . . . او : قوة المرأة في ضعفها ، وغير ذلك من المقولات التي تعد المرأة عبرها نفسياً للعب دور (الحيوان الأليف) . . . قوة المرأة فيما تقدمه للمجتمع من عمل ، وسلاح المرأة صدقها وقوتها وتماسكها لا دموعها . . . ولكن التخلي عن اسطورة ضعف المرأة لا يجوز ان يكون سبباً لتأدية سلوك هزلي آخر هو (مطب الاسترجال) . . . فنحن لسنا في منافسة مع الرجال لتربية العضلات الرياضية والشوارب واللحى ، ولا في حوار بينزنطي عن المزايا (البيولوجية) لكل منا . . . واذا كان لا بد من وضع الاشياء في إطار المنافسة فالمزايا لمن يكون (أكثر انسانية) ، واكثر خدمة لمجتمعه ووطنه ، بعيداً عن التطرف والمبالغة والعقد النفسية . . .

● لقد كتبت في الأدب وفي الصحافة ، وفي كليهما خضت حرباً على التخلف ، وكنت مثلاً للتمرد ، فأني من الاثنين هو الأقرب الى احداث ردود فعل سريعة وفعالة عند القراء ؟

- الصحافة لردة الفعل السريعة ، والادب للفاعلية الطويلة المدى . . . وأحدهما لا يغني عن الآخر ، وإنما يكمله . . مع الصحافة أفرغ شحنات غضبي وقهري وثورتي مثل شرر يقدحه حجر صوان كلما اصطدم بجدران القمع . . . مع الرواية أصوغ قهري ببطء وأناة قنديلاً وأزرعه في تربة العمل زيتونة أرهاها اعواماً ليضيء زيتها فيما بعد . . مع العمل الادبي أقلد خبرات التربة التي تحتزن زمناً طويلاً قبل ان تتدفق نبعاً . . مع الصحافة أقلد حصاناً برياً يحاولون ترويضه ، فيرد على لسعات السوط ووحشية القيد وهو يصهل حتى الافق بصوت يعلن الغضب الآني والرفض المطلق .

أحياناً لا أستطيع ان اكتب أدباً اذا لم يسبق ذلك مرحلة تفريغ عن طريق الصحافة . . أمام احداث وطنية وقومية تقهرني حتى قاع عظامي ، أشعر بان حرارة الاشياء ستصهر البرود المحايد المفترض لدى (صانع الرواية) ، فالجأ الى الصحافة أصب كهارب الغضب ريثما يهدأ الزبد وتنقشع الرؤيا أمام رادار الروح الذي يفضل العمل بعد العاصفة . . وأحياناً تتلاحق الاحداث والمذابح والالوجاع ، فاكتب صحافة ورواية في آن معاً ، كما في المرحلة الأولى لكتابة روايتي « كوابيس بيروت » في فترة الحرب الاولى . . .

ولكن يظل الاقرب الى احداث ردود فعل سريعة وفعالة لدى القارئ هو القلم المشتعل صدقاً سواء كتب صحافة او قصة . . . أو شعراً . . . فالمهم دوماً الجوهر المشع ، أياً كان قالبه .

مراسل القبس الكويتية يستجوب

● لسنا سفينة من القرصانات

النسائيات المهووسات

● تحرير المرأة عمل ودي لا عدواني

● المساواة بين الرجل والمرأة . . . أي نوع من المساواة في ذهنك بينهما ، واي نوع من اللامساواة ؟

- المساواة في الواجبات . . . وذلك بالتالي يتطلب مساواة في الحقوق . . . تلك الطاقة العربية الجبارة شبه السجين المسماة بـ « المرأة العربية » آن الوقت لتوظيفها في خدمة مجتمعها العربي بعيداً عن مستنقعات الهدر وزوايا الحياة الآسنة . أفكر أيضاً بالمساواة في حق الخطأ . . . فالذي يعمل لا بد وان يخطئ مرة ما . « الذي لا يعمل لا يخطئ » . . . وانطلاقاً من هذه القاعدة تقرر حرمان المرأة من أمور كثيرة كي لا تخطئ . . . وتقرر تحويلها الى (قديسة اجبارية) ، وجلبها الى (سلك العطالة) خوفاً عليها من الهفوات الصغيرة التي لا يمكن إلا ان يقوم بها كل بشري و« أنسي » يعمل . . .

لقد آن الأوان لنسف ذلك الوهم الشائع بأن « من لا يعمل لا يخطئ » وعلى المرأة بالتالي (أن تعمل) ، فعدم العمل هو في نظري الخطيئة الكبرى التي لا تغتفر .

● تحرير المرأة العربية : نعم ، ولكن ما صورة التحرر والتحرير ؟ .. صورة السماويات أم صورة العقائديات المستحدثة ومنها صورة تحرير المرأة في الأدبيات الماركسية ؟ الرجل رأس المرأة ؟ أم المرأة « رأس » كالرجل تماماً ؟ . . .

- « صاحب الرأس » هو « الرأس » . . . ذكراً كان أم أنثى . هذه هي الاجابة البديهية التي تقفز فوق السطور للوهلة الأولى . . . وبعدها بثانية تصرخ ملء صوتك : ذلك كله خارج الموضوع .. لا أنادي بتحرير المرأة العربية لأنتزع من الرجل « منصب الرأس » أو أي « مهمة مقدسة » أخرى . . . ولا أريد السقوط في وهدة

المهاترات حول «رأس الاسرة» أهو الزوجة العاملة او الزوج العاطل عمداً عن العمل مثلاً ، الأخت الجامعية أم الأخ المخبول الذي يفترض انه ولي أمرها ولن تحصل على وثيقة سفر مثلاً للمحاضرة في ندوة علمية خارج بلدها اذا لم يرافقها الى مركز الشرطة ليصم موافقته . . لا . . لا أريد ان تسقط المناداة بتحرير المرأة في وهدة التفاصيل الجارحة التي لا بد وان تجد لذاتها حلاً تلقائياً مع الزمن والتطور . . .

اريد ان اتحدث عن الجوهر . . . جوهر تحرير المرأة العربية كما أراه ينادي بتحريرها من قيودها لا من أسرتها ويقف مع توظيف طاقاتها لخدمة مجتمعها ، لا من أجل تدمير الهيكل على رأسها ورؤوسهم جميعاً . . .

المنطلق لتحرير المرأة في نظري (ودي) لا (عدواني) . . . يفكر بالواجبات الإضافية التي ستلقى على كاهل المرأة قبل التفكير بتقسيم المغنم التي سنسرقها من الرجل . . . لسنا سفينة من القرصانات النسائيات المهووسات نهجم باخرة الرجال وشعارنا الجمجمة وعظمتان وخنجر . . . إننا كائنات تفيض حيوية وطاقة وقدرة على العطاء في حقول أخرى كثيرة غير التي تم تكريسنا لها طيلة عصور ، وكل ما نطلبه هو منحنا فرصة للاسهام في البناء . . . إننا نريد مبدأ التكافؤ في الفرص مع الرجل . . . فمن الصعب عليك ان تعمل بيدين مقيدتين وعينين معصوبتين والسيوف مسلط على رأسك ، وانت مدان سلفاً ، ومجرم حتى تثبت للآخرين براءتك ، ويتم بالتالي اختراع جرم جديد لك عليك ان تؤكد من جديد تنصلك منه ومن ذاتك معاً وهكذا إلى ما لانهاية . . . نريد اخراج المرأة من الحلقة (السيزيفية) التي تجد نفسها ساقطة في فكها لمجرد انها قررت تحريك فكها لغير التهام الطعام !! . . .

أما عن صورة تحرر المرأة في الأدبيات الماركسية الغربية فهي لا تثير الشهية الى التقليد، ولا تبدو مشرقة . . . على الأقل في الشهادات المكتوبة لزعيمات نضاليات (كتاب «قضية النساء» ، مثلاً تأليف جيزيل حليمي - جيرمين غرير كيت ميليت - شولاميت - فايرستون) خاب أملهن بتجربة تحرر المرأة في ظل الحلم الماركسي الذي لم يخل (ذكره) من الشوفينية في ممارساتهم رغم تعاليم ماركس ولينين وانغلز وبيبل ولافارغ وزتكين وتروتسكي وماوتسي تونغ وكيم ايل سونغ والى آخره . . . بالرغم من اولئك جميعاً شهر آدم الماركسي هراوته وتابع سيطرته التاريخية على حواء في جنة الشحار ، مؤكداً سلطته

عليها في ظل السماويات والماركسيات ، تسلطاً أبدياً سرمدياً لعله يدفع بالمرأة الى رد فعل أعمى وتسلط مضاد صارخة : الانثى هي الأصل . . .
انا شخصياً اعتقد ان « العدالة هي الأصل » . . . لا الانثى في المطلق ولا الذكر في المطلق . . . وحجم الإنسان معادل لحجم أعماله ، وما ينفع به الناس بغض النظر عن جنسه البيولوجي المذكر او المؤنث .

● هل تؤمنين بالصورة العصرية « للمرأة » كما هي في المجتمعات الغربية المتقدمة ، ام تخنين الى صورة « ماضوية » أو مستقبلية لها ، وكيف ؟
- لا أحن الى صورة « ماضوية » ، ولا اشتتهي العصر « الأمومي » حيث المرأة تحكم القبيلة كملكة النحل . . . لا أؤمن بأن القمع يجب ان يواجه بقمع آخر شرط تبادل الادوار بحيث يصير (الذكر) هو المقموع . . . لا أريد تصحيح الخطأ بخطأ آخر ، ولست (طائفية) في انتمائي الانثوي اي انني لا انتمي الى تاء التأنيث في اسمي بل الى انساني . . . الالتئام الانساني الذي يحثنا على الدفاع عن معذبي الارض من مظلومين هو الذي يحثنا للدفاع عن المرأة ايضاً بصفتها مظلومة المظلومين وكادحة الكادحين . . . ومن هذا المنطلق أقف الى جانب المرأة لا من منطلق تاء التأنيث التي تصادف وجودها في اسمي .

انا أنتمي الى حلم « الانسان الحر في مجتمع عادل » ، وكجزء من ذلك اتحدث عن تحرير المرأة العربية . . . وليس من منطلقات شوفينية تريد سرقة سلطة الظالم لتكون هي الظالم الجديد . .

أما عن صورة المرأة في المجتمعات الغربية فأنا ارى بوضوح استحالة استيرادها الى اي مجتمع آخر . . . فهي وليدة عالمها وربما هي جيدة حيث هي ، لأنها نتاج تلك الحضارة المختلفة . . . من الممكن الاستفادة منها كتجربة من تجارب الشعوب الاخرى التي تعلمنا الكثير سلباً او ايجاباً ، لكنني ضد استيراد الافكار بقدر ما انا ضد تحييطها . . . وضد التبنّي الأعمى لقيم جاهزة لم تنبت في تربتنا بقدر ما أنا ضد الممارسة العمياء للموروثات والمكرسات عندنا . . .

لا أحن الى صورة ماضوية ، ولا اريد استيراد نظم حضارية جاهزة . . . أنا من اولئك الحالمين بصورة مستقبلية ، تنبت في تربة الواقع ، لا تقطع صلتها مع جذورها ولا تتنكر لرياح العصر وشموسه وصواريخه التي تزور الكواكب الاخرى . . .

● الحب الواحد الوحيد . . . حقيقة ام اسطورة ؟ كيف تفهمين الحب ؟ ما هي صوره ؟ لو كانت لديك فتاة صبية ، كيف تعاملينها ؟ ما الذي تريئه مقبولاً منها ، وما الذي لا تريئه كذلك ؟

- الحب الواحد الوحيد حقيقة تتكرر !! . . . فكل حب يبدو في مرحلة الالتهاب وحيداً وواحد ، تنسى كل ما قبله وتنفي إمكانية ما بعده . . . وحين تدخل في مرحلة الرماد ، تنكره ، وحين تلتهب من جديد تعود لتؤكد ان حبك الحالي هو الواحد والوحيد . . . الانسان يكره الاعتراف بأن الحب الواحد الوحيد حكاية غير واقعية ، ويصر على انه ما الحب الا للحبيب الأول ، ليس حرصاً على الحبيب الاول ، بل حرصاً على أنانيته الذاتية التي ترفض الاعتراف بهشاشة المشاعر البشرية العابرة ، وصواعق القلب المتكررة والمنسية اللامنسية ، وعواصف الحب المتوالية المتلاحقة الكبيرة في نظره ، الصغيرة في عرف الأبدية كحبة رمل على شاطئ الزمن تعبت بها امواج النزوات ورياح الهفوات البشرية اللامتناهية . .

ان توكيد الانسان خلود حبه هو جزء من شهيته الذاتية المفرطة لتوكيد عظمتة الشخصية . . . لكننا جميعاً - في فترة ما من حياتنا على الأقل - نعي ضعفنا البشري امام حلمنا بالكمال ، ونعي خياناتنا الصغيرة وخذعنا وألاعيبنا مع الذات والآخرين بين حب وآخر . . . وعبثاً (نتلظى) ونختبئ خلف شعارات الاخلاص الأزلي والعشق الأوحد . ان الحب الواحد الوحيد فوق طاقة البشر ، واذا مارسناه فمن اجل تجميل صورتنا امام مرآة عشق الذات .

كيف أفهم الحب ؟ لا أفهمه . . .

أحرق فيه كما كان البدائي يتأمل النار مدهوشاً حين تشعل الصاعقة غابته . . . ما هو كنه الحب ؟ كم هو شبيهه بالنار . . . يستحيل الامساك به . . . يمكن ان يضيء وان يحرق . . . ولا نستطيع العيش بدونه . . . غلطة صغيرة ، ويلهبك معه ويأتي عليك ، وبه تحلو الاغلاط رغم كل شيء . .

لو كنت أما لصبية ماذا أفعل وكيف أعاملها ؟ لا أدري . . . لقد رزقني الله بصبي لا بصبية ، وما زال دون سن الحب ، ولا أدري كيف أعامله حين يكبر ويأتيني للمرة الاولى عاشقاً مثلاً . . أحياناً اتساءل : لو كانت لدي ابنة ، وجاءتني ذات يوم عاشقة هل أطبق عملياً كل حرف في كتيبي نحو حبتها وجنونها ، ام اتحول الى ديكتاتورة مجنونة اخرى

كأمهات معظم الصبايا العربيات العاشقات ؟ لا أظن ذلك (أو لا أحب ان اعتقد ذلك !!) فقد استطعت دوماً ردم تلك الهوة بين ما انادي به وما أعيشه ، ودفعت الثمن باهظاً لأجل ذلك . . وما زلت وسأستمر . . .

● لو أحببت المرأة شخصاً ، هل يسمح لها بأن تبادر هي الى اعلان الحب عليه ، ام ان المبادرة من حق الرجل وحده ؟

- اعلان الحب فعل مسؤولية . واذا كانت المرأة قوية وقادرة على حمل مسؤولية ما تفعله ، فلتقدم عليه . . مع العواطف لا توجد قاعدة عامة . . الاستثناء هو القاعدة في أمور الحب ، وكل حب دنيا مختلفة قائمة بذاتها . . ما تفعله امرأة ما ببساطة يمكن ان يدمر اخرى . . . ذلك يتوقف على القدرة على العطاء . القدرة على المواجهة . فالحب في بلادنا لا يتطلب عطاء فقط مع الحبيب بل ومواجهة مع العالم الخارجي . . . ولأن الرجل ألف حمل المسؤولية ، نجده غالباً يحمل مسؤولية اعلان الحب وما يترتب على ذلك . . . إنه طرف المبادرة . . المرأة العربية الجديدة تستطيع إعلان الحب اذا كانت قد ألفت التمرس بالمسؤوليات في مختلف حقولها من عملية واخلاقية ومادية ، وتستطيع ايضاً ان تتابع لعب الدور العتيق في مسرحية توريط الرجل حيث تدفعه الى ان يقول ما تشتهي هي قوله ليكون هو المسؤول . . . لا هي . .

انا ارى ان في اعلان الحب خروج من اخلاقيات الرياء والمواربة ، حيث ما تزال المرأة تباهي بخبثها التاريخي وخفرتها المزيغ ونعومتها المزورة التي تجر الرجل المسكين الى التوهم بأنه صياد ماهر في غابات الأكاذيب التاريخية عن العواطف . اعلان المرأة عن حبها إمعان في الصدق لمن تقدر عليه وتجد اليه سبيلاً . . . شرط ان يتضمن ذلك ، الوعي الناضج بالمسؤوليات التي تترتب على فعل اعلان الحب ، لا ان تتحول تلك المبادرة الى حائط مبيكي جديد تنوح المرأة عليه في معرض ابتزازها التاريخي للرجل الشرقي . . .

لقد انتهى عصر الفتاة التي كانت تتظاهر بابتلاع (الليمونادة) وما فيها من مادة مخدرة ، حيث يقوم الرجل (الذئب) باغتصابها في حفلة تواطؤ مشتركة . . .

« اعلنت عليك الحب » صرخة ضد اخلاقيات الرياء ومسرحيات شد الحبل التقليدية في العلاقات الهزلية بين الرجل والمرأة الملقبة خطأً بالعاطفية . . حيث تتجاهل المرأة ما هي مقدمة عليه متظاهرة بـ (السذاجة) و (البراءة) الى آخر المعزوفة التي أكل الدهر عليها حتى شبع . اريد ان يكون الحب فعل مسؤولية واعية متبادلة . . تغادر المرأة فيه دور (الضحية) الى دور (الشريك) . . . ويخرج الرجل من تهمة (الذئب) ليتخذ

مكانه الحقيقي : الرفيق . . .

دوماً يتحدث الذكر بلسان الانثى . . يعبر هو عن مشاعرها ، ويلعب دورها على المسرح الى ما قبل سنوات غير بعيدة . .
فهل يضيق صدر العالم العربي بكاتبة تريد ان يخرج صوت قلبها من حنجرتها هي
لا من حنجرة رجل ، وتريد ان تخط كلماتها بقلمها هي لا بقلم آخر ، وتريد اعلان
الحب على طريقته هي وبصوتها الخاص ، ودون ان تتعثر بكرة تاء التأنيث في
اسمها ؟ . . .

استجواب حول قضايا أدبية

- النقد ليس فقط قضية ذوق بل ذوق من !
- جيمس جرانند -
- سؤال الانسان الحكيم يتضمن نصف
الاجابة .
- سليمان ابن جبرول -
- الحياة تشبه الروايات اكثر مما تشبه
الروايات الحياة .
- جورج صاندد -
- العمل الكلاسيكي هو ما يتمنى الجميع لو
كانوا قراءه ، ولكن لا أحد يرغب في
قراءته .
- مارك توين -

نبيه البرجي يستجوب

- الأمية والفقر وتأثيرات الدخول العسيرة للكلمة تفترس كلها الكتاب العربي .
- كفاح اي رجل في الكرة الارضية هو تراث انساني .

● ثمة من يقول ، وهم عديدون جداً ان غادة السمان تنقلنا الى ما بعد الاشياء . . ما بعد الحزن مثلاً ، ما بعد الفرح . . لكن الواقع يظل محور توجهاتها ، أكان جميلاً ، ام فاحماً ، أم مداناً ، ام مدهشاً . . . أحياناً ؟
- الواقع يظل فعلاً محور توجهاتي . . انني لا استطيع الذهاب الى صيد الفراشات في الغابة بينما الآهات هي ايقاع ليلنا ونهارنا . . وجراح الوطن تتفتح تحت الشمس وتنمو فيها نباتات الغضب . . . في سرايين الفنان تركض توجهات شعبه ، ويسبح وطنه داخل دمه كالسمكة . . . الفنان ليس خارج الاحداث المعاشة وبالتالي فان الفن لا يستطيع ان يكون خارج الواقع . . .

يظل الانتقال الى ما بعد الحزن ، ما بعد الفرح ، ما بعد الابعاد هو حلم الفنان . . . حين يستطيع فنه ان يشف ليتجاوز اللحظة دون ان يلغيها ، وانما ينطلق منها الى أرض الصدى والمرايا . . .

● في كتاباتك حضور استثنائي وحميم لأحاسيس وقيم من الصعب تجاوزها ، الشراسة الى جانب الشفافية ، الغضب الى جانب الحب « الاغريقي » ، العنف الجنسي الى جانب حلم طفولي . فكيف استطعت تدجين هذه العناصر الثنائية القابلة للانفجار ؟
- لست انا التي « دجنت » هذه العناصر وكل ما افعله انا هو انني أنقل ببساطة اسرار القلب الانساني المدهل . . الكائن البشري مخلوق خارق ، وباستمرار يسكنه الشيء

ونقيضه ، انه الصحو والمطر معاً ، الظل والنور ، اللهب والجليد . كل الاحاسيس البشرية الحادة تحمل في آن واحد نقيضها ، وفي لحظات الكثافة الانسانية نجد ان الخيط الرفيع بين الحب والكراهية والعقل والجنون يكاد يضيع . . . يتشوش . تأتي الأشياء دفعة واحدة ، والقلب البشري وحده القادر على احتواء ذلك الزلزال . . . الزلزال في الداخل . . . وقلمي الدقيق ، مثل ابرة مرصد تستमित لتسجل ما يدور في الاعماق . . .

● أحد النقاد قال : ان ازمة القصة العربية ليست أزمة البعد الواحد ، بل انها تنحدر من قصورنا الانساني فهل تشاطينه هذا الاتهام ؟
- اعتقد ان كلامه قد يحلل جزئياً أزمة القصة العربية وينطبق على بقية ازماتنا في مجالات اخرى كثيرة ، لكنني لا اوافقه على هذا التبسيط المبالغ به !
إن قصورنا الانساني حالياً ليس حالة نهائية مستعصية او تشخيصاً لمرض لا شفاء منه . . . هذا القصور هو أمر مرحلي بدأ العقل العربي يحيط به ويعيه ويتلمس درب الخلاص ، ثم ان هذا التقصير له نتائجه السيئة في مجالات حياتنا كلها اكثر مما له من تأثير مباشر على نتاجنا الفني القصصي . . .

١ - الفنان العربي يواجه ايضاً أزمة اساسية وهي ازمة قارئ . . . إن ٨٠ بالمئة من الشعب العربي تفرسه الامية وبالتالي يعجز حتى عن قراءة صحيفة يومية .
٢ - الفقر . حتى الـ ٢٠٪ من العرب الذين نجوا من الأمية ، اكثرهم لم ينبع من الفقر . ومن الطبيعي في هذه الحالة ان يشتري الفرد الرغيف بدل الكتاب .
٣ - ارتفاع اسعار الورق وبالتالي الكتب مما صار يحول بين اكثر الطبقات والكتاب بالاضافة الى الافتقار لمكتبات عامة عربية بوجه عام . . .

٤ - مصاعب توزيع الكتاب العربي .
٥ - مآسي الرقابة العربية على الكتب ! . . . التفاهة هي الشيء الوحيد المسموح توزيعه دونما عقبات أكثر أقطار في بلادنا ! . . .
٦ - المثقف العربي هو غالباً مثقف (شفهي) وقلما يحرص على متابعة انتاج ما حوله وانتاج من حوله .

واكثر الذين يشتغلون بالفكر عندنا لا علاقة لهم بالكتاب إلا اذا أهدي اليهم . . .
إنهم يشتررون الاحذية وربطات عنق بيير كاردان وويسكي بلاك ليبل وحبوب منع الحمل ولكنهم لا يشترون كتاباً . . . (ومن هنا كانت طريق الاديب الناشئ في بلادنا صعبة ،

ومن هنا كان لجوء الكثيرين في بدء حياتهم الادبية الى إثارة فضيحة اجتماعية لعل النقاد الكبار يقرأون نتائجهم مجذوبين الى الفكر بالفضيحة !... المطلوب عبور فكري للمثقفين الى عالم الكتب) ...

العوامل السابقة كلها - التي طالما كررتها - تخلخل علاقة الكاتب بالقارىء... وكلها ممكنة المعالجة... ومن « القصور الحضاري » الاكتفاء بتشخيص المرض دون اضاءة ولو شمعة واحدة في درب الحل العملي... وعلى اية حال ، وبالرغم من الظروف الموضوعية التي تحيط بالفنان العربي ، والتي تكونه ايضاً ، وكلها مليئة بالثغرات الحضارية ، فان القصة العربية قد حققت مكاسب فنية تستحق التأمل... اقول ذلك وفي ذهني أعمال عدد غير قليل من المبدعين العرب في مجال القصة وسواها...
إننا نستطيع المقارنة بين القصة العربية المعاصرة والقصة الاوروبية دونما حرج ، لكننا لا نستطيع مثلاً المقارنة بين « اختراعاتنا » العلمية المعاصرة والفكر العلمي في الغرب... أي ان « قصورنا الحضاري » على صعيد القصة هو اقل بكثير من قصورنا في المجالات العلمية والتطبيقية . نحن قاصرون في مجال « القصة العلمية » (Science Fiction) وتلك ايضاً نتيجة لقصور « العالم » عندنا لا « الأدب » .

● ماذا تكتبين الآن... وأبعاد هذا الاختبار ؟

- لا اكتب شيئاً هذا الشهر... حينما يأتي الصيف ، أصير نصف سائحة ونصف سمكة... أرحل وأرحل ، ثم أعود الى البحر... قضيت الاسابيع الماضية على الشاطئ مثل أي تمساح صغير استوائي يطارد ظله... على صعيد الانتاج اتوقع شتاء حاراً... وطوال مغامرتي الصيفية مع الرمل والصخر والموج والعموم والغرق ، كانت الافكار ايضاً تأتيني مثل مد الموج مخلقة على شطآن كثيرة من الصدف... واعتقد ان خيوط رواية جديدة بدأت تشتعل... مع الشتاء افتح اصدافي ، وقد أجد لأولؤة عطاء ما... وقد أفشل كما يحدث لي كثيراً . الفشل لا يخيفني . أنا غملة في مجال العمل... كل نجاح لي قرأ عنه الناس يخفي وراءه عشرات المحاولات الفاشلة في الظلام...!

● الذي يخترق قراءتك ، يكشف انه في نقطة ما بين الغبطة والكآبة . انه « يتخرج » مبتهجاً ، رغم انك حتى في الكتابات الشخصية جداً (وهذا وصف غير مقنع) ، تدينين بأسى وجوهاً عديدة من حياتنا...
- يسرني انك استطعت التقاط ذلك الخيط الرفيع من الضوء الموجود باستمرار خلف اكثر

سطوري غضباً وتشاؤماً... « إدراكك الفني » مرهف ، ويسعدني ان تلتقط اكثر موجاتي

خفوئاً ولكن أكثرها أهمية ايضاً . .

أستعير تعبيرك الجميل « يتخرج مبتهجاً » . . . فعلاً ، هذا ما اريده . . . ولا اريدها بهجة ماسوكية ، لانني اكره العلاقة السادو-ماسوكية مع القارئ . . . انني لست « مطهراً » له من آثامه ولا آثامي ، ولست بباكية على الاطلاع تشفي فيه الرغبة في اطلاق (الآه) . .

« البهجة » التي اريد لقارئ الخروج بها من سطوري هي مثل الفرحة الدامعة للارض بعد العاصفة . . . انني لا أخفي عن قارئ فظاعة ما يدور له وبه وحوله ، ولا امنحه اية آمال كاذبة ، ولا وعوداً بجنان أرضية ، لكنني أوّمن بالانسان . . . وبهذا المعنى فقط انا متفائلة . . . أوّمن بطاقات الانسان الطيب البسيط العادي ، وبأن بذرة الحق والخير والجمال لا بد وان تنبت من قاع جحيم واقعه واحزانه . . .

هذا التفاؤل ، النحيل كحد شفرة ، والقاطع كحد شفرة ، هو الذي يترأى لك خلف سيمفونية العنف والرفض والغضب التي تعزفها سطوري ، وهو الذي يجعلك تتخرج « مبتهجاً » . . .
إني مبتهجة لذلك !

● يتردد ان الفكر العربي الراهن عشوائي ، لامستقبلي، في أغلبه ، لأنه انحنى امام الموجات الزاحفة من مناطق اخرى في العالم ، ولم يستطع أقلمتها . . . فهل هذا صحيح في نظرك ام انه من جملة الآراء الداكنة ، غير المبررة ؟
- لا أظن ذلك صحيحاً . . .

فكرنا الحالي قد يكون عشوائياً بشكل جزئي وذلك يعود الى اننا ما نزال نتلمس طريقنا . . . وهذا هو الوضع الطبيعي في المرحلة الانتقالية التي نمر بها . . . « استيراد الافكار » هو ايضاً ضرورة مرحلية لإعادة اكتشاف الذات العربية واستنباط ما يناسبها ورفض ما لا ينسجم وجوهرها وسبر غورها واخراج مكنوزها . . .
الفكر السياسي . الفكر الاقتصادي . الفكر العلمي ، كلها تمر في بلادنا بمرحلة إعادة خلق وبعث ، ومن البديهي ان ينشأ عن ذلك بعض التشويش والاستيراد والعشوائية . . . لا يمكن ان يلد فكر من فراغ ، كما انه لا يمكن ان يلد فكر دونما مخاض . . . والجبل لا يتصبب دونما زلزال . . . ويجب الا نخيفنا اوجاع المخاض بمختلف مظاهرها فتتوهم الولادة احتضاراً . . . يخيل اليّ ان ما يدور حولنا هو ولادة وليس احتضاراً ، وان « المظهر العشوائي » كما يبدو يخفي في باطنه صراعاً هاماً وخطيراً بين

الفكر التقدمي والرواسب الرجعية ..

ثم انني لا استطيع ان أفهم مبررات الخوف مما يدعونه « استيراد الافكار » ...
إننا لا نستوردها بشكل بيفائي ، ولكن من واجبنا الاطلاع على تجارب الشعوب الاخرى
في مجال التطور ، واجراء دراسة مقارنة واستيحائها ورفض بعضها وتمثل بعضها الآخر
بحيث تصير جزءاً من خبراتنا ...

إن كفاح اي انسان في الكرة الارضية من اجل الشمس والحرية والكرامة هو تراث
انساني وخبرة لكل قاطن على هذا الكوكب المسكون بالاحزان .

● بكلمات بسيطة عادة السمان من أنت ؟

- انا واحدة من قافلة الباحثين عن المحبة والضوء والعدالة في عالم مذهل القسوة ... انا
واحدة من قبيلة المعذنين الطيبين البسطاء ، الراضين شريعة الأمر الواقع ، المتطلعين الى
غد أفضل ...

انا امرأة ترفض كل المسلمات الاجتماعية التقليدية وتصر على اختيار ما يناسبها
من القيم والتقاليد لا بحكم الوراثة ولكن بعد غربلة واعية جريئة عقلانية ..
أنا امرأة الغاضبين ، وأنا امرأة المحتضرين ... كل انسان يتعذب في هذه اللحظة
في اي مكان هو صديقي ... كل امرأة مضطهدة ممزقة نائرة هي رفيقتي ...
انا حبة رمل حارة على شاطئ الانسانية الملطخ بالدم والرماد ...

● في « مجنون إلزا » يقول أراغون : « ... وتعبت ، وأتعبت ، لأنها امرأة مصنوعة من
الخرافة وضوء القمر » . تلوح لنا عادة السمان ! ... !

« الخرافة ، وضوء القمر » ... هذا جميل ولكنه وحده لا يكفي - إذا صح إنه
يمثلني ! ... اصف الى هذه العجيبة كثيراً من الغضب العربي ، وكثيراً من المحبة ،
كثيراً من الرفض الشرس ، وقليلاً من السكينة .. كثيراً من الظلمات السرية وقليلاً
من ضوء القمر .. كثيراً من الواقع المجرح وقليلاً من الخرافة .. واطلق ذلك كله مثل
صرخة احتجاج في ليل طويل طويل ... ذلك هو أسمى ! ... !

هاديا كستي سعيد تستجوب

● العمل الصحفي ليس بالضرورة
مقبرة الابداع الأدبي .

● متى تركت الصحافة ، ولماذا ؟

- لم اترك الصحافة . هي التي تركتني . حاستي الصحفية هاجرت عني ، « وعين الصحفي » في أعماقي انسدت عليها جفون كثيفة ، حدث ذلك منذ ستة أشهر . كنت في فيينا ، أزورها للمرة الأولى ، وقد حملت (الكاميرا) كأني صحفي محترف ، ودرت في شوارعها ، في ازقتها ، في وجوه اهلها ، ركضت في ليلها وقد شرعت قلمي . . انصت لموسيقى اثيرها ، وشاهدت بط النسيان الابيض الكسول يتجول في حدائقها ، بينما زلزال العصر يشق عمراتها .

ووجدتني عاجزة عن كتابة اي تحقيق صحفي . هجرتني لمسة (ميداس) الصحافية ، ووجدتني عاجزة عن التقاط اية صورة بالكاميرا للمدينة .

عين كاتبة القصة استدارت داخل دماغي مثل عين قطة في الظلام ، وبدأت عدساتها المركبة ، المعقدة اكثر من اية كاميرا ، تلتقط الصور . . . والمرئيات . ووجدتني اكتب قصتي الجديدة شبه الطويلة « الدانوب الرمادي » اولى قصص « رحيل المرافئ القديمة » .

إن ذلك لا يعني ان الصحافة هجرتني الى الأبد . لقد حدث ذلك من قبل مرات عديدة ، فأنا شاطئ من المشاعر تتواتر فوقه امواج حياتي الداخلية ، وغالبا ما تجد هذه الامواج تعبيرها عن ذاتها عبر القصة وحيانا عبر تحقيق صحفي او صفحة في مذكراتي ، او دمعة صمت سرية ، أو السير في مظاهرة مع الجماهير الناقمة . . .

كثيراً ما تركت الصحافة وعدت اليها . . . تسحرنني بحيويتها ، ومباشرة مخاطبتها للناس ، وقدرتها السريعة على التغيير ، وديناميكية الحوار عبرها بين الكاتب وقرائه . . .

قد لا تصلك هذه السطور الا واكون قد عدت الى الصحافة . . وقد لا اعود ابداً .

● حدثينا عن مجموعتك القصصية الأخيرة .

- مجموعتي الأخيرة اسمها « رحيل المرافء القديمة » وقد باشرت بطباعتها . أولى قصص هذه المجموعة هي « الدانوب الرمادي » (اولها من حيث التسلسل الزمني لكتابتها) وهي تضم ٦ قصص قصيرة كتبها في فترة تشبه الحمى دامت عشرة أسابيع فقط كنت خلالها كمن به مس ، اكتب باستمرار دون أن أقوى على تهدئة أصابعي الراكضة بجنون بين السطور . كنت اكتب ليل نهار وذات ليلة ، مع الفجر ، لا ادري لماذا شعرت برعب وانا أرقب اصابعي الراكضة بين السطور مثل احصنة وحشية الاندفاع والعدو، كأنني احاول ان اسابق الموت وان انتهي من مجموعتي قبل ان يقرع نافذتي ذات ليلة ويحتلني . . .

وانتهت المجموعة ولم يقرع الموت نافذتي . ولكنني فقدت ابطالها الذين خلقتهم وعاشتهم اسابيع طويلة ، وودعتهم لحظة انتهت من آخر سطر للكتاب .

● أين توقفت مشاريع « قصص متوحشة » و« العجربة » و« الموسيقىار » وغيرها ؟

- أنا يا سيدتي امرأة موهبتها النسيان .

النسيان ينزف من مسامي . لا أقصد النسيان بمعنى فقدان الذاكرة ، وانما بمعنى الاحساس بانفصام العلاقات القديمة . . انعكاس ذلك سيء جداً على مصالحي الأدبية . فالقصة التي اكتبها ولا انهي كتابتها تماماً وفوراً ، أجدني قد اغتربت عنها اذا عدت اليها بعد اشهر . . اجدني اتهرب منها كما يتهرب انسان من صديق قديم لم يعد يروق له . لاحظت انه من الأسهل عليّ اعادة صب الفكرة في قصة جديدة بدلاً من تكملة سطر واحد فيها ! مخطوطاتي القديمة مكدسة امامي . . . ترمقني بعيون تفيض رجاء . . . تريد ان امنحها الحياة واطلقها الى الناس . . .

وانا لا ادري متى . . . اخشى ان اعود الى كتابة اشياء جديدة ، واخلف اوراق العتيقة غير المنشورة للريح والنسيان . . . ربما كانت اوراقي السجينة هي افضل ما كتبت . . . من يدري ؟

● كم مرة سافرت هذا العام ؟ والى اين ؟ ولماذا ؟ وماذا كتبت في أسفارك ؟

- تسأليني كم مرة سافرت هذا العام ؟ . . . لم اسافر ولا مرة واحدة . أجل . ركبت الطائرة اكثر من مرة . وأقلعت بي من مطار بيروت . وطارت بي مئات الأميال . وحطت بي في عشرات المطارات الغربية . . لكنني لم اسافر . لقد عجزت هذا العام عن السفر

خارج ذاتي ولو مرة واحدة . كنت احمل معي اينما ذهبت كل قضايا عمري واحزاني
وطموحي ومخاوفي وماضيي ، واكل معتقداتي وثورتي وخططي . . .

اين سافرت ؟ ما الفرق . كنت - اينما كنت - قطعة نازفة من ارض وطني . . لقد
بدأت استعصي على التخدير وعلى النسيان ، وبدأت امشي نهائياً في ارض الجمر
والالتزام . . .

● المعروف عن غادة انها صديقة لأكثر ادباء وشعراء العالم العربي . ولكن هذا لا يمنع
من قول رأيها الصريح - وهي المعروفة بالصراحة والجرأة . من هم ابرز الشعراء
العرب اليوم . وابرز الادباء والأدبيات ؟

- رغم انك رشوتني في سؤالك ، اذ (تغزلت) بصدقي وصراحتي وجرأتي ، اقول لك
بكل جرأة وصراحة وصدق انني لا استطيع الاجابة على هذا السؤال لأنني حريصة على
صداقاتي الحميمة .

● هنالك آراء متناقضة حول شعر الثورة الفلسطينية ومدى ما حققته . ما هو رأيك
الشخصي بها . . .

- بالنسبة لي لا يوجد شيء عام وشامل اسمه « شعر الثورة الفلسطينية » ، فأنا أمقت
التعميم في قضايا الأدب .

هنالك اصوات عديدة تطرح في شعرها قضايا الثورة عامة ، والثورة الفلسطينية
خاصة ، وتتفاوت من حيث الجودة والأصالة الفنية . . ولكن رفع شعارات الثورة
الفلسطينية لا يمكن ان يشفع للشعر الرديء . وفلائل جداً من متعاطي « شعر الثورة
الفلسطينية » هم شعراء بحق .

● القصة العربية القصيرة ، اين هي ؟ وما مدى ما وصلت اليه ؟ ويقال انها تنطلق
اليوم من القاهرة ، وبعضهم يقول من العراق . ماذا تقولين ؟

- القصة القصيرة لا عاصمة لها ، ولا حاجة بنا الى مناقشة هل تقطن القاهرة ، ام
بغداد ، وهل سفارتها في الكويت أهم ، ام في دمشق . كل كاتب مبدع هو عاصمة من
عواصم القصة في العالم العربي ، وطرح القصة (اقليمياً) غير عملي .

بصورة عامة ، اعتقد ان حركة القصة العربية القصيرة مليئة بالحياة
والمعاصرة ، ، وان بعضها عالمي المستوى .

● بعد ان مر على زواجك ٣ سنوات واصبحت امّاً ، ما الذي غيره او اضافته الزواج
والامومة الى حياتك كأديبة ومثقفة ولنسانة تملك طموحات كبيرة ؟ ثم انك مستريحة الى

حد ما في حياتك الآن . اين ذهبت همومك السابقة ، وما هي ابرز همومك ؟
- ما أنا الا قطرة من بحر العذاب الانساني المختلف الموجات والعواصف والانواء . . .
وسنوات ثلاث من الزواج (اي من الاتحاد بقطرة اخرى معذبة) لا تبدل من الأمر
الشيء الكثير . . . أنا من بعض هذا المجتمع العربي . . همومي هي هموم اي تائر في اي
زمان ومكان . . . وهي ايضاً هموم اي انسان يكف لحظة عن ركضه المجنون في دروب
الحياة ويتأمل حقيقة ما يدور . . . يحزنني موت الاشياء الجميلة ورحيلها السريع . . .
موت الحب . . . موت الصداقة . . . غموض الحياة وطلاسمها ، وشبكة ألغازها
العنكبوتية التي نتخبط في شركها دون ان ندري لماذا ومن اين الى اين وماذا بعد غير
الموت . يحزنني الفقر . . . والمرض . . . والجنون . . . والحرب . . . واللاحرب . . .
وكل شيء . . . العالم مسكون بالحزن . . الزواج رفقة في درب الاحزان وليس حلاً لها
اولمشاكل الوطن والوجود .

● كونك مثقفة لها موقفها تجاه الحياة العربية والعالمية بمختلف قطاعاتها وجوانبها، فهل
تستطيعين ان تحددتي لنا باختصار شديد مواقفك من : السياسة العالمية الآن ؟ العربية ؟
واين انت في التيارات الثقافية العديدة ؟

- يولدون ، ويتعذبون ، ويموتون ! . . هذا باختصار شديد كما طلبت .

● رأيك بالصحافة العربية بصورة عامة .

- الصحافة هي حنجرة المجتمع وضميره الجماعي وانعكاس لصورته على مرآة
الورق . . . وهي بالتالي لا بد وان تتضمن كل ما في المجتمع من عظمة ومن
سقطات . . . والصحافة العربية تمد جذورها في ارض الوطن العربي بكل ما فيه من
متناقضات وثورات وقيم وتشوش . .

على ضوء هذه الرؤيا ، اعتقد ان الصحافة العربية بصورة عامة استطاعت تجاوز
الكثير من الهنات ، واستطاعت ان تؤدي دورا ايجابياً بناء في هذه المرحلة التاريخية التي
يعيشها وطننا العربي .

● يقال ان الاديب الذي يعمل في الصحافة لا بد وان يمتصه العمل الصحفي ويؤثر على
انتاجه ليس من حيث الكمية فحسب ولكن من حيث المستوى . والمعروف ان اكثر
ادباءنا يعملون في الصحافة . فهل لاحظت ان المهنة اثرت على نتاجاتهم ؟

- ذلك يتوقف على مدى اصالة الأديب . . . وكلما ازدادت اصالة الفنان ، كلما
استعصى على وسائل (التدجين) الفكري . لا اعتقد ان العمل الصحفي هو بالضرورة

مقبرة الابداع الادبي ، بل انها احياناً قد يتكاملان ، ويكونان تعبيرين عن حقيقة واحدة وموقف واحد يمثلها الأديب ويلوره عبر ادوات التعبير المختلفة . . . المهم ان يعمل الأديب (في الصحافة او غيرها) ضمن شروط لا تستنزفه جسدياً او انسانياً . . . والأدباء الكبار أصالة لا مفر لهم من ان يكتبوا أياً كانت الشروط ، فالعطاء قدرهم ، واسلوبهم في الترف ، فهم مرصودون لتزف وجودهم سطوراً مترنحة على الورق مثل خطى انسان مصمم على ان يمشي رغم الخنجر المغمد في ظهره .

كثيرون هم الادباء الغربيون الكبار الذين كتبوا للصحافة في فترات من حياتهم . . . دون ان يؤثر ذلك في عطائهم الادبي . . . بل كان لهم من تجاربهم الصحفية روافد جديدة . . .

● في احد تحقيقاتك الصحفية اتخذت موقفاً مغايراً من حركة « الهيبيز » . لماذا ؟
- « الهيبيز » كانوا اسوأ محامين لقضية عادلة . نادوا بالسلام ولكنهم انتهوا الى ارتكاب الجرائم والمجازر - مثل مذبحه شارون تيت وضيوفها على ايدي جماعة منهم - ، ونادوا بالنقاء النفسي ولكنهم مارسوا القذارة الجسدية واعلنوا الحرب على الماء والصابون ، ونادوا بالمحبة ولكنهم مارسوا الجنس الجماعي مثل قطط الازقة المظلمة . . . ونادوا بتدمير المؤسسات القائمة . ونادوا بملء العالم بالأزهار والفرح ، لكنهم حولوا كل حديقة دخلوها الى مقبرة ماريوانا وحشيش و - ال . اس . دي . - وغيرها من وسائل التخدير الذي يمتص اية قدرة لدى الانسان على الفرح ويقتل ازهاره الداخلية وقدرته على العطاء . . . ونادوا بالحرية ، لكنهم مارسوا عبودية الجنس والتخدير ، ونادوا بمجابهة العالم القذر والحضارة الالية ، ولكنهم امتهنوا الهرب من المسؤولية .

نادوا بالعودة الى البراءة الاولى ولكنهم عادوا الى البهيمية الاولى . . . الهيبيز خيبة لجيلي ، فقد تبنوا ما كان في قلبي من سخط وثورة ، لكنهم مسخوا هذه الثورة واستغلوها ومارسوا التفاهات تحت لوائها فكانوا مؤسسة اسوأ من كل المؤسسات التي وجدوا اصلاً بداعي تهديمها .

● رأيك بتأزم الشباب العربي .
- تأزم الشباب العربي دليل عافية وطنية ونفسية لأنه لا يمكن لعربي من المئة مليون غاضب لهزيمة ١٩٦٧ ، ومتحفز لغسل العار ، الا ان يكون متأزماً . . . اليد التي تلعسها النار ولا تتوتر هي يد مشلولة والنفس التي تعصف بها رياح التحدي والعدوان التي تعصف بعالمنا العربي ولا تتأزم هي نفس ميتة . . .

● لماذا تزوجت ؟ او بالاحرى لماذا ارتضيت لنفسك هذه القيود وانت الشابة المنطلقة
« سابقاً » في حياتك خارج كل الاسوار ؟

- انا امرأة دمرت كثيراً من الأسوار كما تقولين . هذا صحيح . ولكن تدمير الاسوار لا
يعني بالضرورة التفلت من المسؤولية . حينما ودعت دمشق ، وحماية والدي المادية
والمعنوية ، وانطلقت في العالم بحرية ، حملت مسؤولية هذه الحرية . كنت اعمل باستمرار
لأعيل نفسي ، وتابعت دراستي الجامعية في بيروت وفي لندن حتى الدكتوراه . . وعشت
وحدي في مدن بعيدة ، وذلك لا يعني فقط الحرية العاطفية وانما يعني انه كانت هنالك
مسؤوليات عملية لاحد لها كان عليّ ان اواجهها . . . مسؤوليات يعرفها اي شاب عاش
وحيداً في الغرب . . ولذا فإن زواجي لم يكن بالنسبة اليّ صدمة ، ولم يتطلب مني كثيراً
من التكيف . . . كل ما في الأمر ان نوع مسؤولياتي تبدل . . . القيود التي سبق وتمردت
عليها لم يأت زواجي ليبدل شيئاً من موقفني نحوها . . فزواجي لم يكن لجاماً ولا
قيداً . . . ما زلت اتمتع بحرية التفكير والقول والكتابة والتصرف . . . كثيرون
ادهشتم استمراريّتي الزوجية ، وهذا يرجع الى مفهومهم الخاطئ للزواج وممارستهم
المهينة له . . او الى فهمهم الخاطئ لحقيقيتي و«لنوعية» القيود التي طالما كسرتها وثمرت
عليها وما زلت .

بالنسبة لي ، الزواج صداقة انسانية حقيقية وتحالف بين رفيقين لكسر القيود التي
تكبل انسانيتها وتحول دون تحقيقها لوجودهما ، لا اختراعاً لمزيد من القيود ! . . .

● ماذا تحب عادة (غير زوجها) ؟ - الموسيقى - السينما - الرياضة - السفر . . الى
آخره .

- أحبه ، رغم انه زوجي ! . . .

منذ البداية لفت نظري شيء نادر فيه : انه غير مصاب بالازدواجية الفكرية . .
اكثر الثوريين واليساريين العرب الذين عرفتهم كانوا مصابين بالازدواجية في موقفهم من
المرأة ومفاهيمهم للاخلاق . . كان هنالك تناقض صارخ بين آرائهم وسلوكهم . . بين
معتقداتهم الثورية وممارساتهم الرجعية . بعضهم يتشاجر مع اخته لأنه ضبطها (بالجرم
المشهود) تراجع دروسها مع زميلها الجامعي ، ثم يخرج من الدار ويتستر بالظلام للقاء
صديقته التي قد تكون اخت ذلك الشاب ! . . زوجي وجدته قد تجاوز هذه المرحلة . .
وبلغ مرحلة الوضوح المدهش والانسجام التام بين فكره وسلوكه وممارساته على كل
صعيد . . . كانت تلك هي الشرارة التي أشعلت كوكب حبي له .

هذا ، حتى اشعار آخر .

لا أضمن المستقبل ولكنني اكفل صدقي فيما يتعلق بالماضي والحاضر . هذا عن زوجي . اما بقية الاشياء التي أحب فكثيرة لا تحصى . الموسيقى ؟ .

احب الموسيقى اليّ صوت الصمت في الغابات حينما يهب عليها الليل بأصواته السرية الغامضة . احب الافلام اليّ هي تلك التي أراها على شاشة الحياة مجاناً ودونما قاعة عرض ولا تذاكر . . احداثها تبعث دوماً على الدهشة والذهول اكثر من اي فيلم استطاعت السينما التقاطه .

أحب رياضة اليّ هي المشي تحت المطر وتسلق الاشجار ومطاردة الافاعي والتقاطها وتخويف النقاد بها !

أحب الطيور اليّ البوم ، واهوى جمع صوره وتماثيله ولدي مجموعة حلوة منها ، وينافسه في حبي بقية مخلوقات الله الجميلة المدهشة . احب الفئران مثلاً . في عيونها ذكاء وبريق طفولي . حينما كنت اعيش وحيدة في لندن اكتشفت ان فأرة صغيرة تقاسمني غرفتي ، وتتسلل في الليل بحثاً عن بقايا الأكل ، وصرت اعد لها العشاء واطفيء النور واجلس صامتة في الظلام انتظر زيارتها وارقبها تأكل كالاطفال بينما يسقط عليها نور الشارع . . وكانت تراني وتعرف انني اراها ، وفهمت انني اعرض عليها صداقتي ، وبعد فترة صارت تألفني وتخرج اليّ ليل نهار . . نسيت ان اقول لك انني اكره بعض انواع الرياضة . . اكره الملاكمة ومصارعة الثيران وكل ما يمارس فيه الانسان حيوانيته وشهوته للدم تحت ستار الرياضة .

● من الملاحظ انك تملكين صداقة عميقة ووطيدة مع مجموعة من الشعراء والادباء والفنانين العراقيين . فهل تستطيعين من خلال هذه الصداقة أن تحدثينا عن الناس في بغداد ، ورأيك من خلال ما شاهدت وسمعت عن الحياة الثقافية هنا ؟ والاجتماعية ؟

- احببت الانسان العراقي . . . حديثه وعاطفته لا تضايقني وانما تلتقي مع طبيعتي . . . انه يحبك حتى الموت او يكرهك حتى الموت وانا كذلك وهو صريح وصادق لم يبع نفسه في مزادات الديبلوماسية . . إنه ما يزال يحمل فروسية الصحراء وطراوة النخيل . . .

اعجبت كثيراً بالفن التشكيلي في بغداد . . . احببت الغناء العراقي الأصيل بكل ما

فيه من لوعة الحزن وجنون العطاء . .

تسأليني عن الحياة الاجتماعية؟ . . . لم تلفت نظري ظواهر خاصة ، فأنا امرأة عربية ولست قادمة من (السويد) مثلاً . . . والحياة الاجتماعية في بغداد تتضمن كل ما نجده في الحياة الاجتماعية بدمشق او القاهرة من سقطات ومن مزايا . .

● هل تغير مفهومك في « الحب المطلق » بعد الزواج ؟ وما هو هذا الحب ؟ وهل تعيشينه وكيف ؟

- لم يكن لدي اي مفهوم رومانسي عن « الحب المطلق » كي تكون لدي خيبات بعد الزواج . . .

● ماذا تفعلين عندما تشعرين بالضجر من الزواج ؟

- لم اشعر بعد بانني (متزوجة) كي اشعر بالضجر من الزواج . . كل ما احس به هو انني وجدت رقيقاً في هذا العالم المثلث بالخيبات والخناجر والألم وهذا في نظري امر لا يدعو الى الضجر ! . . .

محي الدين صبحي يستجوب

● الالتزام بدون ابداع هو هيكل
طائرة مقاتلة بدون محرك .

● لا بد انك فرحت كثيرا حين طلب منك الناشر السماح بأن يعيد طباعة مؤلفاتك . . ما هي - في رأيك - العوامل التي تجعلك من الكتاب المقروئين كثيرا في الوطن العربي ؟

- لماذا تستدرجني الى مدح ذاتي او الى شتم جمهوري ؟ . . . وعلى اية حال ، سبق لك ان أجبت بنفسك على هذا السؤال منذ ١٣ سنة حين كتبت عن اول قصة نشرتها (قبل صدور كتابي الاول عينك قدرتي باشهر) وقلت في جريدة دمشق المساء عدد الجمعة ٢٨ تشرين الاول ١٩٦١ ما يلي « الحرف الرشيق والصورة الأسرة في اسلوب ادبية هجمت على الحياة الادبية دون سابق انذار واذا بها بين يوم وليلة في طليعة الادباء والقصاصين عن جدارة تؤهلها المهوبة والثقافة والمثابرة لان تكون ادبية جيل جديد ينقد الحياة ويستشرف مثلاً وي طرح قيميا حياة افضل » . . .

● ان كتاباتك غير القصصية وسعت من آفاق الموضوعات التي تعالجونها - فهل تريد ان قصتك تتسع مداراتها باتساع كتاباتك الاخرى ؟
- كتاباتي الصحفية وغيرها هي بمثابة هجرة مستمرة لي بين مختلف الاجواء والطبقات والناس . الشيء ذاته يفعله السفر والقراءة .

● ان الرؤية لديك بانورامية ، تجري على شاشة واسعة من مشاهد الحياة ونفسيات الابطال . فلماذا تختارين القصة القصيرة ، مع ان نفسك السردية اميل الى القصة من حيث انسياع الاحداث والمناظر والذكريات على مساحة واسعة ؟

- ملاحظتك في محلها ، وقلما التفت اليها النقاد . لقد حاولت ان اكتب رواية على طريقي ، اي مجموعة قصص يمكن ان تقرأ كل قصة فيها على حدة ، الا ان قراءة المجموعة ككل تعطيك رؤيا بانورامية لشاشة واحدة وواسعة ، ركزت على ذلك في

مجموعتي القصصية « ليل الغرباء » . وناقد واحد غيرك هو الاستاذ محمود امين العالم لاحظ ذلك . وحين كتب نقده لتلك المجموعة القصصية تناولها كرواية ، واطلق عليها اسم رواية .

لماذا ؟

.. كالعادة ، لا ادري بالضبط ، ولكن ربما كان ابرز الاسباب يعود الى طبيعتي النزقة التي ما تزال تحول بيني وبين العمل البنائي الهندسي ، البطيء ، المستمر ، والذي تتطلبه الرواية بصورة عامة .

● احببت كتابك الاخير « حب » ، فقد كنت من النساء العربيات النادرات - وربما الاولى - اللواتي يكتبن عن الحب دون السقوط في السوقية او المثالية .

- بالنسبة الي لم يكن الامر غير رسم لصورة الحب التي نفتقر اليها . . نحن ما تزال نقسم علاقاتنا الى قسمين : شرعية وغير شرعية .

علاقات « الحب » الشرعية لدينا تخلو غالبا من « الحب » ولكنها تحتمي بالمثالية . انها علاقات فارغة من المضمون مثل هيكل صرصور اكله النمل من الداخل وفرغ تماماً . .

اما العلاقات « غير الشرعية » فهي غالبا جذابة وممتعة لكنها سوقية بطريقة ما . انا لا ابحث عن الحل الوسط ، انا ابحث عن الحل كما ارادته الطبيعة ، ان ممارسة الحب في نظري ليس صلاة كما انه ليس خطيئة ، انه ببساطة امر جميل اذا كان صادقا ومتبادلا ، ومصراً على خلع قفازات العقد النفسية .

وما اردته في كتابي « حب » هو القول ببساطة : الحب ليس نقيضا للثورة . وليس نقيضا للحس بالمسؤولية . وليس نقيضا للجدية في مواجهة قضايا الحياة ، وان الدعوة الى الحب هي جزء من الدعوة الى تحرير النفس العربية مما علق بها من مفاهيم مغلوبة تشوه انسانيته وتعيق تفجير طاقاتها .

● تميل الادبيات دائما الى الالحاح على عبودية المرأة وانتحال الاعذار الاخلاقية لشذوذاتها - لكنني لا ارى في كتاباتك منحى تبريريا قويا ، فهل تأخذين السلوك على انه امر معطى ويجب التسليم به ام ان لك رأياً آخر ؟

- قليلة هي الاشياء التي تجعلني ادق طبول الندب او نغمة تقريع الذات او تبريرها ، ولكن ذلك لا يعني بالضرورة اني آخذ السلوك على انه امر معطى ويجب التسليم به .

اني ارفض فلسفة انه (ليس بالامكان ابداع مما كان) لكنني ايضا لا ارى مبررا لرمي كل اخطاء المرحلة على المرأة وبالتالي محاولات الكاتبات الاعتذارية . انني اولا احب رصد السلوك البشري ولانني كاتبة قصة لا واعظة ولا موظفة في مؤسسة تربوية فان رغبتني في الافضل بعيدة عن المباشرة او التزلف للقيم السائدة . انني ا رصد السلوك البشري ضمن منظار لا علاقة له بمفاهيم الخير والشر التقليدية ، ومن المفروض ان تظل عين الفنان نقية كالنبيع بعيدة عن كل الاحكام المسبقة . ان انتحال الاعذار الاخلاقية هو ضمنا اعتراف بالاطعاء بل واسقاط لها على كاهل المرأة . . انا شخصا ارى ان المجتمع العربي يمر بمرحلة تطور ولكل مرحلة سقطاتها التي لا يتحمل تبعاتها فرد او نوع (ذكر - انثى) بل وتتحملها الاجيال العربية حتى التي سبقتنا . . . انني اكره ماسوكية الادبيات العربيات اللواتي يشعن باستمرار انهن مطالبات بالاعتذار عن ذنب لم يرتكبهن ، ان موقفهن هذا غير اخلاقي لانه معادل تماما للموقف الآخر المقابل ، موقف المرتكب والهارب ، اي الرؤيا السادية النسائية للاشياء . . . بل هو ايضا اضعف منه لان الدفاع عن خطيئة غير مرتكبة هو في حد ذاته خطيئة : خطيئة في حق احترام الذات .

● هل ترين للمرأة العربية مستقبلا افضل في عالم التغير الذي تعيشه امتنا ام ان دورها السكوني سيظل على حاله ؟

- ذلك يتوقف على مستقبل امتنا ومعنى « التغير » الذي سنحققه . . . وحين يكون « التغير » حقيقيا ، ونحو الافضل ، فان ذلك لا بد وان يتضمن تبديل الاعدالة التي تزرع تحتها شعوبنا العربية ، الاعدالة على الصعيد الاقتصادي والعسكري والاجتماعي والانساني ، وذلك طبعا يتضمن كل انواع الظلم والاستلاب بما فيها ظلم المرأة النوعي . . .

فالمرأة في بلادنا مظلومة مرتين . . . مرة كمواطنة (ككل بقية المواطنين الرجال الذين يجوعون الى الحرية والكرامة واللقمة ، حرية التعبير والقول وتكافؤ الفرص) بالاضافة الى ظلمها الاضافي كأنتى . . .

وهكذا فالمطلوب هو تحرير « الفرد العربي » رجلا كان او امرأة ، وكل « تغير » لا يوفر للمواطنين فرصا افضل للعيش والعمل وممارسة الذات هو تغير نحو الاسوأ . . . والسؤال الذي يطرح ذاته : هل من الممكن اولا « تغير المجتمع » ثم تحرير المرأة ؟ . . . طبعا لا . لان اي « تغير » هو غير ممكن ما دامت المرأة في وضع سكوني . . . وهنا

احب ان استعيز عن كلمتك « سكوني » بعبارة « تسكيني » . فمنذ ولادة المرأة ، وكافة انواع « المسكنات » الاجتماعية والنظريات البالية والممارسات الخاطئة تحققن في دماغها من اجل تخدير وعيها بحقوقها وامكاناتها . المطلوب الكف عن « تسكين » انسانية المرأة كي يكون التغيير ممكنا لا مجرد كليشهات رسمية .

● وهل ترين ان دور الرجل سيكون اكبر ؟

- نعم سيكون دوره اكبر ، لانه مطالب بمساعدة المرأة على تقطيع قيودها كي تستطيع مشاركتة الثورة . . على الرجل المساهمة في تدمير « باستيل » النظرة الشرقية الى المرأة كي يكونا كما أرادتهما الطبيعة ، حليفين في وجه القوى التي تشوه الشمس والفرح واغاني الاطفال .

● هناك الكثير من الغربية في قصصك ، فأبطالك غربيون عن بيئاتهم (منهم من يعيش في اوروبا او يسبح فيها) وعن بلدانهم الاصلية (طالبة سورية في الجامعة الاميركية مثلا ، او خادمة تركت قرينتها لتعمل في بيروت) وحتى عن انفسهم : إلى هذا الحد ترين الانسان العربي موعلا في الغربية ؟

- نعم ، هنالك كثير من الغربية التي لا مفر من ان يعانيتها الفرد العربي اذا لم يكن ببغائي المزاج وسهل التدجين . هنالك غربة منذ البداية ، منذ محاولة اقتاعه في البيت بالتصرف والتفكير وفقا لاسلوب معين ، لمجرد ان ذلك كان متبعا من قبل . . هنالك غربة في المدرسة ، غربة عن المناهج الدراسية التي ترفضها عين الفتى الجديدة (عينه التي لم يتم إفسادها نهائيا بعد) ، يوما بعد يوم تتعاطم الغربية ، يألفها البعض حتى ليظنها الوضع الطبيعي ، وينجم عن تلك الالفة تآلف مع الكسل الروحي والفكري وقبول بائس بالأمر الواقع . . . حتى ليظن البعض انه (ليس بالإمكان أبدع مما كان) ! هناك أيضا غربة بين الفرد والسلطة ، والذين يحتفظون بعيونهم جديدة لا بد وان يلحظوا ان سلوك السلطة في بعض البلاد العربية غريب بالنسبة للأهداف التي تنادي بها

ينتاب الفرد العربي احيانا احساس بأن الوطن سافر عنه واغترب ، والتاريخ رحل ، والسلطة تستر على ذلك كله ، بدلا من ان تنظم مسيرة القاء القبض على الاهداف المعلنة . . هنالك غربة على صعيد العلاقات الانسانية بين الرجل والمرأة ، وبين الرجل والرجل كزميل في العمل او النادي او الدكان . . لو اردت تعداد « الغربيات » العربية لما انتهيت ، واترك لكل قارئ ان ينبش ذاته في لحظة صدق وانفراد ليضيف كلمة جديدة الى قاموس الغربية .

● من هم الكتاب الذين تقرأينهم هذه الايام ، وما هي الخطط التي تقترحينها للحد من فوضى الترجمة ؟

- ليس المهم من ، والا هم الترجمة انطلاقا من اسس مدروسة ، وكبداية اقترح الكف عن الترجمات التي ترجح جانب الفلسفة المثالية والغيبية (فلسفات مأساة الأوروبي المرفه كما في كتب كولن ويلسون وسارتر) الى ترجمة ما له علاقة بالفكر التجريبي (برتراند راسل مثلا غير مترجم في معظمه) ، اي الكتابات التي تركز على دور الانسان في صنع الحضارات (الحضارة الغربية مثلا) لحاجتنا الى هذا النوع بالذات في هذه المرحلة من تاريخنا .

اننا بحاجة الى كل ما يساهم في هدايتنا لبناء حضارة (لا الى استلها مظاهر تفكك الحضارة الغربية) . وحين جئنا لانشاء تفكير تاريخي اخذنا الماركسية الستالينية التي تضع كل شيء داخل كليشيهات بدلا من تبني الجانب الديالكتيكي الذي يرى صراع الازداد . لقد اخذنا الجانب السكوني (المشابه لفكرنا المتخلف) بدلا من الجانب الحي الذي يسمح برؤية افاق اخرى جديدة ، تستلهم ولا تقلد بيغائية مؤذية .

بعبارة اخرى « الفكر التجريبي » ما تزال ترجماته قليلة وما تزال تميل الى ترجمة الوصفات الجاهزة لبناء الحضارات وهذا غير ممكن . استيراد التجارب غير مجدي لكن استلها مها ضروري . وبسبب فقرنا في مجالات الفكر التجريبي ، فلان مفهوم المؤسسات لدينا سكوني . لناخذ مؤسسة المدرسة ، انها ما تزال لدينا ترزح تحت كل سيئات « الكتاب » العتيق دون اي من فوائده . المدرسة في اوربا صارت اليوم نزهة فكرية . لناخذ قضية المناهج : هنالك طلبة في العالم لهم حق اختيار ٦ مواد من ٢٠ مادة مثلاً . لناخذ مدارس التأهيل (البولي تكنيك مثلاً) ، انها تكاد تكون معدومة في بلادنا ، وان وجدت فبشكل بائس وهم محرومون من بركة الدولة في احتضانهم فيما بعد . هذا كله يماثل الشعارات السكونية الماركسية . صراع الطبقات مثلاً ، نحن لم نره بمنظار التنمية ولكن بمنظار انه « توزيع فقر » . الاصلاح الزراعي مثلاً فهمناه على انه توزيع الارض وهو في روجه اصلاح لمناهج الزراعة بمعنى ان تؤمن الدولة مهندسين وتراكتورات وقنوات ري وخطة تنمية وتصريف للمنتوجات لا مجرد اقامة حفل خطابي توزع فيه شهادات واوراق على فلاحين لن يتغير بؤسهم . .

مفهوم الحزب لدينا مثلاً ، بدلا من ان نأخذ بمفهوم نشر الوعي أخذه بعضنا من جانب اقتسام غنائم السلطة ، وكل متسلط جديد يطبق قانون « من اين لك هذا » على

بقية الرفاق ما عدا نفسه . . وبدلاً من ان يكون الحزب العربي (بصورة عامة) وسيلة لحمل المسؤولية ، صار وسيلة لحماية المسؤول للتهرب من مسؤولياته ! . . .
والسبب الرئيسي في هذه الامراض كلها هو فقر الفكر التحليلي الظواهري لدينا ، واكثر الترجمات للأسف (المسموح لها بالتنقل بحرية بين البلاد العربية كلها دون منع) هي الترجمات المنسجمة مع تفكيرنا الغيبي التقليدي ، ودور النشر العربية ليست وحدها المسؤولة بل بعض الرقابة العربية التي تساهم مساهمة فعالة في تخريب بنية المراهق العربي الذي يسعى لبناء نفسه فكرياً ولكنها تحول بينه وبين وصول الكتب الضرورية له بسيفها (المانع) البتار . . .

علة الادب العربي ، ركام من الالفاظ ، وقد اسقطنا العبث اللفظي التقليدي (الجناس - الطباق - السجع) ولكننا للأسف انشأنا نمطاً جديداً من العبث اللفظي بسبب عشوائية بعض ترجماتها ، وسيف بعض الرقابات المسلط على دور النشر الواعية غير المسموح لها بممارسة فعاليتها على طول الوطن العربي وعرضه .

● الالتزام بقضايا المجتمع العربي شديد في قصصك ، فقد تحدثت بانفعال عن المشكلات الفلسطينية ، والهموم الحزيرية ، والاعتداءات على الجنوب اللبناني . .

هل هذه القصص تعبر عن ايمانك بالالتزام ام ترين ان الابداع حر ؟

- اؤمن بالابداع الحر ولا تعجبني نظريات « الالتزام » التي تتحول احيانا الى قوة قمع واضطهاد فكري للفنان ، ويكاد بعضها ، الشديد التطرف ، يصير « الزما » للفنان تحت طائلة القاء القبض على رأسه .

اؤمن بحرية الفنان حرية مطلقة ، واؤمن بأن مساواة حرية الفكر هي اقل من مساوية كبت حرية الفكر تحت اقدام ألفاظ مشروعة ومهذبة مثل الالتزام وغيره . .

واذا كانت بعض اعمالك تتصف « بالالتزام شديد بقضايا المجتمع العربي » فان ذلك نتيجة لممارستي لحريتي ، وما اكتبه ينبع من داخلي ، ومن احساسني بموقعي في قافلة الرافضين ، الراغبين بغد افضل . . هذا لا يعني اني ادين سواي ممن قد يجدون للابداع مواضيع اخرى وسبلاً اخرى . . . انني اكره الاحكام النهائية والقواعد التي قد تأخذ صفة الحتمية . .

. . لكل سبيل وطريقة ، ولكل الحرية في ان يلتقط ما يحلو له من الكهارب التي ييئها الوجود حوله .

بالنسبة الي بدأ الامر كما يلي : لم اقل : انا كاتبة ؛ والالتزام « موضوعة » يناهز بها

النقاد ، فالتزمت . لا . مثل هذا الموقف قد ينتج كمراسات دعائية لا ادبا . وانما كتبت ، وحدث الامر على هذا النحو . هذا كل شيء !! ...

ما اود ان اسجله هو ان الفنان ليس موظفا تعطيه موضوعا انشائيا يكتبه ، اني اصر على حرية الفنان انطلاقا من ايماني بأن الحرية لا تتنافى مع الالتزام ، بل هي شرط له ، وبدونها يجهض الابداع في اي عمل فني تغيظني الطريقة التي يتحدث بها انصاف النقاد وبعض الصحفيين عن الالتزام والفن . بالنسبة اليهم ، يكفي ان يضم العمل الفاظا فجأة مباشرة تتحدث عن الثورة وفلسطين كي يصير العمل « فنا ثوريا » ، واذا خلا العمل من هذه الالفاظ حكم عليه فورا بالانفصال عن واقع الشعب دونما اي اعتبار لروح العمل وقيمه الابداعية ومدلوله غير المباشر ! . . .

اسمع احيانا اغاني « ثورية » يوجعني تفاهة مفهومها للالتزام . . . الكورس القديم نفسه ، يغني بالانغام النواحية المحنطة الباهتة نفسها كلمات تبدو ملصقة على الاغنية ، والفاظا مثل : العمال ، الثورة ، الفلاح . كأن ترداد هذه الالفاظ يبيغائية هو « الاغنية الثورية » ! . . .

لقد ارتكبت مجازر ادبية وفنية كثيرة باسم الالتزام . والمسؤول الاول عن هذه الفوضى الفنية هي بعض سلطات الاعلام العربية التي ركزت على ضرورة « الالتزام » حتى التغاضي عن الشرط الاول والاساسي ، وهو الابداع الالتزام بدون ابداع هو هيكل طائرة مقاتلة بلا محرك .

كاتيا سرور تستجوب

● اللفظية الثورية طغت على الكثير مما
نشر خلال الحرب اللبنانية .

● لقد عطلت الاحداث كل الحياة في لبنان ، ومن ضمنها الحياة الثقافية فكيف انعكس
هذا الواقع عليك كأديبة ؟

- اذا كنا نقصد « بالحياة الثقافية » المهرجانات الصالونية والكرنفالات ذات الافنعة
الفكرية ، نستطيع القول ان الاحداث الاخيرة عطلتها ، وهذا أمر لا يؤسفني كثيراً .
اما اذا كنا نقصد « بالحياة الثقافية » تفاعل المبدع مع الاحداث وفعله فيها ، فان
الحياة الثقافية لم تكن في نظري ناشطة ابدا بقدر ما كانت عليه في الاشهر الاخيرة . . .
حينما يتفجر المقاتلون من باطن الارض حاملين اسلحتهم يقف الفنان في ركن
المدينة كالتلميذ الكسول وقد نكس قلمه وارتنى - طرطور - الخجل . . . تتباه مشاعر
متضاربة . . . يخيل اليه ان القلم عنين وقاحل ، والسلاح وحده خصب الالق . . . تتباه
مجموعة من المشاعر الموجعة : أزمة ضمير . شعور بالذنب ممتزج مع حس بالعظمة .
احساس ممض بلا جدوى وجوده ، ورغبة انتحارية تكفيرا عن « خطيئة » الفن . كما لو ان
الفن في زمن الحرب عاهة ! . .

ويعزز هذا الشعور الخاطيء لديه ، عمل خاطيء تقدم عليه اكثر الصحف
والمجلات : الغاء الصفحات الادبية .

كأنها تقول له : السلطان ليس بحاجة الى مهرجه الآن ، فهو ذاهب الى الحرب .
انتظر مع النساء والاطفال عودته حياً لتمتدحه ، او ميتاً لترثيه . انتظر في عتمة الملاهي
وغبار الخوف ريثما تعود أيام السلم فتعيدك أصابع سيد السيرك القديم او الجديد الى
موضعك في مسرح العرائس لتلعب دورك كأى أراجوز ينطق بالفصحى ! . .
ان الغاء الصفحات الادبية في زمن الحرب مؤامرة على الثورة وعلى الفنان معا .
ان تكريس الفنان مهرجاً لزمن السلم هو أمر مرفوض . انه يدمر الفنان والثورة معا .

يعرم الفنان من الزخم الجماهيري « لحياته الثقافية » الشخصية ، والتي هي حياة عامة في أن معا . . . ويحرم الثورة من بوصلتها وضميرها وشاهدها . . .

منذ الاسابيع الاولى للقتال الغت اكثر المجلات والصحف صفحاتها الادبية ، ومع ذلك لم يتقدم ناقد واحد بصرخة احتجاج على ذلك . . . لعل بعض المشرفين على الصفحات الادبية وجد ذلك عملا خاطئا ، ولعله احتج ، لكن احتجاجه لم يتخذ صورة العصيان أو حتى الرفض ، رغم ان ذلك الاجراء يقزم مكانته بقدر ما يقزم مكانة نذيب . . . ومع ذلك ، وفي فترات الهدنة القصيرة ، لم يكن بعض المحررين « الادبيين » ليخجلوا من طرح سؤالهم « الخالد » على الفنانين : ماذا فعلت في زمن الحرب ؟ والرد البديهي : وانت ماذا فعلت ؟ اليس صمتك على الغاء دوري اقراراً ضمناً بأنك لا تؤمن حقاً بدور الادب أيام القتال وبالتالي بدورك ؟ وما دمت لا تؤمن بذلك ، لماذا تريد ان تضطهذي وأنا في اسوأ الحالات مجرد شريك لك ؟ . . .

لقد سقط الادب - على صعيد النشر - طيلة الشهور الماضية ضحية الخجل المشترك وعقدة الذنب المشتركة بين الفنانين ونقادهم من المشرفين على الصفحات الادبية . . . وكان المفروض بالطرفين ان يتحدا في وجه صاحب الصحيفة ويصرخا في وجهه : ولكننا مقاتلون بطريقة ما . . .

بعض الصحف ذات النبض الثوري ، أبقى على الصفحات الادبية فيها ، وكان ذلك تكريساً لنظرة الثوريين الصحيحة الى « ضرورة الفن » ومفهومه الحقيقي .

اما الصحف والمجلات (المبرجزة) فقد اقدمت فوراً على الغاء صفحات المجتمع والادب معا ، معبرة بذلك عن نظرتها - الدونية - الى الادب والى مهمته ، حيث لا ترى في الادب اكثر من صفة صالونية مستحبة لدى الرجال ، ومن مكملات الاناقة - المخملية - لدى النساء . . . الادب في نظر تلك الاوساط ظاهرة « مسلية » تستحق الرعاية مثل الكلاب المدللة المترفة لا أكثر . . .

بعض الصحف ذات النبض الثوري سقطت في فخ (الرؤية البورجوازية) للادب وألغت صفحاته ، وأما تلك التي لم تلغ صفحاته فقد سقطت غالباً في فخ آخر هو : اللفظية الثورية .

وصحيح ان حفاظها على الصفحات الادبية أبرز ذلك الالتحام الصحي والضروري بين الفكر والبندقية ، الا ان « اللفظية الثورية » التي طغت على اكثر ما نشر

جعلنا نكاد نكفر بها . . بصراحة اكثر ، كنا نقرأ في تلك الصفحات هذياناً « ثورياً » موجعاً . . . صار يكفي ان تطعم اية كتابة ركيكة هزيلة بعبارات مثل « الفداء - البندقية - الاطفال - الفرح - الدم - الارض » بالاضافة الى ارهاصات لفظية فتنازلة ليطم اعتماد هذا الكوكيتيل الهزيل « قصيدة ثورية » .

ان ولادة الادب الثوري لا يجوز بأية حال ان تتم على حساب القيم الفنية للعمل الادبي ، ويجب الا تعتمد الرخص والسهولة . فالالتحام بين الكلمة والبندقية لا يتم الا في بوتقة الموهبة والعمل الدؤوب والجاد . ولعل الممارسات الخاطئة لبعض النقاد « الثوريين » مسؤولة الى حد بعيد عن هذا التفتيه الفني ، لانها تؤدي غالباً الى استعجال ولادة العمل الفني الى حد اجهاضه .

كيف انعكس هذا الواقع عليّ ؟ . .

في البداية شعرت بالحجل لانني لا اتقن استعمال السلاح ، ثم شعرت بالغضب . . . غضب شرس حاد لتكريس مفاهيم خاطئة عن الادب و« ضرورة الفن » ومهمته . وقررت اعلان ذلك والقول ببساطة : ان من يعبر عن عدم ايمانه بسلاحي بالغائه لوجودي في زمن الحرب ، هو آخر من يحق له ان يسألني ماذا فعلت ايأ كان ما فعلت . اني ارفض بعد اليوم كل من ثبت لي انه « سمسار أدب » لا ناقد حق مبدع . واذا كانت المرحلة ستسقط كثيراً من الفنانين « الصالونيين » فانها ايضا ستسقط صفحات الادب الصالونية والقيمين عليها ، ايأ كانت مواقعهم ومتاريسهم واقنعتهم . وهكذا فأنا لا اعتقد ان الاحداث الاخيرة قد عطلت « الحياة الثقافية » في لبنان ، بل انها في نظري ساهمت في تعميق المفهوم الحقيقي للفن وعلاقة الابداع بالثورة من حيث هما - توأم - لا يتجزأ .

● دوماً ، عودتنا الادبية السمان في اعمالها على نوع من النبوءة يكشف حيزاً من الزمن الآتي ، كما في « بيروت ٧٥ » ، التي انذرت ، على نحو ما ، بدمار بيروت . فما هي النبوءة ، التي تتضمنها روايتك القادمة ؟

- لا ادري . مهمتي ان اكتبها لا ان افسرها . الرواية تتألف من مجموعة من الكوابيس تفوق المثني كابوس . وآخر الرواية حلم . ترى هل يعني ذلك شيئاً ؟ ربما . . . أترك الحكم للقارئ بعد نشر الرواية .

لكني اكدب اذا ادعيت ان في الامر نبوءة بالنسبة لروايتي « بيروت ٧٥ » او كل ما سبق وكتبت . انه مجرد رصد كثير الوعي لجذور الاحداث . احس احياناً نادرة بأنني

انتشر كالمرآة على طول الدهر ، مسترخية كاعشاب الماء ، ومرهفة كالجرح ، تاركة ظل الحقيقة يرسم على شاشة اعماقي ولو في ومضة برق . . لكنها تكفي . . .

● ان المتبع لاعمالك لا بد وان يلاحظ انك دائما في حالة ارتحال صوب الغد ، بمعنى آخر في خط تطور مضطرب فقد بدأت بالرفض ، بمعناه الفضفاض في مجموعتك القصصية « لا بحر في بيروت » ، وفي روايتك « بيروت ٧٥ » وصلت الى المنعطف المهم : الالتزام . فأين اصبحت الآن ؟

- لقد كنت دوما « ملتزمة » بمعنى ان التزم بقول الحقيقة كما اراها . ولكنني كنت اعني ايضا انه لا يكفي ان يكون الانسان « وقحا » ليصير اديباً ، كنت باستمرار اقوم بمحاولة تطوير مفهومي للحقيقة لا وفقاً لمصالحني وانما وفقاً لمصالحها هي !

لقد كنت دوما « ملتزمة » بكل ما هو « أنا » من سقطات او سمو . . لكل ذلك المزيج الشيطاني الالهي الذي هو انا وهو كل انسان آخر . .

لكن الزمن والتجربة والثقافة ، هذه كلها أمور جعلتني احذر من ان تضيق الحقيقة الذاتية علي فتصير سجننا ذاتيا ، واحاول ان افتح فيها باستمرار نوافذ وكوي ، لأعني ذاتي في الآخرين ، ولتصير « الانا » هي « نحن » ولتضيغ حدودي في حدود « الانسان » يوماً بعد يوم . . ويوما بعد يوم ادرك كم هو سهل ان تصغر فتخسر نفسك والعالم ، وكم هو صعب ان تتسع حتى تصير والعالم واحداً فتربحه بمعنى « تعرفه » لا بمعنى « تملكه » .

واعتقد ان جميع الناس يولدون مرة ، ودونما عناء الا الفنان ، فمن واجبه ان يولد مرتين . .

وحينما يقطع الطبيب - او تقطع امه الفلاحة بالحجر - حبل الخلاص الذي يربطه بها ، تبدأ مهمة الفنان لربط نفسه بحبل الخلاص الحقيقي الذي هو امته . . وهذا الحبل هو ملايين من الوشائج والحبال الشفافة القوية كالفولاذ ، التي تشده الى كل الامهات اللواتي عشن قبل امه واللواتي سيولدن بعدها وبعده ، تشده الى كل انسان بأمته ماضياً ومستقبلاً . . وتحسُّ هذه الخيوط وإعادة ربطها ربطاً واعياً الى تربة التراث هو أرضيته الاساسية التي ستم فيها ولادته الثانية الحقيقية كفنان ، تلك الولادة المعمدة ابداً بالألم والمعاناة وعدم الرضى عن الذات ، والخطأ والنقد والارادة . .

ان الالتزام ليس عتبة نتخطاها فنستريح . . بل هو الدرب الطويلة اللامتناهية لربط المزيد من حبال الخلاص بيننا وبين الآخرين في ابحار موجع الى رحم الحقيقة . .

الالتزام ليس ان نحفظ كراساً سياسياً - على الغيب - حفظاً - بصماً - . . . والا لاستورد الوطن مثلاً « كومبيوتر » ولحشاه بالمعلومات اللازمة ثم لوظفه أديباً رسمياً ! . . . الالتزام معاناة صميمية لا يملك الفنان الا ان يحمل فيها صليبه مضيئاً مع كل خطوة اكليلًا جديدًا من الشوك يتوج به جوع قلبه الى الحقيقة والمعرفة بأي ثمن . الثورة بحاجة الى انسان لا الى كومبيوتر ، ولذا فان معاناة الفنان بالثورة ومن الثورة ولأجل الثورة لا متناهية الالم والنشوة في آن واحد . الالتزام يعني ولادة الفنان على امتداد وطنه تاريخياً وجغرافياً . . . انها المسافة بين شهقة الولادة وشهنة الاحتضار التي هي ولادة ثانية حقة .

هاشم قاسم يستجوب

● النقد الحي هو الذي يواكب
الابداع الحي !

تظل عادة السمان ، مهما قيل فيها وعنهما ، من تقريظ حيناً لادبها الروائي والكتابي ، ومن نقد وهجوم أو تهجم في كثير من الأحيان ، على هذا الادب بالذات . . . تظل القاصة المبدعة والادبية المنتجة ، ويظل من حقها على الصحافة ان تلتقيها بين الفينة والاخرى لتعرف كل الجديد من اخبارها وافكارها . . ومن هنا كان لـ « المنار » مع عادة السمان هذا اللقاء والحوار .

● من يقرأ روايتك خصوصاً « كوابيس بيروت » يلاحظ انك تمزجين بين النفس الشعري والنفس الروائي . فكيف تشرح ذلك في ضوء شروط الكتابة الروائية الحديثة ؟

- بالنسبة لي ، لا يوجد شيء اسمه « شروط الكتابة الروائية الحديثة » ولا « شروط الكتابة الروائية » ، ولا « شروط الكتابة » . الشرط الوحيد هو الابداع . الابداع يأتي أولاً وبعده يأتي الناقد شارحاً او مستنبطاً ما يسميه « بشروط الكتابة الروائية » . فهذه تسميات تستطيع ان تتجاوز عبرها مع بعض النقاد . واما المبدع ، فهذه اللغة لا تجدي معه لأنه لا يعترف بها . ولورضي المبدع الاقرار بان هنالك « شروطاً » لانتفى الابداع أصلاً ، ولوجد الفنان نفسه امام وصفة جاهزة لتحضير « وجبة » . فاذا طبقها ، فكل ما يحصل عليه هو رواية مكررة « كصورة نقلت بورقة كاربون عن صورة اصلية » . والابداع عملية اضافة لا عملية تكرار . ان كل ابداع حقيقي في الرواية يأتي ليلهم والنقاد شروطاً جديدة للكتابة الروائية على نحو « حديث » . وهكذا الى ما لا نهاية .

ومراجعة سريعة لتاريخ الادب تكشف لنا ان كل عمل عبقرى كان يتضمن تجاوزاً « لشروط الكتابة » السائدة في عصره . وذلك طبعاً لا يلغي ضرورة الامام بكل

ما سبق وتم تكريسه في الادب ، لكنه يؤكد بالخاص على ضرورة رفض «شروط الكتابة الروائية» وغيرها . وبهذا المعنى فلا شرط لي غير الشرط الخاص الذي اقرره أنا . غير ان هذا لا يعني انني الغي ما مضى ، لكنه يعني انني لا اسمح لما مضى بالغاء حقي في تجاوزه .

بعد هذا التحديد الضروري والصارم للسؤال استطيع ان اقول انني لا اتعمد مزج النفس الشعري بالنفس الروائي . والأمر يحدث لي ببساطة على هذا النحو دونما تخطيط مسبق . ولا اعتقد ان القضية هي مجرد مزج سطحي بين الشعر والرواية ، كما لو كان مزجاً بين مادتين غير متجانستين ، بل هو في صلبه « جوهر واحد » تم اتحاده عبر عملية صهر كاملة في بوتقة الخلق لدى الاديب . فالشعر والرواية معاً ، هما بمثابة ايقاعات على أوتار الحياة والموت والألم والطموح والانكسار في النفس البشرية . والمهم في استمرار اي نص هو ان يكون نسيجاً حياً ، وبعد ذلك يستطيع اي ناقد ان يثبت انه شعر ، وانه رواية ، وانه نثر ، وانه قصة قصيرة ، او اية تسمية اخرى جديدة قد يحلو له ان يستنبطها .

بهذا المعنى اقول لك ان الرواية الجيدة تكون بمعنى ما رواية وشعراً وقصة قصيرة ، وتستطيع ان تقول عنها اي شيء وكل شيء دون ان يعني ذلك شيئاً !
انها ببساطة « تكون » إبداعاً او « لا تكرر » .

● بعضهم يقول ان دائرة اللغة الروائية التي كتبت من خلالها لم تتطور ، لا من حيث دائرتك اللغوية ولا من حيث الدوائر التجديدية الاخرى ، فما رأيك ؟
- هذا كلام خطير ويشير كثيراً من الألم والقلق في نفسي لو صح ، لأنه يتضمن الغاء تاماً لتجربتي الروائية . فتهمة عدم التطور هي مرادفة لتهمة الموت الفني ، وبالتالي فالسؤال يتضمن « ورقة نعوة » لاداعي . من هنا ، تتطلب الامانة العلمية والحس بالمسؤولية ان تذكر من الذي قال هذا واين قيل ، لنرى ما اذا كان كلامه خلاصة بحث موضوعي يستحق رداً ، ام انه من بعض ثروة المقاهي الطريفة ولكن غير المسؤولة ، التي تقول اي شيء عن « عمل » الآخرين ، من دون قصد الايذاء والايلام غالباً ، لتتلهى عن القيام « بعملها » الخاص بها .

قرأت كل ما كتب عني ، ولم اجد فيه مثل هذا الرأي الذي تسنده انت الى « بعضهم » . إذن ، لا بد لي من ان افترض ان « بعضهم » هو « انت » ، وهكذا يصير

للسؤال مستوى يسمح لي بالرد عليه .

كل ما استطيع ان اقله لك هو ان الكثير كتب حول اعمالى سلبا او ايجابا ،
والتهمة الموجهة الى هى باستمرار « الى اين اطور ؟ » الى الافضل ام الى الاسوأ . وقيل
فى اعمالى كلام اكثر قسوة بكثير مما يتضمنه هذا السؤال ، ولكن هنالك اجماع على اننى
« اتبدل » باستمرار وأجدد دوائرى لغوى وفكريا « نحو الافضل أو نحو الاسوأ » .

وفى كتاب « الحرية فى أدب المرأة » لعفيف فراج يقول : « ان عادة السمان تبدأ من
السفح بمجموعة « لا بحر فى بيروت » لتصل بمجموعتها القصصية « ليل الغرباء » الى
ذروة فنية تتجاوزها الى ذروة اعلى بمجموعتها القصصية « رحيل المرافىء القديمة » . ومثل
هذا الكلام أكده نقاد آخرون فى كتبهم التى رصدت اعمالى . ولا داعى الآن لعملية
استعراض عضلات فكرية ثعلبية بتعداد اسمائهم . وفى الوقت ذاته هنالك من يفضلنى
فى اعمالى الاولى ، هذا على الاقل ما يقوله البعض لى او يعبرون عنه احيانا فى اعمال
نقدية لا تقل جدية فى قسوتها على من جدية النقد المؤيد . لكن كل ما قيل عني سلبا او
ايجابا يقف ضد هذا الطرح التأبىنى لى ، وانا شخصيا اعتقد ان هذه النظرة الاعدامية
لفنى تتضمن قسوة غير مبررة موضوعيا .

● ثمة رأى يقول انك فى « كوايس بيروت »^(١) لم تخرجى عن عمل المونتاج الفنى
وترتيب الفصول جنبا الى جنب . فكيف تقومين ذلك ، وهل تعبىرين « كوايس
بيروت » رواية مستكملة للمقومات والشروط الفنية للرواية ؟

- هذه المرة ، انت على حق فى الرأى الذى تنقله . لا أعنى ان هذا الرأى على حق ،
لكنه قيل حقاً ! على ان ثمة رأياً يقول هذا ، ورأياً آخر يناقضه . وقد كتب الكثير حول
هاتين النظرتين المختلفتين الى تلك الرواية . وهنا أحب ان اذكرك بان عبارة « رواية
مستكملة للمقومات والشروط الفنية للرواية » لا تعنى لى حين اكتب اكثر من معلومات
من المفروض ان اعرفها ، لكننى لست مرغمة على تطبيقها اذا رفضتها « لحظة الخلق » .
انها مثل بيان رسمى عن حالة الطقس فى الخارج . بينما انا غارقة فى « حالة طقس »
اخلقها بنفسى ! ان كل ابداع فى الرواية تم على ايدي فنانين لا يخافون من « بيع »
التعريفات النقدية المكرسة ، ولديهم الجرأة على التورط بعطاء جديد ليس له سند
قانونى . فلو طبقت « فرجينيا وولف » على روايتها « الى المنارة » المقومات والشروط

(١) ترجمت رواية كوايس بيروت فيها بعد الى البولونية والروسية والالمانية والفرنسية .

الفنية للرواية التي كانت سائدة في عصرها لما تجرأت على الخروج عن خط «جين اوستن» ولاعتبرت كتابها مجرد «مونتاج فني وترتيب فصول» للزمن المكسور بين اللاوعي والوعي . ولو فعل ذلك هنري جيمس مع روايته «بورترية لامرأة» لاعتبرها المسكين وفقا «للمقومات والشروط الفنية للرواية السائدة في عصره» مجرد «عمل مونتاج وترتيب فصول جنبا الى جنب» مثل تعبيرك عن روايتي ، ولخاف منها لأنها في عصره عمل روائي خطر لا بداية له ولا حبكة ولا خاتمة كما هو مطلوب من نقاد مرحلته ، ولقدفها بكل خوف الى ريح الليل تقطت منها وتجرفها الى البحر . . . وكذلك لورضي شكسبير بمنطق النقد «الجونسوني» المصر على «الوحدات الاغريقية في المسرحية» التي كانت دستوراً نقدياً مكرساً ومقدساً في ذلك العصر ، لاعتبر مسرحياته ايضاً مجرد فصول ملصقة تفتقر الى وحدة الزمان والمكان ، ومن واجبه احراقها قبل ان يحرقه نقاد حراس القيم النقدية المكرسة . ان اخطر ما يمكن ان يقع فيه الفنان هو الالتصاق بالحدود التي يرسمها له بعض نقاد الصفحات الادبية ، وعدم الجرأة على كسر اسوارها لاكتشاف المزيد من عالم الابداع . وان اخطر ما يمكن ان يقع فيه الناقد هو ان ينسى ان النقد الحي هو الذي يواكب الابداع الحي ، ولا يحاول ان يلعب دور ثوب مقاتل العصور الوسطى بالنسبة الى جسد الابداع ، المصر دائماً وباستمرار على الحركة في كل الاتجاهات وعلى اختراع اتجاهات جديدة للحركة ايضاً .

من هذا المنطلق اقول لك ، لا تهمني التسميات التي تطلق عن اعمالي من وجهة نظر «النقد الستاتيكي» ، او من وجهة نظر المفاهيم التي صارت مكرسة حول الرواية . وما يهمني هو ان اخلق الجديد ، ويسعدني ان يواكبني نقد جديد مبدع وأواكبه من اجل تطوير الرواية العربية ، لا تحجيرها في قالب نظريات تعتبر بحكم المكرسات . ان اروع ما في الرواية العربية هو انها بلا مكرسات (عكس الشعر العربي) وبلا ماض مجيد او رديء . انها فن جديد . وقد يأسف البعض لذلك ، انا فاعتقد ان ذلك ايضاً يمنحها كل ميزات الذين لا يحملون معهم «أدران» ماض عريق تراثي ثقیل . الرواية العربية فن جديد وحر ، وتلك الميزة لا تمتلكها الرواية الغربية ، فلماذا نستورد لها «شروط الرواية الحديثة» الغربية بدلاً من ان نتركها تتفجر حيوية وعطاء وانتقاء دوغما التزامات ؟ لماذا نحاول ان نكبلها بأدران امبراطورية عتيقة شبه موهومة ، وهي التي تمتلك جنون البراري وتفجر ينابيع العطاء الانساني التي امتلكتها ذات يوم - مثلاً - الاقوام التي سكنت الولايات المتحدة متحررة من ماضي اوربا اليائس ، تاركة للذات

الانسانية ان تمنح ببساطة ؟ لماذا نصر على استيراد حتى العقد النفسية والادبية ؟ لماذا نصر على استيراد حتى القيود ؟

● بعضهم يقول ان موضوع الحب في رواياتك لم يتعد النفس البوحي الحر والمتمرد ، اذ لم تظهر رؤية تفضح وتكشف العلاقات السائدة التي تحيط وتكبل المرأة العربية ؟ - من الممكن ان يقال أي شيء . لكن « بعضهم » ايضا يقول العكس ، ففي هذا الوقت بالذات هناك طالبة جامعية تعد اطروحة في الماجستير حول « قضايا عربية في أدب غادة السمان »^(١) لتصبح فيما بعد مادة لكتاب كل ما فيه من دراسة علمية اكااديمية يركز على نظرة مناقضة تماما لنظرة هذا السؤال . ومن منطلق يؤكد ان اعماله تفضح وتكشف العلاقات السائدة التي تحيط وتكبل المرأة العربية . وفي كتاب « المرأة المسلمة في الشرق الاوسط تتكلم » لاليزابيث وارنوك فيرنيا وباسمة بازجان ، تم اختيار جلسة حوارية لي سبق نشرها في مجلة « مواقف » وترجمتها المؤلفتان الى الانكليزية ، وجعلنا منها الفصل الختامي لكتابهما ، كنموذج مبدع يفضح العلاقات السائدة التي تكبل المرأة العربية عامة والمسلمة خاصة . اذن ، هنالك كما ترى ابحاث جامعية تدحض رأي « بعضهم » .

● المعروف انك كسرت حدود السردية والرقابة التقليدية وحدث ذلك عبر الفانتازي (الفانتازيا) . والتحرر المتمرد العايب . فهل تأخذين بهذا الرأي ؟ - انني انصت للراء كلها لكنني لا اخذ بأي رأي . غير ذلك الطفل العجوز الشرس الحنون العادل والمتحيز الذي يتفجر من اعماقي حينما اكتب .

● هل تقولين بوجود ما يسمى بالأدب النسائي ؟ - سبق لي ان اجبت على هذا السؤال آلاف المرات واكدت ان ليس للأدب اعضاء مؤنثة او مذكرة ، فهناك « أدب » او « لا أدب » ، والمرأة المبدعة تكتب « ادباً » لا « أدباً » نسائياً . ولكن ، على سبيل التنويع ودفع الضجر ، فلنجرّب اجابة على نحو مختلف . اذا افترضنا ان هنالك « ادبا متخلفا » نسميه « الادب النسائي » وأدباً راقياً نخبوا - على وزن نظرية النخبة الهتلرية - هو « الادب الرجالي » ، فاني استطيع القول ان « الادب النسائي » موجود طبعاً وان اكثر كتابه من الرجال ! . . . ألا ترى ان « الشوفينية الذكورية » على صعيد النقد الادبي قد تستدرج بالمقابل « شوفينية نسوية » مضادة ويذهب الادب ضحية مثل هذه المهاترات ؟ الا ترى ان المرأة الادبية تتمتع بنبل داخلي ذاتي لانها

(١) صدر الكتاب فيما بعد بالانكليزية وكان اطروحة جامعية لجامعة ماك جيل - كندا - حنان عواد .

حين تكتب في النقد ، لا تتحيز لبنات جنسها ولديها قدرة على الاعجاب بما يكتبه الرجال دونما مراة او شوفينية (أم انك ستجردها ايضا حتى من فضيلة الحياد وستتهمها بأنها تكره بنات جنسها وتنضح غيرة اكثر مما تنضح غضبا من انتهاك الرجال لكرامتها الفنية بنظراتهم الدونية السلفية اليها ؟)
اقول لك : نعم . سيظل هنالك « أدب نسائي » . ما دام هنالك « نقد

رجالي » .

● ما هي اهم المشكلات التي تعترض كتابة روائية متقدمة في العالم العربي ، وكيف تشرحين هروب القارئ العربي الى القصة القصيرة ؟
- حكاية « هروب القارئ العربي الى القصة القصيرة من الرواية » هي من الخرافات والاختفاء الشائعة . واحصاءات دور النشر العربية تؤكد العكس ، وهي تفضل نشر الرواية على نشر القصص القصيرة . هذا اولا . اما المشكلات التي تعترض كتابة روائية متقدمة في العالم العربي فهي كثيرة ، ولكنها لا تعترض كتابة روائية متقدمة ، لأن مثل هذه الكتابة الروائية موجودة بالفعل ! اذن العقبات موجودة . لكن الابداع موجود ايضا بالرغم منها ، وربما بسببها .

جوزيف كيروز يستجوب

● جذور أعمالي غائصة في تربة الوطن والعصر

● ماذا تعني لك كتابة القصة هذه الأيام ؟

- تبدو الكتابة هذه الايام مجرد عادة حياتية بائسة ثم انني لا اتقن شيئاً آخر ، ولا يتمتعني أن أفعل أي شيء آخر .

طبعاً من الممكن قول كلام خطابي كثير أجوف الشعارات عن الجماهير وحاجتها إلينا ، وعن رغبتنا بالتبديل وانقاذ الوطن . . الى آخر الاسطوانة . ولكن ، اذا كان الهدف من الكتابة القتال فقط ، فالانخراط في الميليشيات اكثر جدوى ، واذا كان الهدف من الكتابة خدمة افكار محددة مكرسة فقط ، فالموظف الحزبي التبشيري قد يكون اكثر جدوى في هذا المجال . وإذا كان المقصود بالكتابة خدمة الجيل الطالع فقط ، فان هذا الجيل الحزين ، في حاجة الى اشياء اخرى كثيرة قبل قراءتنا . منها ان يتعلم القراءة ويحصل على الرغيف ، ويظل حياً (الأمن) ، ويحصل على حد أدنى من العدالة والضمان الاجتماعي . فتعليم الاخلاق للجيل الطالع لا يتم بواسطة الكتب القصصية وحدها ، وإنما يتم بخلق مناخ يشجع الاخلاق على الازدهار ، بدلا من إحباط الخلقين وهم يرقبون كم الجريمة مثمرة . بعبارة اخرى : الاشتراك في محاولة انقلاب والامساك بدفة الحكم هو أكثر جدوى في هذا المجال من الكتابة . بصراحة ، هنالك لحظات أحس فيها ان الرصاص داخل المسدس اكثر جدوى في زمننا الرديء من الرصاص داخل « قلم الرصاص » ! . . . والآن أمر ببعض هذه اللحظات الحادة الايلام .

إذن ، ودونما ادعاءات فارغة ، وكلمات كبيرة ، أقول لك ببساطة : أنا كاتبة لانني لا أتقن شيئاً آخر في هذا العالم المفترس ، ولا اعرف سلاحاً آخر ، وليس في حنجرتي أي صوت آخر .

وهكذا ، وضمن إطار العمل الوحيد الذي يمتعني واتقنه (الكتابة) ، تتسلل
ورغباتي الدائمة الى الأخرى ، كـرغبتى بالتبديل وبالوقوف ضد القهر والقمع والتخلف ،
ورغبتى في نسف واقعنا الطبقي المتعفن الطائفي الهزلي ، ورغباتي الأخرى كلها
كمواطنة . . . تتسلل هذه كلها وسواها الى حروفي دون ان تجعل منها مجرد أداة ، لأن
السناد الذي يرضى بتحويل فنه الى أداة حتى لمقدساته ، يفقد هذا الفن ولا يربح معركة
المقدسات .

● قراؤك ، من هم ؟

- قارئى ليس فقط الذي دفع ثمنى هاذية بين دفتي كتاب . إنه ذلك الذي يبعثني حية اثناء
قراءته لي ، ويخزنني في اعماقه بعد ان ينتهي من قراءتي ، وتستحيل بعض حروفي الى
أسماء صغيرة مضيئة تظل تسبح داخل شرايينه .

أنا لا اخفي فخري بأنني كاتبة مقروءة . لكنني أميرة العشب المتواضع وأميرة
الاشجار المكسورة ، ومن لم تمر عليه العاصفة ولم تجنّده زوابع الحياة يظل مغتربا عن
حروفي وجرحي المتفجر تمرداً وغضباً . . . أنا لست كاتبة النفوس الداجنة واذا طالع
اصحابها سطورى ، فأتمنى ان اذكرهم بمخالهم المنسية . ببساطة ، اعتقد ان العلاقة
بين العمل الفني والقارئ هي كالعلاقة بين الاسطوانة وإبرة الحياكي . الكتاب هو
الاسطوانة . والابرة هي القارئ بعيونه الراكضة على السطور . وبقدر ما تكون نفسه
مرهفة واحاسيسه مدببة ورقيقة كابرة الحياكي الجيدة بقدر ما يستطيع استخراج نبضات
اللحن كله حتى أدق ايقاعاته .

● ما هو المحك الذي تستخدمينه لمعرفة القصة الجيدة من القصة الرديئة ؟

- لا أحد يستطيع معرفة القصة الجيدة من القصة الرديئة - إلا إذا كان متبحراً - أو اذا
كانت القصة تحت مستوى التقييم أصلاً . إن أهم ناقد أدبي هو « الزمن » وهو للأسف
غير متوافر الا بعد انقضاء « زمن ما » ! . .

هنالك أعمال أدبية كثيرة حكم عليها معاصروها بالاعدام ثم أثبت الزمن انها لم
تكن رديئة وإنما كان عصرها رديئاً ونقاده يفتقرون الى الرؤيا المستقبلية . والامثلة في هذا
المجال اكثر من ان تحصى . والعودة الى تاريخ الادب تزودنا بعشرات منها .

إذن علينا دوما ان نقف بحذر أمام عمل فني جديد . وعلينا ان نخلع عن عقولنا
النظرة الجامدة للفن ، التي تطلب من العمل الادبي مواصفات نقدية مكرسة . فأكثر
العظماء في تاريخ الفن نسفوا ما كان « أصولاً » في عصرهم . حين اقرأ رواية ما ، لا

اقرأها وعيوني على نظريات النقاد حول الرواية ، وإنما اذكر باستمرار ان الناقد يأتي بعد الكاتب . الكاتب يبدع أولاً ثم يأتي الناقد (فينظر) لإبداعه . الذين يكتبون وعيونهم معلقة (بالشروط السائدة) لكتابة القصة ، لا أتمس لهم كثيراً ، فالبغاوات والتلامذة في ملكوت القصة لا يلفتون اهتمامي .

● الى أي حد ينطبق عالمك القصصي على الواقع الذي تعيشينه ؟

- الى حد بعيد ، دون ان يصل بي ذلك الى هدر الفن على مذبذب كتابة المذكرات الشخصية او التدوين الأدبي لتاريخ حقبة سياسية . جذور اعمالي غائصة في تربة الوطن والعصر حتى الثمالة ، لكنها ليست مجرد وعاء شفاف لما يدور لا يتدخل في ماهية ما يوضع فيه .

وهكذا فعالمي القصصي لا « ينطبق » على واقعي المعاشي ، وإنما « يتفجر » منه ويتخذ منه « وقوداً » لمساره ، وربما « بوصلة » لرحلته ، في محاولة الكشف عن مزيد من حقائق النفس البشرية ، وأسرار وجودنا الانساني ، وموقعنا من هذا الكون المبارك والملعون .

كمال بخيت يستجوب

● ذاكرة القارىء تحميني ضد الابداء

أعلنت عليها القتال فأثلمت حدة صدقها حد السيوف ، فأشهرت على نفسي حب الكلمة الصادقة .
كان هذا الحديث عن « الاعمال غير الكاملة » عنوان مجموعة كتبها التي ستصدر تباعاً .

وكما نرى، العنوان خارج عن المؤلف . « الأعمال غير الكاملة » ، في حين ان معظم الشعراء العرب الاحياء درجوا مؤخرًا على موضحة نشر انتاجهم باسم « الاعمال الكاملة » ، مع ان مثل هذا النشر لا يجوز الا للادباء الذين رحلوا ، على اساس انهم توقفوا عن العطاء . اما اذا كان الشاعر او الاديب ما زال معطاء فالمفروض ان ينشر جميع ما نشره تحت عنوان « الاعمال غير الكاملة » ، دون هذا المنطلق نرى خطأ التسمية .

● وعن الاعمال غير الكاملة . . . سألت . .

- واجابت . . .

هذه السلسلة صدر منها حتى الآن الجزء الاول بعنوان زمن الحب الآخر . . .
والجزء الثاني الجسد حقيبة سفر . . وسيصدر الاسبوع القادم الجزء الثالث السباحة في بحيرة الشيطان ، وتحتضن المطبعة الآن الجزء الرابع ختم الذاكرة بالشمع الاحمر . . .
أيضاً سأدفع الى المطبعة خلال الاسابيع القادمة بقية الاجزاء والجهاز منها الآن كتابان . . اعتقال لحظة هاربة والرغيف ينبض كالقلب . . . واكون بالتالي اكملت ثلاثة ارباع الاعمال غير الكاملة ومصممة ان اكمل الربع الباقي في عام ١٩٨٠ ، هذه بالمناسبة اول مرة استعمل الطريقة الزمنية في الكتابة والاصدار . بعدها سأعود لمتابعة وكتابة اعمالى الجديدة .

● وسألتها عن اعمالها الجديدة ؟

- أجابت . .

لا أدري . . . ما دمت لم اكتبها بعد .

● ما هي اسباب تسميتك « الاعمال غير الكاملة » ؟

- اولاً . كلمة الكمال . . لا أحب أن أقولها الا حينما انادي بها صديقاً له هذا الاسم !
ثانياً تدهشني تسمية « الأعمال الكاملة » لأناس احياء . ولا أحب ان أرى كلمة الكمال مقترنة بعمل أدبي لان كل عمل ابداعي هو محاولة للاقتراب من الكمال ، كما ان كلمة « كمال » عندما تكون مقترنة بعمل بشري انساني احس انها في غير محلها ، لان كل ما نعمله هو محاولة للاقتراب من الكمال ليس اكثر . ثم ان الادباء يعلنون عن اصدار « الاعمال الكاملة » ثم يكتبون بعدها اشياء جديدة .

واعلانهم هذا بعيد عن الدقة ويخرجهم مع جديدهم اللاحق . .
انني اريد ان ادمر التقليد المكرس في اصدار ما تعارفوا على تسميته (بالاعمال الكاملة) والتي تصدر عادة بعد وفاة الاديب واريد ان يكون اسمها هذه المرة « الاعمال غير الكاملة » .

وسأصدرها حينما اشاء لانني اشاء ، فالمكرسات المتعارف عليها بهذا الخصوص سقطت ما دامت ظروف الحرب اللبنانية قد خلقت حاجات جديدة وهي امكانية احتراق ما كتبت مرة جديدة كما احترق كل شيء منذ ستين .

ولعله كان من المفترض ان تصدر هذه الاعمال بعد موتي ان كان هناك من يهमे هذا الامر .

واتوقع ان يأتي صاروخ في اي لحظة ويقضي عليها . هذا هو السبب الذي جعلني اصدرها .

● تخشين على اوراقك من حريق جديد ؟

- سأحكي لك حكاية . . بعد حريق بيتي الأول ومكتبتي في الحرب انتقلت الى منزل على شاطئ البحر ، وقبل شهور قام الصهاينة بهجوم مكثف بحري ، وجاء صاروخ وضرب المنزل الملاصق تماماً لبيتني ولو تحول هذا الصاروخ قليلاً لنسف منزلي ومكتبتي واوراقي وبعد هذا الاعتداء لم اتردد . قررت ان اطبع اعمالها كلها لأن كل قارئ يشتري كتاباً منها يخشني عنده ويخفى اعماله ويحميني . . وتصير مكتبته ملجأ لي .
ذاكرة القارئ تحميني ضد الابدان . وانتاسل واتكاثر وأصبح موجودة في مكتبة كل

قارىء على امتداد وطننا العربي ، ولذا عملت جدولاً زمنياً لأنجز طباعة أعمالي كلها .
ما أنشره في « الأعمال غير الكاملة » هو مختارات من كتاباتي التي نشرت والتي لم
تشر .
● يقول بعض النقاد . . انك تجاوزت « الادب النسائي » منذ مجموعتك « رحيل
المرافئ القديمة » .
- حين بدأت الكتابة ، لم أكن انوي الاشتراك في بطولة سباحة ولم تكن المنافسة
هاجسي .
كنت اكتب فحسب ، وصحيح ان ارقام بطولة السباحة للرجال مختلفة وتتجاوز
النساء وبالتالي تحتم وجود رقمين مختلفين للرجال والنساء ، لكنني أحس ان ذلك لا
علاقة له بالفكر .
حين اكتب لا افكر بتجاوز النساء او الرجال وانما افكر بتجاوز ذاتي . انني اسابق
ذاتي وطاقتي على التفجر واسابق الزمن لاعطي المزيد . . .
● اسأل غادة عن كوايس بيروت الذي سترجم الى اللغة البولونية ووقعت عقداً
بذلك على ان يطبع خلال الشهر القادم واسألها عن المبلغ الذي تلقتته ؟
- تبسم وتقول : عشرون الف قارىء جديد لم يسبق لواحد منهم ان قرأ او سمع بغادة
السمان . . ومنذ الطبعة الاولى . وهذا كسب اعتبره اكبر من أي ربح مادي . تقاضيت
على اية حال مبلغاً من دار النشر التي ستطبع كتابي في وارسو . . مبلغاً رمزياً حقاً . .
المهم ان يقرأ الشعب البولوني كلمات كاتبة عربية طموحة بدأت من دمشق رحلتها
الطويلة للعطاء وما زالت تمشي . . .

ياسين رفاعية يستجوب

● انتمي الى أقوام عرفت الحضارة
منذ آلاف السنين .

الحوار مع غادة السمان لا يقل أهمية عن كتابتها ، بل ، ربما الحديث معها ، يكشف كم هذه المرأة موهوبة ، وكم هي مختلفة عن غيرها من الادبيات العربيات ، ولا نبالغ إذا قلنا ان غادة السمان هي السمة البارزة في مجال الكتابة بين النساء العربيات . لا من حيث جرأتها فحسب في طرح المواضيع ، بل في ثقافتها ايضاً وليست ثقافة الشهادات الجامعية والقراءات المختلفة والسفر فحسب ، بل الاندماج كلياً بالحياة . . . حيث هي - ربما - الادبية العربية الوحيدة التي تعاني ما تكتب على هذا النحو في الالتحام بالحياة وبالبشر . . . كاتبة من طراز متفرد ، وخاص ، ومميز . . . لا تكاد كاتبة اخرى من قبل تشبهها . . ولا تكاد تحيء كاتبة من بعدها إلا وتحاول التشبه بها .

هذا الحوار هو بعض قليل من غادة السمان ، يكشف لنا بعض ما تراه من خلال حدسها الذكي الغني ، ومن خلال عينها الشديدة الرؤية التي تكشف عن بعد ما وراء الافق وما وراء النفس البشرية :

● هذا التنوع في إنتاجك على اختلافه يكاد ينبئ بأنك منصرفة كلياً الى الابداع ، كيف تتصرين على الوقت وتتفوقين على الزمن ؟

- انتصر باعلان هزيمتي ، حينما يرمي الوقت قفازه في وجهي متحدياً لا أشهر سيفي الخشبي في وجهه - وكل سيف يصير خشبياً في حضرة الزمن - لكنني انحنى أمام ساعته الرملية الشاهقة ، واغسل قفازه بالطيب والعطور واعيده اليه وانا أهمس : انا المهزومة سلفاً ، لكنك لن تقهرني ، سأحاول ما بوسعي .

هذه هي الخطوة الاولى في درب النصر : مواجهة الهزيمة التي لخصها الرائع جوته بقوله « الحياة قصيرة ، والفن شاسع » ، ولكن ، ضمن إطار هذه « الحياة القصيرة »

تتفجر النفس الانسانية بالتحدي، ويقرر الفنان سبر غور البعد الثالث للزمن الذي تركت لنا فيه حرية التحرك حتى اقصاها . . . وهكذا فاللحظة التي قد تدوم زمنياً لمدة دقيقة فقط مثلاً ، يمكن ان تتحول الى دهر من الحيات والخبرات ، اذا استطعنا ان نحياها ببعدها الثالث ايضاً : العمق .

ولعل وعي الفنان بحاجته للانصراف كلياً إلى الابداع ، يدفع به الى التحول من كائن داجن الى كائن بري . الفن يعاني من انواع الحصار كلها التي قد يرضخ لها بعض الناس (أو حتى يستمتعون بها !) .

هنالك ذلك الحصار باسم الحب . القتل المتبادل باسم الحب . الاعتقال باسم تبادل العواطف في مناخات الشجار المحمومة السجن تحت شعار الاستقرار . الكرسي الكهربائي الملقب بالوظيفة المكتبية . غرفة الاعدام بالغاز الملقبة بالواجبات الزوجية التقليدية . هذا الرعب كله اعرفه . إنه يلتهم زمن الكتابة ببطء ولكن باستمرار . الفنان يضطر لمواجهة ذلك كله بالقدرة على قول : لا . القدرة على التخلي .

القدرة على خسارة كل المباهج الصغيرة المؤكدة مقابل ربح فني غير مؤكد . انني ببساطة استسلم للهزيمة المؤكدة امام الوقت وقرر مواجهتها بالتخلي عن الاشياء مقابل الحصول على حرف جديد . اني اسرق من زمن الفرح لاضيف إلى زمن الكتابة . يوماً فيوم يأكل زمن الكتابة ، وقت الحياة الاليفة العادية المبهجة ، والتي تكف عن ان تكون مبهجة حين اعني كم كان توظيفها ممكناً لأجل القراءة او الرحيل - وكلاهما ضروري للخروج من وحدانية النظرة وضيق الافق .

نعم انا منصرفة بكليتي إلى عملي ككاتبة ، فالمرأة الفنانة يجب ان تكون جادة مع نفسها وعملها بالدرجة الاولى . لا اريد اوسمة من أحد في اي حقل آخر . . انني ببساطة امرأة لا تتقن شيئاً آخر ولا تريد نصراً آخر .

المأساة انهم في بلادنا ، ما زالوا يعتبرون الكتابة للمرأة من بعض الزينة الحميدة التي تضاف الى خصلتها الاخرى الاساسية كحسن ادارة البيت والمهارة في الطبخ وانجاب الاولاد ، والنجومية الاجتماعية ، وشغل (الكانافاه) والتطريز وعزف البيانو . بعض الكاتبات يجدن انفسهن مرغمت على توكيد حسن سلوكهن المطبوعي والزوجي ، كما لو كن يقدمن اتاوة مقابل السماح لهن بالكتابة . ذلك يدعشني حقاً . لم يحدث مرة ان اضطر نجيب محفوظ الى تأكيد مهارته في الطبخ ، ولا جمال الغيطاني الى التحدث عن مهارته في إدارة الامور المنزلية ، او اصلاح الصنابير العسيرة .

ان المفتاح لمواجهة الوقت هو ثقة الكاتبة بنفسها ، وبما تفعله وبفنها ، حيثئذ تركض اليه كما يطير العصفور الدوري الى الصيد بجناحين طليقين وببيدين لا تمسكان بأي شيء آخر . . (إلا بالخسارة اذا اضطرت الى ذلك) .

● لك عين مذهلة في ترميم الذات من الداخل ، وإعادة تشكيل الاحداث ، ثم فرزها ادباً . . قصة او رواية . . هل يعني ذلك ان الذات الواعية للاديب هي اهم اسس الخلق الادبي ؟

- الذات الواعية ليست واعية بقدر ما نتوهم . ان اللاوعي يسكنها بمعنى ما . . . كل تلك الخبرات التي نتوهمها منسية تشكل تربة الوعي التي تحرثها الارادة لتزرع فيها بذور الحلم ! ذاتي المكسورة في لحظة ترميم تتكون من امرأتين : واحدة تتألم واخرى تراقب الالم بحياء مبضع الجراح وبرود نصله ، امرأة تنزف واخرى تسجل حكاية الجرح وترسم الخط البياني لايقاع سقوط قطرات الدم في بثر معتمة نائية القعر وتردد مع أليس في بلاد العجائب : « لا ادري . . هل كان السقوط بطيئاً ام كان القاع بعيداً » ؟

ثم ان عملية ترميم الذات قد تبدو من الخارج عملية ارادية واعية وذاتية ، ولكنها تحمل ايضاً في جوهرها خصائص جماعية تاريخية . . . انني انتمي الى اقوام عرفت الحضارة منذ آلاف السنين . ولقد ولدت ونشأت في مدينة من اقدم مدن التاريخ هي دمشق . امي من اللاذقية ، من الشواطىء التي تمرست بمواجهة الغزاة . وابي من دمشق ، المدينة العتيقة المعتقة التي طالما احترقت وخرجت من رمادها . في دمي حصيلة تلك الخبرات التي تمرست في المقاومة وترميم الذات والحفاظ على وعيها - دونما وعي منها ! - .

● عندما كتبت « بيروت ٧٥ » كانت النبوءة ، ثم جاءت روايتك « كوابيس بيروت » التحقيق . . . هل تعتقد ان الكاتب يملك في داخله عين المستقبل ، ومن خلالها يستطيع ان يستكشف ما هو آت ؟

- ان ذلك لا يحدث بشكل فج ومباشر . فالفنان ليس منظراً سياسياً ، لكن في كتاباته « توجه معين » والفنان ليس عالماً نفسانياً ، لكن في كتاباته « غوص » إلى اعماق الذات يلتقي احيانا وببساطة عفوية مع الانتصارات العلمية الطبية . نجد مثلاً على ذلك في كتاب فرويد : « الهذيان والاحلام في الفن » ، والفنان ليس مؤرخاً بالمعنى الفج . . لكنه يعاني التاريخ بمعنى ما . والعمل المبدع قد يكون وثيقة إجتماعية . . . لكن ذلك ليس هدفه الاساسي . وهكذا ، وبهذا المعنى قد تحمل الاعمال الفنية الجيدة صورة

للمستقبل او بعض نبوءة ، لكن ذلك لا يعني ان الفنان عراف . ان الفنان ليس عرافاً كما انه ليس رجل سياسة ولا رجل دين ولا مؤرخاً ولا طبيباً نفسانياً حتى ولو حل فيه هذه الخصائص كلها او بعضها - والفن المبدع يحمل غالباً هذه الخصائص - الفنان هو فنان فقط ! . . . ولأنه كذلك فهو بمعنى ما اولئك جميعاً دون ان يكونهم حقاً !

● ازاء ذلك ، كيف تتصورين الغد والمستقبل المنظور ، والمستقبل البعيد ؟
- لأن الفنان ليس عرافاً ، فان الاجابة المباشرة على سؤال كهذا لا تخرج عن التقييم العادي لمواطن قد يخطيء او يصيب .

إن إمكانية استشراف المستقبل تأتي للفنان عبر شخوص رواية ما ، واثناء كتابتها ، اذا كان في لحظة ابداع حقيقية ، وهي ليست الهدف الاساسي ، ولا تأتي بالمقام الاول ، وربما لا تخطر له ببال لحظة الخلق الادبي .

بعبارة اخرى الفنان لا يحاول لعب دور العراف . مستبدلاً الودع بالابجدية ، وضرب المندل واستحضار الارواح والسلة والابرار (وبقية عدة الشغل لدى المنجمين) باللغة . ان احتواء الماضي وحديث المستقبل نتيجة غير مباشرة للغرض الاساسي : خلق عمل فني حي حقاً .

وهكذا فانا لا نستطيع استبدال الرواية بالنبوءة . . لكن الرواية قد تتضمن فيما تتضمن بوصلة لخط سير الاحداث ، تومىء باتجاه المضيق الذي تمضي اليه باخرة الوطن ، حيث التيارات الخطرة واسماك القرش النهمة . واغاني عرائس البحر المخاتلة التي تلهي البحارة عن الدوامة الدموية . . والدمار . . . والشباك المقطعة . . . واوهام الهاربين من سفينة الوطن بيخوتهم الذهبية والعاجية . . . واوهام الذين يحملون الفأس ويهوون بها على (حصاة) سواهم من السفينة ، دون ان يلحظوا ان السفينة حين تغرق ، ستغرق بكل من عليها . . بما في ذلك ابراج المراقبة المتلهفة الى تصوير لحظة السقوط . . والمنارات الزائفة التي تحاول جرننا الى حيث الصخور الاخطبوطية . . والمنارات النادرة المتبقية في جنون العاصفة التي نبتت في مراقيء الامان ولم يتم تفجيرها بعد ! . .

● وفي هذه الانفعالات المذهلة في قسوتها وجحيمها ، هل يستطيع الفنان ان يقف على الحياد ؟ بل لماذا يقف بعض الفنانين على الحياد في الوطن العربي كأن كل ما يجري لا يعينهم بشيء لا من قريب ولا من بعيد ؟
- الحياد بالمعنى المطلق هو الموت ، الحثة وحدها محايدة ، حتى في موقفها من الكفن

وحفار القبور وخطبة الكاهن . . . لكن الفنان يمر احياناً بمرحلة إعادة نظر قد تبدو من الخارج حياداً ، ولا يمكن لأي فنان حقيقي ومبدع ان يكون لا مبالياً امام الظلم والقمع والبشاعة مدة طويلة .

والآن ، لتكلم بصوت عال عما نتهامس به بخوف وسراً . اننا نمر للأسف بمحنة فكرية عربية بوجه عام . اكثر الاقطار العربية صارت شديدة الحساسية امام حرية الكلمة . وهكذا صار الفنان يرتدي قناع الحياد خوفاً من المشنقة ، اوريشما يجمع ثمن بطاقة سفر ! . . . وهكذا فنحن امام عدة انواع من الحياد : هنالك حياد العين في مواجهة المخرز .

وهنالك حياد إعادة النظر .

وهنالك حياد الشجرة التي تنحني قليلاً ريثما تمر العاصفة ، بعد ان تعلمت ان الوطن بحاجة الى مقاتلين احياء يتصفون ببعض المرونة .

لا تلموا الاديب « المحايد » . . ارفعوا الكمامة عن فمه ، قصوا القيود عن يديه . واذا لم يستخرج بعدها جناحيه اهتموه بالحياد امام متعة التحليق والاكتشاف والمعرفة واداء الشهادة .

● لعلك اكثر كتاب العربية إكتشافاً دائماً للعالم . وهذا يتجسد في « الاعمال غير الكاملة » - ١٢ كتاباً - التي صدرت لك تباعاً . . . افما تعبت من متابعة البحث ؟
- . . وكل بحث يقودك الى عشرات البحوث ، كما الميدوزا . كلما قطعت وهماً نبتت العشرات في موضعه . وكل مغارة تقودك الى دهليز تنفتح على جانبيه ابواب المغاور التي تقود الى مغاور على جانبيها مغاور وهكذا الى ما لا نهاية . . الفضول هو الشيء الوحيد الذي يزداد جوعاً كلما اطعمته . . . « حاسة التساؤل » هي بحالة تحريض دائم لدي . . . واطمح باستمرار الى غير الاجوبة الجاهزة المتعددة التي قد تريحنا من عذاب البحث لكنها تلغي الرؤيا ونشوة المعرفة . كل ما حولي يستفزني للمشي في دهليز المرايا والنوافذ .

لست مشغولة بالطبيعة البشرية بمعزل عن موضعها من الكون ، ولست مستغرقة في البحث الكوني المجرد الى حد الانشغال عن بقية كائنات الطبيعة المحسوسة وغير المحسوسة . وعشقي للكتابة جزء من حبي الكبير للرسم والموسيقى وغيرها . من هنا يأتي التهامي لعشرات الكتب عن الفن والحيوان والنبات والطبيعة والبحار والجبال والغابات ، ومحاولتي معايشة اولئك (الجيران) المذهلين كحصان البحر وحصان البر ،

وكواكب السماء النائية او صخرة صغيرة تفور بعشرات الحيات النباتية وغير النباتية .
لقد ترجمت كتابا عن الكواكب والنجوم كما ترجمت كتاب مارغريت ميد « بشر
واماكن » كجزء من هذا الهوس . ان القواقع والاصداف الصغيرة تحطف انتباهي احيانا
اكثر من الاهرامات ! . . . ان عمراً واحداً لا يتسع لتأجج روعي امام هذا الكون
المذهل الشاسع الممتلئ اسراراً شهية . . . اني احسد «فاوست» وافتش عمن اوقع معه
صكاً بدمي . . فعذاب التحرق الى المعرفة جحيم بحد ذاته !

● كتاباتك عصبية ، متوترة ، ومتحركة حركة لا ركود فيها . . هل هذا نابع من
حياتك الشخصية . . ام من الحدث الذي تتمثلينه وتعانيه قبل كتابته ؟
- احاول رصد كسور الروح والنفس في زمن الانهيارات والولادة ، زمن الخيانة
والسمو ، الزمن البشري المتكرر والجديد . . واحاول رسمها كما تفعل اشعة « إكس »
بكسور العظام حين تبين موضعها وترسم خارطتها . لكن كسور النفس البشرية حية ،
متحركة ، نابضة ، قد تلتئم في ثانية ، وعبر حوار - فالحوار في الفن مرادف احياناً للفعل
والسلوك البشري - وقد تعاود انكسارها وتظهر فيها شقوق اكثر عمقا . . . ان
انكسارات الروح تشبه الاخاديد الرملية لشاطئ كثير المد والجزر . . فالحياة باستمرار
في حالة صيرورة ديناميكية وغموج وتحول . . . ما تراه في كتابتي هو ارتجاف إبرة عداد
الارتفاع في طائرة تعصف بها الأنواء صعوداً وهبوطاً في كل لحظة ! . . .
● هل القيت القبض ذات يوم على سعادتك ؟ على لحظات منها ؟ على دقائق . . . كم
من الزمن استطعت الاحتفاظ بها ؟

- حين تمر السعادة ، لا احاول استبقاها . . . فالسعادة هي الورد السحرية التي
تتلاشى لحظة نقطتها ، وتتحول الى رماد قبل ان نودعها في (مزهرية)
الكريستال . . . انها كالنجم ، لا نستطيع القاء القبض عليه وسوقه مخفوراً الى « ألوم »
الذكريات ، او اطارنا الاجتماعي .

ثم ان السعادة هي السيدة التي لا نعرف اسمها إلا بعد ان تغادرنا . حضورها
حدث اليق حتى لنكاد لا نلحظه الا بعد ان يفارقنا . . ونشهق في عتمة الغياب
ونقول : آه مر الفرح من هنا .

مراسل الدستور يستجوب

- ارحل الى الجرح العربي جرح الوطن .
- الكتابة مقاومة جماعية ضد تبيع المفاهيم .

في هذا الحوار الجديد ، نكتشف عوالم اخرى في اعماق هذه الكاتبة الكبيرة التي بنت لنفسها طوال عشرين عاما علاقة وثيقة ، مع مئات الآلاف من قرائها ، لا تنفصم ، حيث نرى انتاجها في كل مكتبة في طول الوطن العربي وعرضه . . كاتبة مميزة ، لحديثها ، في كل مرة ، طعمه الخاص ، وجاذبيته التي لا تنسى .

● في ادبك كما في حياتك ، الرحيل دائما هاجسك ، اي رحيل ؟ الى أي عالم ؟ إلى أي مكان ؟

- ذات ليلة ، كان هنالك رجل يمشي وحيداً في زقاق معتم ، انقض عليه مجهول في الظلام ، طعنه بسكين دونما مبرر ، دونما كلمة . . ومضى . . . كان اسم المطعون صمويل بيكيت ، وكانت تلك الطعنة العبثية ، بطاقة رحيله إلى « مسرح اللامعقول » .

اما أنا فمواطنة عربية . . اعرف جيداً من طعني ، واعرف ان هدفه قتلي وشعبي ، واعرف انه يرغب في سرقة شارع الوطن من تحت اقدامنا ، ويرغب في سرقة تاريخنا من دورتنا الدموية ، اعرف اسم جلادي ، واعرف اسماء الذين تخلوا عن الحلم العربي الكبير لتحالفين مع قرصان الفرع والحرية ، وهكذا ، فانا باستمرار احمل بطاقة رحيل الى الانتهاء ، الى المعرفة ، الى قزمة من رغيث الحقيقة العسير المثال .

انني اسافر الى السر ، واسافر الى اليقين ، وما ترحالي الجسدي القلق الا مجرد تعبير عملي عن هذه الحقيقة النفسية . أينما رحلت ، ادور في فلك هي العربي والانساني . . ولا بد لي من الاعتراف بانني كفنانة لا استطيع مقاومة اغراء اية ظاهرة تثير الفضول . . . واذا شاهدت خيطاً من الدم امام مدخل نفق مظلم مجهول ، فلا مفر لي

من ملاحقة خيط الدم . . . لارى . . لاعرف . . لاشهد . . لاتعلم . . وربما لانزف .
من هنا كان رحيلي مع الصيادين الى البحر . . والى المجانين في مصحاتهم . . .
والى الذين يمارسون السحر في كهوفهم العصرية ، والى المنفيين خارج الوطن والابرياء
والمجرمين في السجون . والى بائسات الزيف الاخلاقي في حاناتهن وسواهم . . انني
ارحل باستمرار الى الجرح العربي ، جرح الوطن ، وجرح النفس . . جرح التاريخ ،
وجراح المعذبين والمنسيين . . ترحالي كمواطنة يتحدر من همي كفنانة ، وربما يكمل
رسم بانوراما شاسعة لا تخلو من البعد الثالث للبركان العربي الذي يحاولون عبثاً ترويضه
في سيرك لعبة الامم .

● الحزن . . الحزن . . الا تعرفين الفرح ؟ لماذا دائماً الحزن ؟ لماذا ليس دائماً الفرح ؟
- يبدو لي ان العرب بوجه عام يحذرون من الفرح . . واذا ضحكوا كثيراً في مجلس ما ،
قالوا : اللهم اجعله خيراً . . والفرد العربي العادي يضبط نفسه احياناً متلبساً بالضحك
فيبادر الى القول : « اللهم اعطنا خير هذا الضحك » او « اللهم عفوك » او اي شيء من
هذا القبيل . . . واذا تفرسنا في هذه الظاهرة ، نلاحظ ان العرب هم مع الابتسامة وضد
القهقهة ، ومع الفرح المتواضع وضد الزهو ، مع الفرح الواعي المتأمل ، وضد
الاختيال والخيلاء والعريضة ، بالنسبة لي ، انا ضد الحزن للحزن ، كما انا ضد الفرح
المعلب المستورد . حزني هو في جوهزه اقتراب رصين من حقيقة الاشياء ، انه حزن إيجابي
قابل للفرح ، انه حزن حي ، وليس في حالة تكلس وتقوقع .

ولانني اعرف الحزن ، اتقن الدخول الى الفرح . لكن زمن الفرح العربي لما
يشرق بعد ، وانا من جيل يطمح للمساهمة في تحقيق خطوة بهذا الاتجاه . اكرر : انا
دمعة العين . . لا المخرز .

● غادة السمان زميلة جديدة في « الدستور » زميلة قديمة في الكتابة . . هل تواجهين
تحديات اخرى إضافية على صعيد الكتابة ؟

- التحدي الذي اعيشه الآن ، ولم اواجهه من قبل ، هو ذلك اللقاء بين اعمال
القصصية وبين قارئ جديد من بلاد غير عربية . . عبر ترجمات انجز اعداد بعضها . .
ويتم انجاز بعضها الآخر .

وقد سبق ان ترجمت بعض قصصي القصيرة الى اللغات التالية : الاسبانية ،
الفرنسية ، الروسية ، الانكليزية ، الالمانية ، الرومانية ، الفارسية ، لكنها نشرت يومئذ
بشكل محدود ، وضمن إطار التعريف بمختارات من الادب العربي .

تبدل الامر الآن ، الترجمات صارت تتناول رواياتي ، والنشر تتولاه دور تصدر من الطبعة الاولى ٢٠ الف نسخة على الاقل « هارد كوفر » كما ينص مثلاً العقد الذي وقعته مع « بوستواوي انستينيوت » في بولونيا بخصوص روايتي « كوابيس بيروت » . وقد كتبت لي المستشرقة هانا يانكوفسكا التي قامت مشكورة بترجمة الصفحات الـ ٥٠٠ للرواية تقول : « ستكون روايتك (كوابيس بيروت) اول عمل روايتي حديث يصدر في بولندا ، اذا استثنينا بعض الكتب للادباء المغاربة الذين يكتبون بالفرنسية » . شعرت وانا اقرأ كلماتها بالامتنان والخوف معاً ، ارتعدت خوفاً واملاً كقط صغير مبتل ، وتمنيت ان تنقل حروفي لعشرات الآف من القراء الجدد صورة مشرقة عن ادب امتي ، وعن ادبي . الخوف ذاته يدهمني وانا اعرف ان روايتي « بيروت ٧٥ » التي ترجمت الى الفرنسية في اطار اطروحة جامعية بالسوريون قد تجد طريقها الى النشر العريض عبر احدى دور النشر الواسعة الانتشار في باريس .

اواجهه ايضاً (خطر) نشر ٥٠ الف نسخة من « كوابيس بيروت » عن دار رادوغا بموسكو فثمة من يقوم الآن بترجمتها - كما سبق للبروفسور فلاديمير شاغال الاستاذ بمعهد الاستشراق ان ترجم قصتي « الساعتان والغراب » الى الروسية - انني افكر بعشرات الآلاف من العيون التي ستقرأ حروفي بحياء ودي . . تراني انجح في هذا الامتحان العسير ايضاً ؟ لا أدري سوى أنني مسكونة بالخوف والأمل معاً .

التحدي الآخر الذي اواجهه ايضاً هذه الايام هو روايتي الجديدة ، وصحيح انني اصدرت عشرين كتاباً حتى الآن . لكنني مع كل كتاب جديد استعيد اللذعات العتيقة كلها ، نضرة وموجعة ومتفجرة زخماً كما لحظة كتابة قصتي الاولى .

● انت الادبية في الصحافة ، ام انت الصحافية في الادب ؟

- حين كنت اجوع وانا صغيرة ، كنت ارسم رغيفاً وآكله فلا اشبع ، وكنت اكتب كلمة رغيف عدة مرات فيزداد جوعي ولكن تهدأ نفسي . . حينما كبرت اكتشفت المجاعات الاخرى الكثيرة التي تفترس الروح ولا يكفيها الرغيف . ووعيت قيمة الكلمة ، وتعلمت ابجدية اضافية . . تعلمت ان الكلمة هي الذاكرة وهي الحرية وهي الحرب والدرع . وتعلمت ان اصرخ في واد مجانا وانا واثقة من رجوع الصدى ولو بعد اعوام .

ادبية ، صحافية ، التسميات لا تقلقني . . إنتمائي الى فعل الكتابة حقيقي واصل ومستمر .

اكتب لانني لا احترف الحزن والانتظار ، وإنما اهوى صناعة الآتي الذي يجب ان يأتي !

ادب ؟ صحافة ؟ لا انظر الى زملائي الصحفيين نظرة دونية . . ولا ارى رفاقي الادباء فصيلة قادمة من نسل آلهة الاولب . ما يهمني هو ان تظل الكتابة باستمرار نسيجا حياً مسكوناً بالهم العربي ، بالنبض والنضارة ، بالزخم والعنفوان والشهية الى المعرفة . . الكتابة هي فعل مشاركة فيما يدور ، وانا لا اريد ان اتصل من هذا الزمن العربي . . اني كالأخرين جيمعاً : مسؤولة عن خطيئة ما يدور . . كل منا هو الجلاد والضحية في آن . . لم يعد الانسحاب شهادة براءة ، ولا الانتظار شهادة حسن سلوك فني ، كلنا ملطخ وقاتل وقتيل وهزلي ، وكل منا يختار درب خلاصه . . الصمت في رأيي ليس افضل الحلول وان كان اقربها الى السلامة !

ادب ؟ صحافة ؟

ما القرن . لا يهمني اسم الاب الشرعي لعملني الفني . المهم ان يولد حياً وقابلاً للنمو .

ادب ؟ صحافة ؟ الآن ، في زمن القمع ؟

نعم . . . هذا هو الزمن المثالي للكتابة . الاقنعة تسقط . الوجوه تتعري . الحقائق تخرج من ارحامها السورالية لتتدلى امامنا على الاغصان والمشائق . الاكاذيب تغادر منطقة السر الى منطقة الضوء العلني . العلاقات المكسوة بلحم المجاملة ، تتحول الى هيكل عظمي للوضوح ، الانوار الكشافة مسلطة على الخونة وعلى الثوار وعليك ان تمتلك القوة لتحقق في الضوء دوغما وجل . . وتكتب . .

هذه وجهة نظري انا شخصياً ، ولا أسمح لنفسي بالتعميم الساذج التبسيطي . المهم الكتابة لاكملجأ او مطهر او منفى او موزاييك لفظية ، وإنما الكتابة كفعل مقاومة جماعية ضد تعهير القيم وتمييع المفاهيم . صحافة ؟

اعتقد ان ادبي مدين لعملني الصحفي ، فالتفاعل اليومي مع الناس هو عصب الكتابة ونبضها . التأمل مهم ، والهدوء ضرورة ، ولكن لا فن كبيراً حقيقياً يستثمر بدون الانفتاح الصادق على دنيا الناس .

انا لا استمد (الوحي) من الرجل (الحبيب) وحده . انا استمد مادة كتابتي من الرجال المقهورين المتعيين المناضلين ، المكسورين والمتصرين ،

الصامدين والذابلين . . استمد مادة كتابتي من هذا العالم الشاسع الذي ارى بوضوح يوماً بعد يوم ابعاداً جديدة لم اكن بقادرة على الاحاطة بها من قبل . . وكان عملي الصحافي من بعض الجسور التي تصلني بها .

● ما هي اجمل الاشياء التي تحبينها في الحياة ، وما هي اقبح الاشياء التي لا تحبينها ؟
- اجمل الاشياء التي احبها في الحياة ، هي الحياة نفسها التي تستمر بنا او بدوننا ، تفتح صدرها لنا ما دام في اعماقنا جذوة ، وحين نسقط تتابع استمراريتها وتحتضن من يمتلك شهية الصمود .

ترى هل هي مصادفة ان شكسبير ولد في العام نفسه الذي مات فيه مايكل انجلو (عام ١٥٦٤) ؟ ام ان « الحياة » تحب تذكيرنا باستمرار انها تستمر حتى بعد ان نتوقف ولو كنا ذات يوم ملء السمع والبصر ؟ اقبح الاشياء التي لا احبها ليست هي الاشياء القبيحة ، وإنما هي الاشياء الفاترة ، الاشياء التي لا مذاق لها ، الاشياء الهبولية التي ترفض تبني ذاتها الحقيقية .

● والآن . . ما هو طموحك ؟ ما هي امالك ؟ الى اين بعد هذا التشرد كله ؟
- « ما صنعت شيئاً قط بطريق المصادفة . . . وما من اختراع قمت به بطريق المصادفة ، فكل شيء قد حققته بالعمل » . هذا القول الجميل لاديسون يلخص نظرتي إلى الاشياء . .

طموحي ؟

ان اظل مسكونة بشهية الاستمرار رغم البشاعات كلها - وربما بفضلها !! - ان اظل ملتهبة امام الظلم ، قائمة على خدمة ما اراه « الحق » . ان تظل اللغة تشتعل بين اصابعي كما يشتعل قلبي قهراً وحقداً ، وانا ارى المؤامرة مستمرة . . وكل ما حولنا يحاول ان يدفع بنا إلى الصمت في اقفاص الحزن الداجنة ، او إلى الهرب السلبي المتعالي .

اطمح الى ان اظل صرخة ضد التخدير ، وان تظل اعصابي مرهفة ومشدودة كحربة افريقية ، وان اظل اكرر بصدق : كل شيء مظلم ، إذن علينا إعادة اختراع النار من جديد اذا اضطررنا لذلك !

طموحي ؟

ان اظل كاتبة صمود ومواجهة : هذا ما تعلمته في مدرسة الزمن عاماً بعد آخر .
وجرحاً تلو الآخر . . وسأستمر .

فريال ملكو تستجوب

- بيروت نادٍ للعرافة النفسانيين !
- اصير شرسة حين تحاول اشياء الحياة تدجينني .
- معرض الكتاب العربي في بيروت يقام قريباً . وأنت عودتنا الاشتراك فيه بكمية زخمة . ماذا أعددت للموسم الحالي ؟
- أعددت الكثير ، من جديد كتبي وقديما ، وقضيت الشهر الأخير وضربات قلبي تتناغم وايقاع عجالات المطبعة ، لتنجز اصدار الكتب النافذة قبل الموعد المحدد . (لا بحر في بيروت - الطبعة السادسة) - عيناك قدرتي (الطبعة السابعة) - حب (الطبعة السابعة) - ع غ تتفرس (الطبعة الثانية) - الرغبة ينبض كالقلب (الطبعة الثانية) - ليل الغرباء (الطبعة السادسة) - كوايس بيروت (الطبعة الرابعة) . . . وسواها . هذا بعض ما أعددته أنا لمعرض الكتاب العربي في بيروت الذي يقام قريباً . لكن الأجل هو ما يعده لي معرض الكتاب ، وما يقدمه لي ككاتبة وفنانة ، لا كناشرة فحسب .
- ان معرض الكتاب العربي يعد لي في كل عام فرصة مراجعة ذاتية ومواجهة مع ذاتي المنتجة . . . إنها وقفة في براري الصدق بين أشجار العطاء وقحط التقاعس . . .
- حيث احاسب عادة الفنانة : هل انجزت حقاً خلال هذا العام ما كانت تطمح الى انجزه ؟ إنني اتأمل كتبي الكثيرة دونما فخر ، لأن عيني تبحثان باستمرار عن الكتاب الذي لم ينجز بعد . الكتاب الغائب الذي يجب ان يكون الى جانب رفاقه في العام المقبل . بهذا المعنى يقدم معرض الكتاب العربي خدمة (فنية) للأديب الذي لا يتهرب من مواجهة ذاته على ضوء منجزاتها عملياً ، لا على ضوء هالة حب الذات وحدها !!
- تعتبرين عن حق من أغزر الأدبيات العربيات في العالم العربي . كيف يتسنى لك إصدار هذه الكمية المذهلة من الكتب في وقت تعجز الاخريات عن إصدار اكثر من كتاب كل بضع سنوات ؟

- السر بسيط : لقد تعلمت كيف اقول كلمة «لا» . أقولها لكل ما يسرقني من عملي تحت شعار الولاء العائلي أو الولاء للطقوس الاجتماعية أو الولاء للدواعي السلامة ونداء الاسترخاء ورضى الأهل والاصحاب وغير ذلك . .

انا بريء ومتمردة وأصير شرسة حين تحاول (أشياء الحياة) تدجينني ، وأصرخ « لا » وأركض كحصان بري هارب الى شيطان الحقيقة حيث الأصداف أبجدية والأمواج صفحات الأسرار . .

لدي قدرة خارقة على أن أكون وحيدة ، ولست بحاجة الى رؤية صورتي في مرايا عيون الآخرين لاتأكد من انني موجودة ، ولست بحاجة الى سماع صوت يطربني او يؤنبني لاتأكد من انني أحياء . . ذلك كله يجعل قول كلمة « لا » أكثر يسراً ، رغم وحشتي الشرسة احياناً حين اتمدد على ورقة لأنام ، ووسادتي ورقة أخرى ، وألتحف بورقة ثالثة ، وأحلم بقية الليل بأبجدية لم اكتبها !! . . .

● تقول الأدبية كوليت خوري انها تعجز عن طبع كتبها على حسابها ، او عن طريق دار نشر تحمل اسمها نظراً لعدم تمرسها في التجارة ، ولسوء توزيع الكتب في الدول العربية . من هنا أسألك كيف تخطيت هذه العقبات ونجحت في اصدار كتبك عن دار نشر تحمل اسمك ؟

- إنها على حق - والأمـر صعب جداً ، لكنه ليس (مستحيلاً) . وانا ما زلت أناضل لأكرس نجاحي ، ولأستمر .

● في كتاب « غادة السمان بلا اجنحة » تناول غالي شكري سيرتك الأدبية ، او بالاحرى شرح فيك الفكر والقلب والانسان .

هل تعتقدين انه نجح ؟ وهل هنالك انسان او اديب قادر على دخول عالمك الشبيه بالزئبق داخل حرف عربي ؟

- لا يبدو ان الدكتور غالي شكري كان ينوي ان « يشرح الفكر والقلب والانسان » لدي . وهو يتحدث عن كتابه في مقدمته للطبعة الثانية (كانون الاول ١٩٨٠ - دار الطليعة - غادة السمان بلا اجنحة) ، ويقول : هذا الكتاب لم يكن وسيطاً بين الناقد والقارئ من جهة ، ولم يكن قاضياً يحكم ، ولم يكن استاذاً في مدرسة . . . بل كان رؤياً مستقلة لعالم الكاتبة . وهكذا فإن الدكتور شكري ليس معنياً بعالمي إلا من زاوية اسهام هذا العالم في تكوين العمل الفني ، وهو يؤكد « ان الفن حقيقة موضوعية مستقلة عن الذات الخالقة بمجرد ولادتها » ومن هنا نجده لا يطلق حكماً حول ذاتي « الزئبقية

المختفية داخل حرف عربي » على حد تعبيرك الجميل حقاً ، ولكنه معني بإيضاح ملاحي الأدبية في قوله (بالكتاب نفسه - صفحة ١٠) : « إذا كان نجيب محفوظ هو الروائي الكلاسيكي عند جمهور القراء العرب ، فإن غادة السمان هي الروائي الأول عند الأجيال العربية الجديدة » . تريدان وجهة نظري بصدق ؟ اتمنى ان اكون عند حسن ظن الناقد بعالمي الفني ...

● « كوايس بيروت ، كانت حول يوميات الحرب اللبنانية في بدايتها البشعة . هل عشت هذه اليوميات بصورة شخصية ، ام كانت قصصاً وهمية خطتها خيلتك الادبية ؟ - لم تكن قصصاً وهمية ، ولم تكن قصصاً شخصية ... كانت قصصاً فحسب ، فيها من نبض الواقع المعاش وأوجاع الآخرين ورؤيا الفنان وخياله المتدفق من ينابيع أرض الواقع ، كما الغيوم من بعض بحيرات الوطن وبحاره . .

● تكتبين عن دمشق بعشق ، تتذكرين ملاعب طفولتك فيها ، ماذا تقول لك دمشق اليوم ؟ ...

- تظلي تلهمني العمل والكفاح والجرأة والصلابة ...
في دمشق تلقيت دروسي الأولى التي كانت زادي في رحلة الحياة الحلوة والقاسية ، ونشأت على تقدير القيم الأصيلة ، حب الجوهر وبذ القشور ...
وفي اللاذقية مدينة أُمِّي وأخوالي اكتشفت البحر للمرة الأولى ، ذلك الحب الأول والمفترس في حياتي ..

لقد فتحت عيني على صوت والدي الجميل وهو يترنم بأغانيه « بلاد العرب أوطاني » ، و« نحن الشباب لنا الغد » وبقيت تلك الكلمات والانغام محفورة في أعماقي كايقاع لا يهدأ ، وسكنت في اللاوعي الذي يتحول مع الايام الى قناعات واعية صلبة .

● بيروت بالمقابل كانت رفيقة صباك ، ومهد انطلاقتك العملية ، واستقرار حياتك العائلية . كيف تصفين بيروت اليوم بعدما نعق فيها البوم ؟ (ملاحظة : عفواً لكلمة البوم ، لأنه في نظري يختلف عما هو في نظرك) .

- بيروت مدينة خلعت أقنعتها . وفي ذلك تكمن عظمتها ومأساتها في آن . وككل فنان ، أنا مخلوقة تفضل الشر العاري على الفضيلة المزيفة . وأجد في بيروت « ناد للمرأة » النفسانيين ، حيث تتعري الطبيعة البشرية ، فتتحول الى منجم لكاتب القصة يعجز عن مقاومة البقاء فيه أياً كانت المخاطر ..

ملاحظة : (اليوم بريء مما يحدث في بيروت . انه لا يعمل قنصاً ولا يفجر السيارات ولا يتاجر بالاسلحة والارواح)

● في معظم صورك تضحكين . هل انت كذلك ؟ وما أكثر ما يضحكك في الحياة ؟
- أنا مخلوقة مرحة (بطبعي) . أحب الأصدقاء والناس والمناخات الانسانية الودية ،
والنكتة غير العدوانية وغير المؤذية ، وحين أضحك ، أضحك بملء قلبي كله وأشعر
بامتنان للصحبة المؤنسة التي تفتح للضحك نافذة . .

أشعر ان « شريك الضحك » مهم ورائع . . . لكنني لا استطيع ان انفي طاقتي
المروعة على الألم حتى الاختناق . . . وأنا لا أعاني من الاحزان الفردية فحسب ، ولكنني
مثل (ورقة النشاف) ، أمتص مناخ الذين حولي وأحزانهم ، وأعيش كهارب الزمن
المتوحش المحيط بي وألتقطها . .

● في لحظات اليأس غالباً نتمنى الموت ، ونعجز - جنباً - عن الانتحار . هل تمنيت
الموت يوماً ؟

- لا أظن ذلك . . كأن الكتابة لقاح ضد الانتحار لدى البعض . . . كأن اعتيادي
عملية الموت اليومي ومن ثمة الخروج من الرماد جعلتني أرى في مصاعب الحياة جزءاً لا
يتجزأ منها ككل . إن الحزن هو الوجه الآخر لعملة الفرح . . . ويتعاقب اليأس والامل
على القلب البشري كتعاقب الليل والنهار على وجه الكرة الارضية . . . إنني احتضن
الحياة بكل ما فيها ، وأقبل المآسي بالاخلاص ذاته الذي أعانق فيه الافراح . . .

مراسل ألف باء يستجوب

- الشعر اقلاع داخل السر .
 - لا راحة لكاتبة في أعماقها قبيلة
- نساء

● بين القصة والرواية والشعر والصحافة يتألق اسمك الى ايها تشعرين بالارتياح اكثر ؟

- لا راحة لي . اكتب القصة وعيني على الشعر وقلبي على الصحافة . والرواية تتطلب جهدا كبيرا وشاقا لكنها تمنحك فيما بعد ذلك الشعور العميق بالانجاز وتلك الصلابة النفسية الهادئة التي ترافق عادة ، كل عمل مرهق تكرر ذاتك له لانك قانع به . وهذا يرضي المرأة المفرطة الجدية التي تقطن في اعماقي بسرية تامة .

بالمقابل تأتي الصحافة بنبضها اليومي ودفقها الحار وعناقها المباشر لعالم الآخرين وهمومهم وتسعد بها امرأة اخرى تسكنني . . امرأة الفضول والحيوية والدفع في احتواء اشياء الحياة الصغيرة العابرة التي تصنع مادة التاريخ ببساطة متناهية .

ويأتي الشعر . . . ذلك العناق مع العناصر . . . ذلك الفرح المائي النضر الثر .

ذلك الاقلاع داخل السر . . . وتأتي المرأة الثالثة التي تكون جزءا كبيرا من حقيقي فتركض صوب غاباته الكثيفة بيدين لا تمسكان بغير الدهشة . .

حينها تكون الكاتبة مجموعة من النساء يلهث القلب امام مباحج الفكر والفن وينابيعه المتعددة ويحار . . لا راحة لكاتبة في اعماقها قبيلة نساء . . . ولكن ،

حينها يغربل القلب كورس الاصوات المتصاعدة من قاعة ، احس بان اغلى الاصوات في كهوفي هو نداء العمل الدؤوب الشاق في مملكة الرواية . . ويخيل الي ان الغلبة ستكون ذات يوم لامرأة الرواية . . كأن الرواية حقيقي الاولى . . . والصحافة حكاية حب عابرة .

● ثمة خيط واحد يربط معظم اعمالك الادبية احساس المرأة الشرقية بالاضطهاد ودعوتك لها بالثورة والتغيير . على اي اساس بنيت هذا الهاجس ؟

- هذا خيط في جديلة . . انه (بعض من كل) . . . والجديلة التي تربط معظم اعمالنا هي دعوتي للمواطن العربي الى التغيير والثورة على واقع مروع . . الاضطهاد واقع على الفرد العربي والمرأة من بعضه . وقوفي الى جانب المرأة العربية مشابه لوقوفي الى جانب العمال والفلاحين والمسحوقين اي الكادحين جميعا . . . والمرأة كادحة (اعني الاكثرية الساحقة من النساء العربيات) والظلم الذي تتعرض له مركب . . فهي مظلومة اولاً كمواطنة وثانياً كأثني في (بعض الاقطار العربية) .

وهكذا فان دعوتي للمرأة . . . بالثورة والتغيير ليست دعوة في الفراغ وانما هي صرخة منبهة من وعيي الحاد بجذور المشكلة اجتماعياً وتاريخياً . . ومن هنا فأنا أؤمن بانه لا خلاص للمرأة العربية خارج خلاص الانسان العربي ككل وضمن هذا الاطار يمكن ان يكون كفاحها مجدياً .

● في الوضع المأساوي الدائم في اعمالك الادبية . . كأن يأساً ما من كل شيء يحرك قلمك فيه . . لماذا ؟

- ما دام قلبي (يتحرك) فهذا نفي لحالة (اليأس من كل شيء) . ثمة فارق بين ان تكون يائساً من كل شيء حتى الصمت والتحول الى تمثال حجري ، وبين ان تعي الواقع بكل مآسيه وابعاده كخطوة ضرورية في درب اصلاح الاشياء . . . انا من النوع الذي لا يشيح بوجهه عن الجرح . ولا احب الذين يدعون ان الوطن العربي بالف خير . وانه ليس بالامكان ابداع مما كان . . واذا لم نعتزف بالداء لا سبيل الى علاجه . . . وهكذا (فالمأساة) في قصصي ليست حتمية قدرية وانما تنبع عن وضع ممكن

التبديل وانا اقف في صف امثالي الذين يحملون بالتغيير وينجحون في ذلك غالباً !!

● بطلتك معظم الاحيان امرأة شرقية . . مع ما في هذا اللقب من تقاليد اسروية واجتماعية . . وقيود . . كيف لهذه البطلة ان تتحرر لتصبح على شاكلة كاتبها ؟

- المطلوب لمسة جنون . لمسة صدق . لمسة تحد . ان الصدق لم يقتل احداً ، انه مبرك احياناً ويحلب المتاعب لكن تزييف الذات يؤدي صاحبه في المدى البعيد ، اكثر مما يؤديه الصدق حتى النهاية .

الاهم العمل فالمرأة العاملة تعي مدلول الحرية كعملة وجهها الآخر المسؤولية . لا توجد حرية في المطلق . للحرية ايضاً تقاليداً وقيوداً لكنها تقاليد انسانية تشارك في

صنعها واختيارها لتنظيم مجتمعا وليست من فئة بعض التقاليد المتوارثة التي ذهب عصرها ومبررات وجودها وورثتها على جسد ايماننا كالثوب الضيق الذي يحول بيننا وبين حرية الحركة والركض في الاتجاهات كلها .

أنا لا اتحدث عن حرية فضفاضة غائمة . اتحدث عن حرية مرتبطة بحاجات الوطن والمجتمع ، تحرر طاقات المرأة المقموعة بدل ان تدمرها بالكبت او بالانفلات .

لست حرة بالمعنى المطلق . كل ما في الامر هو اني اختار قيودي باتقان !

● هواجس ثلاثة تتأقلم داخل انتاجك بصورة مستمرة : الحزن . الموت . المجهول .

هل هي هواجس خاصة بك . . ام هي هواجس الابداع الادبي ككل ؟

- لو كانت هواجس (خاصة) بي لقتلتها واسترحت . الحزن . الموت . المجهول . . . لا

تستطيع ان تجد كتابا مبدعا لا يمشي على حافتها او لوحة خلاقة او سيمفونية لا تعيها . . .

لكنني ضد مدرسة « الحزن للحزن » وضد مدرسة « ما دنا سنموت فلنبدا بالبكاء منذ الآن » . . وضد مدرسة « المجهول مخيف وملعون » .

وبالحب نقاوم ، واعني الحب بمعناه الشامل : حب الآخرين . والانتماء الى

الوطن . حب المحبوب طبعاً . المهم عدم الغاء اي عنصر حقيقي من عناصر الحب خوفاً من (التقاليد) او سوء الفهم . . .

الحب موقف شمولي من الاشياء ، من الارض ، من الناس ، من الطبيعة ، ومن

الجسد ، بالحب المتكامل وحده نستطيع ان نحارب تنين الظلمات . . بالحب الخالي من العقد - قدر الامكان - .

في اعمالنا اقرار بالحزن . والموت . والمجهول . ومن ينكرها هو كمن ينكر الليل والشتاء وموت الورد . . ولكن بالمقابل في اعمالنا تنبيه كثيف الى حرارة القلب ودفع العطاء وروعة الالتصاق بالصدق الداخلي . . وتلك كلها دروع القلب الانساني العاري الذي يواجه قدره المدجج بالكوارث !

● ثمة مأزق دائم يقع فيه ابطال قصصك او نفق مسدود يكبلهم بالاحداث فلا يستطيعون النجاة او الخروج الى الافق . . لماذا تدفعين بهم الى هذا المصير ؟

- في الحياة الحقيقية لا نستطيع نشر شبكة تحفظ البطل اذا سقط عن حبال دربه كما يفعلون في السيرك . . .

في الأدب أيضاً لا نستطيع أن نفتعل ذلك . . المأزق يعكس المرحلة التي يمر بها الفرد العربي . . النفق اشارة الى تأزم الاشياء . ولكن الافق موجود في قصصي . الذين

يحترقون بمصباح القدر هم الذين اندفعوا في درب احوال التنبيه الى خطورتها . . .
وبعض ابطالي يكتشفون درب السلامة كما حدث لاحد ابطال رواية « بيروت ٧٥ »
واسمه مصطفى . . . (الذي كان يعمل صيادا) . .

انني لا افتعل مجزرة . وقصصي ليست محرقة جماعية . . لكنني لا استطيع ايضاً
تجاهل الالغام المزروعة في تربتنا السياسية والقومية والانسانية . . واذا داس احد ابطالي
على لغم فلا بد له من ان ينفجر به . . انني لا استطيع ان ازيغ الفن بحجة التفاؤل
لكنني بالمقابل أستطيع ان ادل على مواطن للتفاؤل غير وهمية وموجودة في تربتنا
العربية . انني احاول تنمية بذور الامل ورعايتها لكنني سأظل اشير الى الذين يحرمونها
من الماء عمدا او دوغما قصد . ثمة خطيئة لا تروق لي : تزييف الفن لضرورات موهومة
فالفن المزيف لا يمكن له في النهاية ان يخدم قضية . .

● انت الآن قد ترسخت اقدامك جيداً في عالم الادب . . . هل حققت كل
طموحك . . . ام الى ماذا تطمحين بعد ؟

- لم احقق طموحي كله . . ما زلت اشتعل توقاً لكتابة عمل أجهل ماهيته . ما زال يقطنني
ذلك القلق المتوهج الموجه والشعور بانني لم استنفد حاجتي الى العطاء بعد . . .

عقل العويط يستجوب

● انظر باعجاب الى صمت بعض

كبار ادباء الستينات

● أهوال « السباحة في بحيرة

الشیطان » أهون من السباحة في

مجرة .

غادة السمان احدى نجوم الادب العربي الحديث ، ذهبت في حقول الجرة التعبيرية والتجربة الحية الى حدود ربما لم يبلغها من أقرانها وقريناتها منذ الستينات الى اليوم الا القلائل . وقد تحدت بكتابتها وشخصيتها تقاليد وعادات تراجع أحياناً كثيرة عن التصدي لها غلاة الأدباء « الثوريين » في مجتمعاتنا .

ومع غادة السمان التي تستعد لاصدار طبعة جديدة من روايتها « بيروت ٧٥ » يحلو التحدث دائماً . وحديثها ، بكل ادبها ، له نكهة الدهشة الشعرية ، وجمال الاصاله . وقد استقبلت مندوب « النهار العربي والدولي » واجابت عن اسئلته في الحوار التالي :

● فورة الادب النسائي التي عرفناها في مرحلة الستينات ما لبثت ان خمدت ابان الحرب او ما قبلها . فاسماء عديدة من الحركة الادبية النسائية اختفت ، ومعظم اللواتي واصلن الكتابة لم يستطعن ان يتواصلن ابداعياً باستثناء اسماء قليلة . كيف تنظرين الى ظاهرة التراجع هذه ، وما اسبابها ؟ .

- انظر اليها باعجاب ، وارى فيها ظاهرة حيوية ! فظاهرة التوقف عن الكتابة من قبل بعض مبدعي الستينات ليست ظاهرة « نسائية » فقط بل « رجالية » ايضاً ، ومقابل كل مبدعة « انثى » توقفت ، استطيع ان اذكر لك اسم مبدع « ذكر » . ومقابل كل مستمرة فاشلة في « التواصل » و« الابداع » ، تحضرني عشرات الاسماء الرجالية في هذا المجال . . . ولما كنت لا اميل الى التفسير « الجنسي » لتاريخ الادب ، ويصعب توريطي في فنح رؤيا شوفينية للاشياء ، دعني اكتب الامر بلغتي : الصمت ظاهرة انسانية لدى

المبدع العربي تستحق الرصد . وليس في وسعنا تطويق هذه الظاهرة الخطرة داخل سور له شكل دائرة هو تاء التأنيث ، تمهيداً لعزلها عن التيارات والاحداث السياسية والاجتماعية والبوليسية والفكرية القمعية التي تهاجم شاطئ الابداع العربي منذ الستينات حتى اليوم ، وتروح وتجيء مدأً وجزراً واعصاراً وزلزالا (متعدد الجنسيات) . . . ليتها حقاً مجرد ظاهرة تراجع « النسل الابداعي النسائي » بسبب كثرة « التناسل العائلي » ، وليته « القمع الزوجي » المدمج بشارين وعضلات مفتولة ، وليته الكسل الانثوي في احضان نخل الثاؤب الصباحي ، وحرير الوجاهة الاجتماعية . . . لكن الظاهرة تتسع لتطال جيلا من المبدعين الذين قلما عوضتنا عنهم سنوات السبعينات وبدايات الثمانينات ، وكان لصمتهم وقرفهم وحزنهم واحتجاجهم الاخرس نتائج تطال الادب العربي باكملة . .

اتحدث هنا عن المبدع (ذكراً كان ، ام انثى بفعل مصادفة بيولوجية ما) ، ذلك الذي تفجر في الستينات ، واعلن علينا الصمت اواخر السبعينات وفي الثمانينات . . . (لا اتحدث عن الحالات الفردية العادية التي تواجهها في كل مكان وزمان ، عن نصف موهوب وجد نصفه الآخر في التجارة او الوجاهة او الثراء فكف عن الكتابة ، او عن الابداء الموسمين الذين يسقطون ثوراتهم على الشعر ريشاً يحققونها عملياً ، او عن العشاق المتأزمين ريشاً يتزوجون الوحي ويطلقون الشعر ، وغير ذلك من حالات « اللاكتابة » الشائعة) ، اتحدث عن ظاهرة « تعقيم » خطيرة تطال المبدع العربي عامة في مختلف الحقول من علمية وفكرية وتتجلى بوضوح في قطاع الادب ، لا عن ظاهرة « تراجع نسائية » جزئية . تسألني عن الاسباب ؟ . . . الاجابة ممكنة بكلمة واحدة : القمع . وممكنة ايضاً في مجلدات عدة ، ترسم الاشكال المختلفة لهذا القمع السلطوي اولا ، ثم القمع المتبادل بين ابناء المهنة الواحدة ، بحيث يتنفي التنوع في الآراء والتعدد في المواقف ويصير « خائناً » كل من له ابجدية فكرية تختلف عن ابجديتي . وبدلاً من تضامن الابداء في وجه القمع - حتى الجسدي - لبعض العاملين في هذا الحقل ، نجد بعضهم ينافس المؤسسات البوليسية في ابتكار اساليب الحد من ممارسة حرية الرأي . . . وهناك الرقيب الداخلي الذي صار يقطن الفنان ويمد يده الى اوراقه ويريق الخبر على اصدقها وانبل ما فيها ، ويشطب له بالقلم العريض بقايا صراحته المكتوبة بخط نحيل مرتجف . . كأن الفنان صار مصاباً بداء باركنسون ، يكتب مرتجفاً خائفاً من ان يقرأ بنفسه ما كتب ، وقد رأى العبرة في غيره فاعتبر . . . صارت

السباحة في بحيرة الشيطان اقل اهوالا من السباحة في بحيرة . . . وختم المبدع موهبته بالشمع الاحمر ، وكلما جاءته الافكار من عبقر الحرية كتب عليها « مرتجع مع الشكر » ، كي لا يشوهها حين يضطر لكتابتها بصورة لا تغضب الجميع . . . اننا نختنق عامماً بعد آخر ، واوكسجين الابداع الملقب بالحرية يتناقص في الفضاء العربي ، وحروفنا تصاب بفقر الدم الابداعي وهي المحرومة من الشمس والعدالة ، المرصودة للتدجين مثل احصنة السيرك التي تدميها لسعات السوط واوجاع اللجام لكنها لم تنس بعد يومياتها كاحصنة برية راكضة في براري المعرفة وغابات السر .

نعم . انظر الى صمت بعض كبار ادباء الستينات باعجاب ، وأرى فيه ظاهرة حيوية رافضة للتكيف مع زمن مريض . . .

. . . واعرف جيداً طعم هذا الصمت فهو يراودني من آن الى آخر . ذلك الخلق التدميري . . . فعل الكلمة واعدامها في اللحظة ذاتها . خلق طفل وخنقه لحظة شهقة الحياة الاولى كي لا يؤخذ اسيراً ويضاف الى سبايا الكلمة . .

لا تسألوا المبدع العربي لماذا لا يكتب ، بل اطرحوا السؤال على المستمرين : لماذا تكتبون ؟!

● نلاحظ انك ربما تكونين وحدك بين الأدبيات التي تناولت الحرب في مرارتها ورعبها في كتابك « كوايس بيروت » ، بينما غابت غالبية الأدبيات عن الحرب ، ولم يكن في حجمها . ما سبب هذا الغياب الادبي النسائي ؟

- لم تغب المرأة الادبية عن الحرب (ها انت تجرني الى فخ الدفاع عن المرأة !) ، ولكن الحقيقة الموضوعية يجب ان تقال ، وقد كتبت الادبيات اعمالاً متفاوتة الجودة في هذا المجال كما يحدث للادباء جميعاً . وانت تعبر عن رأي شخصي غير نهائي حين تقرر ان هذه الاعمال لم تكن « في حجم الحرب » على حد تعبيرك . . . وتلك قضية نقدية مفتوحة للمناقشة . لكن سؤالك بمجمله يحرك اكثر من تساؤل ادبي ، ومن نوع مختلف عن نموذج « هل كان الادب الذي كتبه المذكور عن الحرب في حجم الحرب ايضاً ؟ » ، كأن نتساءل باخلاص : هل في وسعنا نحن الذين يعاصرون الحرب مقصوفين مذعورين مهجرين ان نحيط بابعادها في عمل ادبي كبير ملحمي الروح شاسع الرؤيا والحنان ؟ وهل نكتب عن الحرب بشكل افضل لاننا في محرق النار ، ام ان الوهج يعمي عيوننا البشرية مهما كانت طاقتنا الابداعية ؟ هل الفنان - في المطلق - بحاجة الى مسافة زمنية

بينه وبين الحدث الساخن ، ام ثمة « انماط » من الموهبة لا تتأجج الا داخل فرن التاريخ لتبدع وتحترق في آن معاً ؟ واذا كان الفنان - في المطلق - بحاجة الى الابتعاد عن موضوع كتابته ليراه بعين القلب والعقل معاً ، فما قيمة ما نكتبه الآن ، ما دام محكوماً بالاعدام قبل ولادته ؟ ام ان كتاباتنا « الآنية » ضرورية لتشكيل خلفية حضارية وابداعية ترفد اديباً كبيراً لما يلد ، سيأتي ويصوغها من مادة خام الى ملحمة أمة ، كما وجد شكسبير ذات يوم اداة الـ « بلانك فيرس - الشعر الحر » ، جاهزة بعدما شذبهها له المبدع شبه المنسي في ظل شكسبير : كريستوفر مارلو ؟ هل العمل الفني في جوهره « عمل جماعي » ، وكل مبدع يضيف سطرأً ويضيء حرفاً ؟ ...

● يلاحظ في كتبك الاخيرة الصادرة في سلسلة « الاعمال غير الكاملة » انك تتراجعين عن خطك الذي رسمته في بدايات اعمالك . الخط الرفضي الذي اعلنته في « لا بحر في بيروت » و« ليل الغرباء » و« رحيل المرافئ القديمة » . فكتبك الاخيرة تظهر غير ذلك الوجه الذي عرفناه . اين غادة السمان الاولى الراضية المتمردة القلقة النزقة ؟ اين اصبحت ؟

- « الاعمال غير الكاملة » كتب معظمها في المرحلة نفسها التي كتبت فيها « لا بحر في بيروت » و« ليل الغرباء » و« رحيل المرافئ القديمة » ، كما تبدل على ذلك تواريخ كتابتها ونشرها المثبتة مع كل نص تجريبي وقصة ومقالة وتحقيق وخاطرة ، وهي بالتالي لا تمثل مراحلها الاخيرة سلباً او ايجاباً . . . ولكنها دوغما شك تمثل وجوهي الاخرى المعروفة بصورة اقل للقارئ والناقد . . . « الاعمال غير الكاملة » تضم جذور اعمالها ، وترسم حقيقتي الباردة ، المسكونة بشهية المعرفة . وتكمل توضيح صورتي كفنانة : فانا كاتبة مغامرة ، لا اغامر بالجنون وحده ، لكنني اغامر بالعقل ايضاً . لا اغامر بالرفض وحده ، لكنني اغامر بالقبول . اجرّب النار والثلج معاً والاشياء الفاترة ايضاً ، واضحي بكل شيء من اجل لحظة حقيقة ويقين .

اني ادخل مغامرة الرفض ومغامرة التعقل . اجرّب الرفض والرفض المضاد . الرفض للرفض ارفضه ، والتأزم للتأزم فاطر كالهمود . واذا كان اسمي مرتبطاً بالرفض والتمرد ، فان « الاعمال غير الكاملة » تساهم في رسم خلفيات ذلك القلق النزق وتوضح انه لم يكن يوماً من غمط « التمرد المجاني الفضفاض » . واني متمردة حتى على التمرد ، اذا اراد البعض سجنني في قالب صورة منحطة متحجرة لأثنى منبوشة الشعر . انا انسانية لامست الموت ، تفتش عن الحرية والحقيقة والخلاص ، تحترم

ضرورة الجوع بقدر ما تحترم ضرورة الشعر ، وكتابي « الرغبة ينبض كالقلب » يعبر عن وعي الضرورة الاولى ، بقدر ما يعبر « عينك قدرتي » عن الضرورة الثانية .

وكما ذكرت في مقدمة الاعمال غير الكاملة : « ... هي جزء من ماضي الكتابي ، وهي ككل ماض ، لا يمكن الغاؤه ، كما لا يمكن تبنيه كلية » . ربما كان من الافضل نشر « الاعمال غير الكاملة » بعد موتي ، ولكنها احترقت في الحرب اللبنانية (الاولى) ، فطاردت قصاصاتها الصحافية العتيقة في ارشيفات المجلات والصحف واعدت للملحة معظمها ، ونشرتها لأنني كما ذكرت « لا اريد لها ان تحترق » . واليوم اتساءل ، هل كان الخوف من الحريق وحده الدافع الاوحد لنشرها ؟ ام انني احسست بالحاجة الى اعلان حقيقي كامل ، وجهي العاقل كما وجهي المجنون ، ووجهي الحائر كما وجهي المتيقن من التمرد ؟ لن أدري ابدا . واكرر : الكلمة كالرصاصة ، لا تسترد بعد اطلاقها ، وكالخطيئة لا يمكن محو اثمها بعد ارتكابها ، ولانني اهوى الرصد البارد للمشاعر الملتهبة ، لاحظت بدهشة ان الصحافيين استقبلوا « الاعمال غير الكاملة » بشيء من الاستخفاف لمجرد انها في معظمها مقالات صحافية . لماذا الصحافي هو اكثر الناس احتقاراً للصحافة في بلدنا ؟ ولماذا تتحكم بافكارنا النقدية نظريات متوارثة من القرن التاسع عشر عن عزلة الانماط الادبية ؟ . عزلة مكرسة مقدسة نهائية ، فالقصة في قفص ، والشعر له قفصه ، والصحافة في زنزانها الادنى منزلة . اني مثلاً معجبة بتيار ادبي جديد في اميركا حيث تمتزج الرواية والصحافة ، اي الخيال والواقع في نسيج ابداعي كتابي حي ، له مذاق جديد ومن السابق لاوانه الحكم نهائياً بفشلته وهو قد يكون الادب المستقبلي . . . فلماذا نخشى نحن من التجريب ؟ . انا بنت عصري ، ابتكر قالبي الجديد التجريبي رغم احتمال الفشل . . . ملحوظة اخرى : انني اجد في اقبال الناس على شراء كتاب ، مؤشراً له دلالة معينة . وقد كان اقبال الناس على « الاعمال غير الكاملة » موازياً لاقبالهم على كتبي الاولى . لا احاول ان اجعل من اهتمام الناس معادلاً موضوعياً للنقد الادبي ، لكنني اقول ان رصد لهفة القراء ضرورة ، لانها تعبر جزئياً عن مناخ العصر وتساهم في تجديد بوصلة الاديب . هذا عن « الاعمال غير الكاملة » ، لكن اهتمامك لا يزال قائماً ، يطال اعمال الروائية ما بعد مرحلة « رحيل المرافء القديمة » ، ولست الوحيد الذي يفضلني في اعمال الاولى ، ولكن في المقابل ثمة نقاد « يلغون » اعمال الاولى حين يدرسوني ، ويصنفونها « ادباً نسائياً » ويعتبروني بدأت في « رحيل المرافء القديمة » ونضجت في اعمال اللاحقة

الروائية امثال « بيروت ٧٥ » و« كوابيس بيروت » . . . ثمة مؤثر آخر قد تكون له دلالة ، وهو قضية الترجمة . لقد لاحظت ان اعمال المستشرقين منصبة على كتيبي الاخيرة ، والترجمات تفضلها على اعمالى الاولى (القصص القصيرة) ، فلماذا ؟

انا كاتبة منفردة ووحيدة مثل فارس قديم دون كيشوتي ، لم انتسب يوماً الى حزب يدعمني ، او مؤسسة نسائية تتباني ، او تكتل ثقافي يروج لاعمالى ، ويزكيها للترجمة ، كما يحدث في عصرنا . اعمالى كلها التي تترجم حالياً الى لغات اخرى يتم اختيارها بفعل مبادرات ذاتية من شخص المترجمة او المترجم الذي لم التّق به يوماً (باستثناء بعض قصصي القصيرة التي ترجمت ضمن مختارات من الادب السوري بتزكية من اتحاد الادباء العرب) . « كوابيس بيروت » مثلاً ، تترجم الى البولونية على يدي مستشرقة لم التّق بها يوماً ولم تزكني لها دولة او مؤسسة ، وهي تعمل على الترجمة لانها احبت الكتاب . الكلام نفسه ينطبق على المستشرقة التي اختارته ليرجم الى الالمانية ورشحته وزكته لدى المؤسسات الاعلامية في المانيا الغربية . وهي ايضاً باحثة لما تنح الي فرصة معرفتها على الصعيد الشخصي . روايتي « بيروت ٧٥ » ، ترجمتها الى الفرنسية الهام غالي الطالبة المصرية (باشراف المستشرق جاك بيرك) ، ولما التّق بها يوماً او اقدم لها او لسواها كتابي لهذا الغرض . اذن ، مرحلة ما بعد « رحيل المرافىء القديمة » تلقى اهتماماً نقدياً جاداً (كتاب الدكتور غالي شكري النقدي عن اعمالى : « غادة السمان بلا اجنحة » - كتاب الناقد نبيل سليمان : الرواية السورية ٦٧ - ٧٧ - الطبعة الاولى ١٩٨٢ ، الذي يعتبر رواية « كوابيس بيروت » تجديداً في الرواية العربية من حيث الشكل الروائي) .

باختصار ، لا يوجد اجماع على « اعدامي » اعتباراً من مرحلة « رحيل المرافىء القديمة » ، انما توجد وجهات نظر واتهامات احياناً . . . فبعض النقاد يأخذون علي انني صرت في الاعوام الاخيرة من الكتاب العرب الاكثر مبيعاً ، معتبرين ذلك دليل سهولة في بعض اعمالى الاخيرة (القابلة للانتشار) . هذا الواقع ليس تهمة ولا مديحاً ، إنما مجرد وصف لحقيقة علينا ان نتمهل زمناً ما قبل تفسير مدلولها . نعم انا رافضة ومتمردة وقلقة ، ولكن هذه الصفات لا تكفي للتخصيص . انني « شيء آخر » ايضاً .

● بعد مرحلة من التمرد والثورة خضبتها انت تحريراً للمرأة العربية من نومها ونعاسها وعبوديتها ، اين تعتقدين اصبحت هذه المرأة اليوم من خلال تجربتك أنت ، وماذا

استطاعت مرحلة التمرد والثورة تلك ان تفيد المرأة بشكل عام ؟ هل تحررت المرأة حقاً ؟

- ثمة وهم نقدي شائع مفاده ان المحرك الأساسي للمرأة الكاتبة هو قضية تحرير المرأة . ربما كان ذلك صحيحاً في البدايات منذ نصف قرن وما قبل ، وربما كان ينطبق على بعض اعمال زميلات احترامهن ، لكنني اكذب اذا ادعيت يوماً انني كتبت كوسيلة « غير مسلحة » اخوض بها معركة « تحرير المرأة » . . . فأنا فنانة اولاً ، ولست مصلحة اجتماعية ، ولا تكمن في اعماقي « فلورنس نايتنغيل » وشهواتها السامية للفداء ، ولا « روزا لوكسمبرغ » المنظرة العقائدية . انا كاتبة منحازة الى الحرية ، احاول ان القي نظرة على عالمنا لا تخلو من الحنان .

نعم دافعت عن المرأة في كتاباتي ، لكنني دافعت عن المقهورين جميعاً ووقفت الى جانبها ضمن هذا الاطار ، وكجزء من كل .

لقد دافعت عن الفقراء والثوريين والمجانين والحشاشين والطبيعة والشجرة والنملة والاسرار والتقمص وسكان الكواكب الاخرى والسحرة والصيادين والعشائر والقبائل الرحل والمجرمين والعشاق والزنوج . فلماذا لا ادافع عن المرأة ايضاً ؟

وحيثما اكتب عن المرأة ، افعل ذلك ضمن اطار انحيازي الى الحرية والمحبة والحنان امام اخطأ الحياة كلها من نباتية وحيوانية وانسانية . وارى ان من واجب كل فنان صادق مع نفسه ان يقف مع المقهورين دونما استثناء بما في ذلك المرأة . . . اي ان مهمة « تحرير المرأة » ليست مهمة نسائية ، بل مهمة رجالية اولاً . يدهشني ان الادباء العرب بوجه عام يدافعون عن الكادحين جميعاً والمقهورين حتى في نيكاراغوا وفيتنام ويتصلون من الدفاع عن المرأة ، كادحة الكادحين في الطبقات الرثة . . . لماذا الوقوف الى جانب معذبي الأرض جميعاً بطولة تستحق الاوسمة والجوائز العالمية ، والدفاع عن المرأة يتطلب من الاديب دفاعاً عن نفسه ونصه اولاً ؟ لماذا الوقوف الى جانب الفلاح والعامل قضية لا يجوز ان يخلو منها الادب الثوري الانساني ، والدفاع عن المرأة قضية نسائية تخص الادبيات ؟

باختصار أرى ان مهمة تحرير المرأة تقع على عاتق الرجل ، وهي جزء لا يتجزأ من مهمات « الثوري » المعلنه اذا كان صادقاً مع نفسه حتى النهاية .
دوماً يسألني الناس وفي اصواتهم لذعة سخرية وشماتة : هل نجحت في تحرير المرأة ؟.

وكيف ننجح في تحريرها ، والانسان العربي غير حر ؟ وكيف نفصل قضية المرأة عن مأساة الرجل العربي مع الحرية ، وكيف نعزل مشكلتها عن المشكلة الأم الشاملة : تحرير الانسان العربي ؟ لن تنال المرأة قضية من رغيف الحرية اذا لم يكن ذلك الرغيف متوافراً للمجتمع بأكمله ، والمحاولات الساذجة لفصل قضية المرأة عن جذورها الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية والدينية ستظل استعراضات حسنة النية لا تجدي .

ثمة انظمة ثورية عربية تبذل جهداً واعياً لتحسين اوضاع المرأة ضمن اطار تحرير الكادحين والمعذبين جميعاً . لكن قضية المرأة اكثر تعقيداً . وحتى اشعار آخر اجيبك باختصار : لا ، لم تتحرر المرأة العربية ، ولا الرجل ايضاً ! .

لقد علمني الزمن الكشف في الأحلام ، وأرى الدرب طويلة جداً أمامنا جميعاً . وكلنا ساقط في فخ استلاب ما . نخطو قليلاً ونتخبط كثيراً . التناقض مع الذات يفتك بمعظم « الادب الثوري » ، حيث يدافع الاديب عن اخيه الكادح الانسان اينما كان في مختلف القارات ، ويضرب اخته الكادحة المقيمة في البيت !! . . . كيف يستطيع الفنان ان يكون « عنصرياً » في عدالته ؟ . . . ولماذا التحدث عن العامل أدب انساني ، والتحدث عن العاملة « ادب نسائي » ؟ هل يوجد « كدح نسائي » ام ان القهر واحد والعذاب واحد ؟ ولماذا نتبنى مقموعاً دون آخر ؟

● تجمعين في كتاباتك عن الحب بين اتجاهين : الاتجاه الشهواني والاتجاه الروحي او الماورائي ، دون ان يدخل فعل الحب هذا في معادلات اللغة والنحو ، بل يبقى موقفاً تعبرين من خلاله عن هاتين النزعتين في تصور واع . . اي انك بمعنى آخر امرأة لا تكتفي بالحب لذاته ، بقدر ما تتكامل في ما يسبق الحب او ما يرافقه او ما يليه من لذة وفرح وتحرر وتحقق . انت عاشقة لا تتخلي ابداً عن وعيها الروائي وتغيب في الذات الداخلية .

هكذا نقرأك ، وهكذا ننظر الى صورة غادة السمان العاشقة التي لا تهادن .

كيف تنظرين الى ثنائية الشهوة والروح المتفاعلة في كتاباتك ؟

- هذه الثنائية تربكني احياناً ، فأنا لا ادري حقاً اين تنتهي الشهوة وتبدأ الروح ، وارى التداخل بينهما وحشي الالتحام كما يمتد لسان البحر اللامتناهي ، عبر الشاطئ ، نحو ثنايا المغاور كلها وحنايا الصخور والاعشاب البحرية ، وسط شهقات الريح الليلية وانفاس الامواج المحمومة . وانت قد ترسم (خارطة الشاطئ) لكنك تعجز عن رسم (حقيقة) الشاطئ . . .

لن اعرف ابداً اين تقع حدود كوكب الجسد ، واين ارسم الخط البياني لمدارات الروح الفضائية . لا خط حدود بينها ، ولا تأشيريات دخول او خروج ، لا مخفر جمر كياً ينبش حقائب ذاكرتك وبصادر الممنوعات الاجتماعية التي تحملها من شهوات وأكاذيب صغيرة ولهفات غامضة شاسعة .

اليس الالتصاق بكائن مذعور آخر محاولة لكسر جدار الغربة ؟
الا يتسلل كل منا تحت جلد صاحبه بحثاً عن لحظة خلود صغيرة ، هرباً من الموت المحتوم ؟

ام ان تلك « الكلمات الكبيرة » كلها ، مجرد اقنعة ثقافية « روحانية » لشهوات بسيطة لا تقاوم بغير الاستسلام .

وثنائية التلاحم تلك ، كيف تحديق فيها بحياد ، وانت منحاز حتى العظم لذلك الجنون العذب ؟

ولأنه من غير « المستحب » ان تتحدث الكاتبة في مجتمعاتنا عن التنويرات والتقسيم المختلفة على عود الحب الشهواني الجسدي ، ولأنني لا أستطيع تزوير الطبيعة البشرية ، ولأن هذه « الامور » وسواها تقع حتى في مجتمعا العربي « المحافظ » ، أجدي دوماً « محشورة » في زاوية الدفاع عن النفس ، متهمة بجريمة افخر بارتكابها ، رافضة مذهب الرياء المنافق ، معلنة اني لن أوكد في كتاباتي ان الاطفال ما زالوا يأتون داخل « الملفوفة » او بين مناقير البط والبجع هدية زواج ، وان علاقة الحب بين العزيزين نيشان وفرح - من ابطال روايتي « بيروت ٧٥ » - قضية لم اخترعها انا شخصياً انما وجدتني حولي وسواها يوم ولدت ، وذنبى الوحيد انني لا اشيح بنظراتي عنها متجاهلة اياها في كتاباتي .

وتهون المشكلة مع « تعقيدات » المجتمع ، أمام غموض ثنائية الحب الراعشة بالأسرار ، الكاشفة لبعض مفاتيح النفس البشرية المعذبة .

أحياناً اتساءل : هل ثمة ثنائية على الاطلاق ؟ هل يمكن اي فنان تحديد النسب المثوية لها في كل علاقة ، مثل عالم يرصد فتران اختباره داخل النواقيس الشفافة والأنايب ؟

متى يصير الفراش مختبراً ، ومتى يصير كوكباً ؟
ككاتب ، متى ترصد حقاً فعل الحب ، ومتى تتحول الى شحاذ اعمى في ملكوته ؟ ...

ماذا تملك لك اللغة امام فصول الحب المتداخلة المتبدلة آلاف السنوات الضوئية في كل ثانية عشق كثيفة ؟ .

كيف تدخل بلاط الحب فاتحاً جباراً مثل هولاءكو ، ثم تجد نفسك تهذي مثل هاملت وتتن غيرة مثل عطيل ، وتحقد مثل شايلوك وتدمر مثل ياغو ، وتعوي حزناً على بوابات الليل العاصف مثل الملك لير ، وتستكين مدهوشاً مثل طفل في دوامة مدينة الألعاب ؟

مع الحب لن انجح يوماً في حقل التنظير . . . امام نوافذه التي تنفتح على نوافذ ، وصناديقه المحشوة بالصناديق كل منها داخل الآخر ، تنفتح الحواس كل مرة على دنيا مختلفة الألوان والروائح والمذاق والمباهج والعذابات . مع الحب ، الحزن هو المنتصر الاول ، لا الفن !

● قلما ارتفع صوت نسائي حيال الاجتياح الاسرائيلي لبيروت . اين كانت عادة السمان من هذا الاجتياح ، ومن بيروت اليوم وغداً ؟
- من اي جرح ابدأ ؟

ليت في وسعي ان اقول لك ان المرأة لم تصنع هذه الحرب ولم تقا تل ولم تكن في موقع صنع القرار ، ولم يسألها احد يوماً عن رأيها ولم ينصت مرة الى صوتها اذا ارتفع ، فلماذا تفتش عن صوتها الآن في معرض التشهير ؟

ليت المأساة ضيقة لا تتجاوز الحدود المرسومة لها في السؤال . غياب « الصوت النسائي » او حضوره . ولكن ان يكون ثمة « احتجاج نسائي » او لا يكون ليست تلك هي المسألة .

من اي جرح ابدأ ؟

لقد ارتفعت اصوات الادباء والمثقفين نساء ورجالا منذ اكثر من سنوات عشر ، محذرة من هذه اللحظة الراهنة التي نحياها اليوم وغداً ، ولم يبال احد . كأن قدر الادب العربي الصادق ان يكون صرخة في تابوت او علبة سجائر (لا في واد ، فالوديان قد تكون مأهولة وبالتالي محرمة على صوته) . . .

اذكر بوضوح مقالة كتبها انسي الحاج في صفحته الاخيرة من « ملحق النهار » الاسبوعي يومئذ ، منذ اكثر من عشرة اعوام ، واظن انها كانت بعنوان « ثورة . . . بدم أو بلا دم » . وكانت تتضمن بلورة لوعي جماعي بوجود ثغرات خطيرة في بنية حياتنا الاجتماعية ، تهدد بلعب دور فتيل التفجير ، وقد صرخ يومئذ انسي الحاج محذراً ونادى

بالحاجة الى تعديل ما ، صوب البناء لا الدمار ، وتساءل بحنان الفنان : كيف نستطيع ذلك بدون عنف ودم . . . وفي مقالة تالية أطلق صيحة معذبة (وع ع ع ع . . .) بعدما سطر الكلمات العقلانية كلها ، ولم ينصت احد اليه او الى سواه حتى سال الدم انهاراً غسل الحروف والمطبعة وبائع الصحف وعدداً من الكتاب والرسمين والحناجر . . واذكر بوضوح مقالة كتبها في ذلك الزمان (٧٣/٩/١٠) في مجلة « الحوادث » بعنوان « لبنان ، سويسرا الشرق ام فلسطين الثانية » تحدثت فيها عن مخاوفي من كون لبنان « المرشح الاول ليكون فلسطين الثانية » وتجد المقالة وسواها في كتابي « صفارة انذار داخل رأسي » - صفحة ١٤ - الجزء التاسع من « الاعمال غير الكاملة » . والكتاب في مجمله يتضمن معظم صفارات الانذار التي اطلقتها في ذلك الزمان خوفاً من « زمن كهذا » . وظلت صفارات انذار المثقفين تتوالى دون ان يكلف احد نفسه عناء الانصات اليها .

من أي جرح ابدأ ؟

كلما وقعت كارثة قومية ، يدور المحرر الثقافي على الادباء المساكين ويسألهم : ماذا تكتبون ؟

واليوم ، كلما سألني احدهم مقرأً : « ماذا تكتبين ؟ » ، أسأله بدوري : لماذا اكتب ؟

ثم ان الاديب ليس نابليون ولا رومل ولا جنكيز خان ، وبدلاً من سؤال الادباء اين هم من هذا الاجتياح ، اقترح طرح السؤال على السياسيين وقادة الميليشيات و« عباقرة » التنظير والزعماء العقائديين وبعض الحكام العرب وقادة جيوشهم . . ام ان الاديب الاعزل « حيطه واطي » ، ولا « عصاية » تحميه ، ولا قبضاي « يضبع » من يقترب منه ، ومن الممكن بالتالي توجيه اي اتهام غير مباشر اليه في صيغة سؤال ، بل وعقد الندوات التي توقظ حسه بالذنب وماسوشيته ، ارضاء لسادية المسؤول الحقيقي ؟ . . . وما يجب استجواب سواه عنه ، بل ومحاكمته ، يتحول الى استجواب أدبي له من باب الاسقاط ؟

متى نجرؤ على توجيه السؤال المناسب للشخص المسؤول حقاً ؟ متى نجرؤ على طرح الاسئلة - التي تنهاس بها في ما بيننا - على الناس الذين لا نجرؤ حتى على الهمس في حضرتهم ؟

ديب عماد يستجوب

● اكتشفت القسوة التي يتعرض لها
الانسان حين لا يفشل .

● متى بدأت رحلتك مع القلم ؟

- بدأتها باكراً كمعظم العرب . كأن في أعماق كل عربي شاعر سري . يظل شبه صامت حتى سن المراهقة . ثم يبدأ بالتهند والاحتجاج والتوق الغامض الى ما لا يدريه . بعض الناس يستجيب لما يمليه عليه هذا الصوت ، فيسطر كلمات شاعرية ، وبعضهم الآخر يقمع شاعره الداخلي ، وربما تتولى قسوة الحياة تأديب الشاعر وإسكاته . كمعظم المراهقين العرب مررت بتلك المرحلة ، وبدأت اكتب حين تعلمت أولى مبادئ أبجدية القلب .

تلك المرحلة الذاتية ، القلقة مثل غزال صحراوي ، لم أنشر شيئاً من حصيلتها . فقد علمتني دراستي الأكاديمية للأدب ذلك الفارق الخطير بين المشاعر الذاتية وبين الكتابة الإبداعية .

اليوم حين ألتقي بإنسان عربي (أو إنسانة) ، في سن المراهقة بوجه متورد بكلمات لم تقل ، واليد ممسكة بالقلم كما لو كان خشبة خلاص . . . أرى وجهي الذي كان . وأتمنى باخلاص الا يكتم الزمان انفاس الشاعر الطفل المختبئ في محبرة .

● هل لاحد فضل عليك في إطلالتك الفكرية ؟

- إن قلت لا ، أكون كاذبة ، وإن قلت نعم اكون كاذبة . لقد عرفت في دربي الأدبية أكثر من لمسة نبيل من بعض رفاق القلم ، ولمست مشاركة واحتراماً لحروفي طالما تحول الى بادرة دعم ايجابية . . وسوف آتي في مذكراتي ذات يوم على اسماء الذين أدين لثقتهم بموهبتي بالكثير . ولكن لو لم تكن نار العطاء متقدة في اعماقي لخدمت مهماً حاول الاصدقاء تأجيجه . لو لم تشتعل أصابعي ، برغبة العطاء لما سطرت عشرين كتاباً .

حتى الآن . . . ، ولما تفجرت الابدعية من أظافري كالشرر . . . ثمة أشياء لا يقدر أحد على منحنا إياها ، وعليها ان تنبع من أعماقنا ، وان تكون روحنا هي الوقود .
وهنا أحب ان ابوح لك بسر صغير . وهو انني مدينة بالكثير للذين حاولوا تدميري . لقد اضطررت منذ البداية لبذل مجهود خارق اتجاوز فيه نفسي . فتعلمت منذ خطواتي الاولى في درب الأدب مدى القسوة التي يتعرض لها الانسان حين لا يفسل !! . . .

لقد اهتمت ذات يوم بأن رجلاً يكتب لي قصصي . اهتموا أولاً أحد النقاد ، ثم اهتموا والدي وكان رجلاً فاضلاً ورئيساً للجامعة السورية ولا يمكن له ان يتورط في عملية (تزوير) رخيصة كهذه . . . يومها نشر الخبر تحت عنوان « فضيحة أدبية كبرى . من الذي يختبئ وراء غادة السمان » وعلى طول صفحة ، في جريدة بيروتية مرموقة كانت الاتهامات القاسية تتوالى . . . وكنت بريئة وصغيرة حتى أنهم استكثروا علي ما أكتبه .

يومها تعلمت كيف أقف وحيدة في وجه الكيد والحسد والأذى ، وكيف استلهم منها قوة تزيد في زخم عطائي بدلا من ان تدمرني . . . وصرت كلما احترقت ، اغادر رمادي امرأة جديدة صفحتها النار ضد العاصفة الرعدية وصواعق التجني . حين اتصفح تاريخي الطويل مع القسوة ، أقول لك أظنني مدينة بنجاحي لأعدائي !! . . .
● ما هي أبرز كتبك ؟

- في نظر النقاد ، روايتي الأخيرة « كوابيس بيروت » . أما القراء ، فإنهم يفضلون فيما يبدو كتابي الشعري « أعلنت عليك الحب » ، فقد صدر الكتاب عام ١٩٧٦ وأنا اليوم أعد طبعته الثامنة ! . .

بالنسبة اليّ ، أبرز كتبي هو دوماً كتابي الذي لم أكتبه بعد . . . وحين انتهي من كتابة عمل ما ، ينتابني شعور حاد بالفراق يكاد يشبه الخواء . . . أعني جيداً ان علاقتي بالكتاب انتهت ، لتبدأ علاقته بالقارئ . . فأفارقه ، وفي قلبي الخبرات التي تعلمتها من انجازه ، وعيني على الكتاب . . . اللاحق ! .

● هل يتأثر الأديب بحياته الخاصة حتى ينطلق الى العامة ؟

- نعم يتأثر الأديب بحياته الخاصة ، لكن مفهوم الناس عن « الحياة الخاصة » للأديب بحاجة الى بعض الايضاح . فالحياة الخاصة للأديب هي في جوهرها الحياة العامة للوطن . . . الأحداث التي يمر بها بنو قومه ، تشكل جوهر حياته الخاصة . . . تعرض

إنسان ما للظلم يشكل جزءاً أساسياً في حياته الخاصة . سقوط المطر . هبوب الرياح . هبوط الليل الحزين فوق صدر المدينة جزء من حياته الخاصة ، مرور موكب الناس البسطاء أمام عينيه ، وأمارات الخوف او القلق او الفرح في وجوههم ، ذلك كله تجربة (شخصية ذاتية) بالنسبة للفنان الأصيل . إن انصهاره في الآخرين هو المحرك الاساسي للابداع .

● هل تأثرت عادة السمان بحياتها الخاصة ؟ وهل من قصة تذكر حولت مجراك الأدبي ؟

- انا امرأة عربية ، جذورها في أرض واقعها الاجتماعي والسياسي والفكري . لأنني أحمل مميزات وضع كهذا كما أحمل مشاكله وهمومه . . . في دمي خبرات قومي ونقاط ضعفهم .

هذه هي البنية الأساسية لحياتي الخاصة ، ومن هنا نجد ان (الحياة الخاصة) للفنان ليست نسيجاً فريداً إلا بقدر ما يبدع في عطائه . . . القصص التي تلعب دوراً يذكر في حياتي هي نفسها التي بدلت مصائر الآلاف من شعبي العربي الذي أنتمي اليه . . . حرب ١٩٦٧ ، الحرب اللبنانية وغيرها من معارك الأمة العربية لعبت دوراً لا يمكن نكرانه في حياتي وفني . . . الهزلي ان الكثيرين يفتشون عن دور رجل معين عاش في حياتي ، ولا يلتفتون لدور الرجال الذي شهدت موتهم دون ان أعرف اسماؤهم . . . وكان موتهم لحياة الوطن ، أي من أجل ازدهاري الشخصي ، وازدهار الجيل الآتي . . . في هذه المرحلة التاريخية القاسية التي نعيشها ، من الظلم ان نفصل الحياة الشخصية للفنان عن الحياة العامة لشعبه .

● ما أهمية النقد في غربة نتاج الأديب ؟
- أنا شخصياً أحترم دور الناقد في الحياة الفكرية العربية بوجه عام ، وأتحدث طبعاً عن « الناقد » بالمعنى العميق للكلمة ، وهم قلة .

فالناقد يلفت أنظار القارئ الى مواطن في العمل الفني ربما لم تخطر له ببال . ومن حق القارئ ان يقتنع بوجهة نظر الناقد او يرفضها ، وبمجرد عملية القبول او الرفض تزيد من الدرجة النوعية لوعي القارئ .

الناقد المبدع الذي يواكب عطاء الفنان ، يمكن ان يساهم مساهمة فعلية في تغذية شجرة إبداعه ، والتعجيل في تطويرها في الدرب التي سبق واختطتها لنفسها . لا أعتقد أن الناقد يمكن ان يبدل درب فنان خلّاق ، لكنه يستطيع ان يعجل في مسيرته ، عبر مساهمته

في فهم الفنان لذاته . . تقول الحكمة الاغريقية : « اعرف نفسك » . والناقد الأصيل قد يساعد الفنان على ازدياد وعيه بذاته ، وبدرجه ، وتلك مساهمة أخرى قيمة للناقد الجيد .

الناقد الأعظم هو الزمن ، وهو وحده يغربل الأشياء . لكن الناقد الجيد هو بشارة الزمن الآتي .

● غادة السمان ، أين هي ما قبل « رحيل المرافئ القديمة » عندها ، ومرحلة ما بعده ؟

- بالنسبة للفنان ، تتطور الاشياء بشكل عفوي وتلقائي وتنامي . . . وحتى إذا وجدت نقاط انعطاف حادة في فنه الروائي او التشكيلي ، فهي لا تبدو كذلك لعينيه . إنه لا يتصل من ذاته الاولى ليحل في جسد فني جديد ويتمص حياة أدبية جديدة . . . هذا بالضبط ما يحدث لي . . . إنني لم اتعمد في اي يوم نقلة من (الذاتية المفرطة النسائية) ، نحو العام والانساني المشترك بين البشر نساء ورجالاً . . . ان الاشياء تحدث بشكل تلقائي جميل ، مثلما تسبح السمكة ، او يكتشف الطائر التحليق . . .

اين أنا ما قبل وما بعد ؟ انا حيث كنت دائماً ، عاشقة للحقيقة ، كاهنة في محراب العطاء الفني الصادق . . مستسلمة لرياح أبجدية جديدة ، أتركها تفودني الى حيث نبعها .

● كتابك « أعلنت عليك الحب » ، هل هو موجه الى رجل معين ؟
- لو كان كذلك ، لأرسلته إليه في رسالة شخصية ، فالكتاب ليس بطاقة بريدية خاصة !
الكتاب عمل فني ، وهو ليس صرخة انثوية لمجرد ان في اسم المؤلفة (ناء تأنيث) ما . . .

« أعلنت عليك الحب » هو صرخة محبة كونية قادمة عبر حنجرة إنسانية . . وكل قارئ يعيشها كما يشاء ، ينادي بها من يشاء . . . فكل عمل فني يقرأ على مستويات مختلفة ، ويخلق من جديد في ذهن القارئ بصورة جديدة ، ويتناسل ويتكاثر . . .

● يقال ان الحب الأكبر هو مما لا يكتب عنه . فما رأيك ؟
- هذا يتوقف على ما تعنيه بـ « الحب الأكبر » . فمفهوم هذه العبارة يختلف من انسان الى آخر . . . وهو ايضاً يختلف لدى الانسان ذاته بين فترة وأخرى . « الحب الأكبر » في حياتي مثلاً هو رجل اسمه « الابجدية » . وهو حب لا يجد تحقيقه إلا في الكتابة ، ولا خلاص منه إلا بالموت . .

أما اذا كنت تعني بـ « الحب الأكبر » حب امرأة لرجل او العكس ، فذلك في نظري موضوع لطيف للكتابة ، ويعني العمل الفني بزخم ملون ، كما الألعاب النارية في ليلة صيف هجرها القمر ..

بصدق ؟ بالنسبة لي ، كل ايقاع تصدره قيثارة روحي هو موضوع قابل للكتابة .. ان ولائي الأعظم هو للابجدية ، وانني اقترب منها وأنا أرتجف وارتعد كما لم أرتجف لمرور إنسان في حياتي ! ...

هل قلت لك ذات مرة : انا امرأة نزلت ذات صباح لتسبح داخل محبرة ، فغرقت فيها ؟! ...

وصال خالد تستجوب

- لحظة الكتابة أنسى الجميع .
- لست ناقمة على الذين هاجموا
كوابيس بيروت ، لكنني فخورة
بنجاحها بعدة لغات .

غادة السمان ظاهرة أدبية عربية متميزة . انها الادبية المثابرة المحترفة . وهي
احدى أدبيات قلائل في العالم العربي اللواتي يمتنهن الانفعال عبر القلم ، وهي غزيرة
الانتاج وفي كثير من المجالات (عشرون كتاباً حتى الآن وثلاثة كتب أخرى قيد الطبع)
قصاصة وروائية وكاتبة مقال - خواطر - وكاتبة تحقيق صحافي ، زوجة وأم وأدبية مثقفة
وصحافية وناشرة .

تقرأ بنهم وتكتب بسخاء ايضاً كلمتها حلوة وذكية وشاعرية وحرّة وآراؤها جريئة
الى حد الاستفزاز ومباشرة . ولكنها اذا انفعلت لم تتجنب المنطق لكأنما انفعالها جزء من
منطقها هذا .

سورية المولد والنشأة الأولى ، عاشت معظم حياتها الشابة في بيروت وفيها صدر
معظم انتاجها الغزير .

في باريس حيث تقيم الآن التقتها « الخليج » وكان هذا الحديث الذي تجنبنا فيه
الاسئلة التقليدية حول أدبها ورواياتها .

● انت الآن تعيشين في باريس ، ما هي مقدرتك على الانفصال عما عشت في بيروت ؟
- لا أريد الانفصال عن بيروت او دمشق او بغداد او القاهرة او الخليج او المغرب العربي
وغيرها . . انا هنا لازداد اقترباً من هناك . . . بعد عشرة اعوام من الحرب شعرت انني
بحاجة الى اجازة ما ، كي ارى بوضوح ، وانتمي باتقان . وعيت فجأة ان رأسي
اضحى محشوراً داخل فوهة مدفع . . واصوات القتال الأرعن بدأت تطرد الاصوات

الآخري كلها من اعماقي . حينما نلصق وجهنا بالصورة اكثر مما ينبغي نعجز عن رؤيتها ، تماما كما لو ابتعدنا عنها الى كوكب آخر .

أنا هنا ، لا لأنفصل ، وانما لأحافظ على الاتصال الصحي الواعي باحداث مسعورة الدوامة ، يسقط فيها الشهداء الحقيقيون الى جانب سارقي الثورات ، كان علي ان ارحل زمتنا ما كي اظل قادرة على رصد البركان بدلا من السقوط فيه واحتراق الرؤيا .

● في أدبك وصف لفترة عشتها في انجلترا وكتبت عن ذلك ، وثقافتك انجليزية ، لماذا باريس الآن ؟

- ثقافتي انجليزية وفرنسية ، ولكنني بالتأكيد اتقن الانجليزية بحكم دراستي الاكاديمية بشكل افضل . وهذه مناسبة لاتقان لغة ثالثة جميلة وحية هي الفرنسية .

لماذا باريس بدلا عن لندن ؟ لانني لا اعشق الوقوف على الاطلال لفترة اطول من تلك التي تستغرقها كتابة قصيدة .

اريد مدينة جديدة احبها لا مدينة قديمة أمشي داخل ذكرياتي فيها . . . احب ان اتحرك صوب الآتي لا الماضي . اترك الماضي يمضي بسلام في دوري الدموية خبرات مضية ، تساهم في تعميق حاضر جديد أعيشه . . المدن كالبشر حكايانا حينا معهم تستعصي على التكرار . .

● الحرب جعلت الانسان يكتشف في اعماق نفسه مشاعر لم يكن يعرفها : الرعب ، الشجاعة ، الاقدام ، الجبن ، الخ . ماذا جعلتك الحرب تكتشفين في نفسك ؟

- الحرب جعلتني اكتشف مدى ولائي لقيم الحرية والديمقراطية بالمعنى الحقيقي العميق لكل ما تمثله ، وبالتالي حقدي الشرس على بعض تجار الايديولوجيا الذين مارسوا القمع باسم التحرير . أقف ضد اضطهاد الانسان تحت اي شعار مورس ذلك وأي لواء ، أرفض رياح الظلم سواء هبت من (اليمين) او من (اليسار) او من (تحت) او من (فوق) ، ايا كان التفسير او التبرير ، طائفيا او ايديولوجيا او شعريا او نثريا ، وحينما اتحدث عن « الحرية » فأنا اعنيها بابعادها الانسانية كلها بما في ذلك « المسؤولية » ، لا عن حرية فضفاضة احادية البعد كنزوة .

● اللعبة الاجتماعية انت ترفضينها - كما أعرف عنك - لما فيها من زيف وتملق . هل خطر لك يوما ان تكوني رائدة « صالون أدبي » ؟

- بالتأكيد لا ، وبغض النظر عن وجهة نظري في الصالونات الادبية كمؤسسة منقرضة ،

أنا شخصياً لا أميل الى « الادب الشفهي » ولا تبهرني الفصاحة الخطابية و« القفشات » المتظارفة التي تخفي في داخلها أحيانا خواء فكريا رهيباً . الفنان الأصيل المبدع حرفاً ، ليس بالضرورة « نجم صالون » وهو قد يكون متلعثماً رث الثياب ميالاً الى الصمت . . انني دائماً افتش عن الانسان داخل قشرته ، وعن الجوهر الأبعد من مظاهر الألوان والضوضاء . هذا كله أجده في النص المكتوب . سطر واحد مبدع يخطه انسان مجهول هو عندي مهرجان أدبي متكامل ، وهو أقرب الى نفسي من تظارف ملوك « الفهلوة » .

● معروف عنك حبك للرسم وهذا يظهر ، في ما يظهر ، في اختيارك لأغلفة كتبك . هل لديك « نزوة الرسم » كما لدى بعض الكتاب ؟

- لدي « نزوة التركيز » .

أحب الفنون كلها ، أعشق الرسم كما الموسيقى وسواهما ، لكنني اعتقد ان العمر لا يتسع لنحقق كل ما نحب . ايدينا البشرية قاصرة عن الامساك بكل ما نشتهي . كي نربح ، لا بد من الخسارة ، وهكذا فأنا اعبر عن نفسي كتابة فقط ، واكتفي بدور المعجبة في الفنون الباقية التي طالما اشتجيت ممارستها .

● « ليلة المليار » رواية تنشرها سلسلة في إحدى المجلات وقلت في المجلة نفسها انك ضد الرواية المسلسلة ، لماذا جاء موقفك متناقضاً مع ما قلته ؟

- لأنني عبرت عن رأي شخصي وذوق ذاتي ، انا شخصياً لا استطيع قراءة اية رواية مسلسلة . انني نعمة ونزقة مع ما احب ، وحين أمسك برواية ما لا اغادرها الا بعد التهامها دفعة واحدة .

ولكن الأذواق تختلف . والقارئ هو الملك ، ويبدو ان ثمة من يقرأ الروايات المسلسلة والا لما رضيت الصحافة بنشرها ، وقد لاحظت متابعة القراء لها من بريدكم ، رغم تحذيري لهم . وللتاس فيما يعشقون مذاهب .

● لديك عمل جديد غير « ليلة المليار » هلا حدثتنا عنه ؟ وماذا فيه من جديد ؟

- كيف تتحدث الحامل عن صفات مولودها الجديد الآتي وهو ما يزال في ضمير الغيب ؟ كل ما أبعرفه هو انني اعمل وابذل كل ما بوسعي وانني اكتب رواية جديدة . اكتب ايضاً « رسائل حب باريسية » - عنوان مبدئي - وهي على سياق كتابي « أعلنت عليك الحب » .

● غادة المرأة الكاتبة عانت كثيراً من المجتمع وعالم الكتابة وربما كان السبب الرئيسي هو كونها امرأة . الآن تجاوزت المحنة وتكرست كأديبة كبيرة ترجمت أعمالها

الى لغات أجنبية كما حصل لكتابك « كوايس بيروت » الذي ترجم مؤخرًا الى اللغة البولونية والفرنسية والالمانية والروسية ، ما هو شعورك الآن وبالتالي ما هو رأيك بموقف الذين هاجموا « كوايس بيروت » ؟

- كل ما حدث كان طبعيا ومتوقعا وشكسبير نفسه وجد من يهاجمه بشراسة في عصره . فكل عمل أدبي هو حصيلة جهد بشري وهو بالتالي لا يخلو من مواطن الضعف . مع الزمن يتضح ما للكتاب وما عليه ، واذا رجحت كفة العطاء صمد العمل الابداعي .

وما حدث لروايي « كوايس بيروت » واجهته منذ زمن بعيد مع كل كتاب أصدرته . « رحيل المرافئ القديمة » لقي نقدا قاسيا حتى من اقرب الاصدقاء كما لقي تأييداً كبيراً من بعض النقاد . وكذلك « بيروت ٧٥ » روايتي التي ترجمت فيما بعد الى الفرنسية باشراف البروفيسور جاك بيرك . اعمالي كلها واجهت المصير ذاته . ولم اصدر كتابا الا ووجدت من يقول انني انتهيت فيه وان الذي سبقه كان افضل . بالمقابل ثمة من يرى ان اعمالي تمضي في خط تصاعدي . . .

انا شخصيا اعتقد ان ذلك سيستمر دائما . . . مع « ليلة المليار » وما بعدها كما قبلها ، وتلك ظاهرة صحية بوجه عام ، لانها تعني التفاعل مع حروفي سلبا او ايجابا لا اللامبالاة .

تسألين عن شعوري؟ لكل نقد مشاعره الخاصة به ، ثمة أشخاص انتقدوا اعمالي احترامهم . وثمة نقد مغرض له قصة داخلية قد اطلع عليها القراء ذات يوم في مذكراتي . ثمة نقد بناء وثمة نقد العقد النفسية .

والمهم انني باستمرار اركز على يقيني الداخلي . واحاول الا ادع الأصوات الخارجية تزلزل صمود روحي وانجح في ذلك . انصت جيدا الى النقد البناء ، واتقن فن اللامبالاة بالهذر الذي يتقمص عباءة النقد . وحينما اكتب ، أرمي ببوصلات العالم كلها الى البحر ، واطير مسترشدة بحدسي الداخلي كما تتقن العصافير معرفة دروب هجراتها دونما حاجة الى مواكبة ملاح وربان ودائرة رصد جوي !

انصت جيدا لكل ما يقال حول اعمالي سلبا وايجابا واتعلم من بعضه او ارفض بعضه الآخر ، اما لحظة الكتابة فأنسى الجميع فيها . فالعمل الفني ليس ثاراً من النقد ولا من الحياة . انه محاولة خلق عطاء جديد ، يكون بمثابة فعل حب للأجيال .

بيار ابي عقل يستجوب

- كل من يروج للفوضى أو الطائفية يكون اول ضحاياها .
- حررتني الصحافة من طبقتي ومن الانبهار الرومانسي بطبقات أخرى .

قبل ايام صدرت رواية غادة السمان الجديدة « ليلة المليار » - وفي الوقت نفسه لا تهدأ اخبار غادة السمان : طبعات جديدة من كتب قديمة .. مشاريع تتحرك ... كتابة اسبوعية .. عمل يومي . كل هذا يجعل لغادة السمان لقباً جديداً هو « الكاتبة الأكثر نشاطاً في الأمة العربية » ، ومع هذا هل يمكن لأحد ان يأخذ على غادة السمان بعض او كل ما كتبه ؟ غادة السمان ، كأنها تركض ...

كتابة غادة السمان نفسها في حالة ركض دائم : مواضيع تتلاحق ، جمل تطرد جملاً تسبقها ، نقاط تتتالي ، عبارات تصرخ ، وشخصيات ، شخصيات تركض خوفاً او سعياً او هبوطاً او تسلقاً .

عالم كله يركض . ولكن لماذا تركض غادة السمان ؟ قبل ان نقرأ روايتها الجديدة - وهو ما سنفعله لاحقاً - نحمل هذا السؤال واسئلة اخرى ونطرحها على غادة السمان .. نلتقطها في لحظة ، قبل ان يولد المشروع الآخر ، وقبل ان يصدر الكتاب الآخر ، وتصبح الكتابة عن المصادر حديثاً او السؤال حوله « موضحة قديمة » ...

- « ليلة المليار » هي اول عمل روائي يصدر لك منذ « كوايس بيروت » ... وهذا الواقع يفاجئ الذي سبق ان دهش خلال السنوات العشر الاخيرة بسبب الطبعات المتلاحقة لأعمالك القديمة ، والانتشار المدهش للسلسلة التي اصدرتها في تلك الفترة « الاعمال غير الكاملة » ، حتى خيل له ان هناك رواية لك تكتب كل يوم .
- حدثينا : لماذا كتبت « ليلة المليار » وكيف كتبتها ، علماً بان العمل الروائي يحتاج الى

تركيز زمني ومكاني . . . وانك عشت خلال السنوات الاخيرة مشردة بين المدن والبلدان ، مستعيدة بهذا تقليداً قديماً عرفت به ؟
- لماذا كتبتُ « ليلة المليار » ؟ بل لماذا كتبت منذ البداية ؟ لماذا ارتكبت هذه الحماقة الشهية التي لا شفاء منها الا بالموت ؟ لم اعد ادري بالضبط . ثمة لحظات اشعر فيها بان سجيناً يجهل النطق يقطن في اعماقي ويعوي بلا صوت . زنزانتة جسدي . وانا متواطئة معه ، واشتهي اطلاق سراحه . انه سجين لا يؤمن جانبه . مجنون حتى الطفولة لا يشبهني من الخارج . شرس . بريء . اظافره شفرات . متوحش . يكره التملق واللعبة الاجتماعية والاقنعة . لا اصدقاء له ولا شجرة عائلة ولا مظلة . يتحرك بين الحلم والكابوس ، ولا نظارات سوداء تقيه نظرة عينه الجديدة دائماً . لا يطبق تسمية الاشياء بغير اسمائها الحقيقية ، ويكره الخلط الدائم بين « البطل » و« الأرعن » . يمد لسانه لمعظم ما تعارف الناس عليه من مسرحيات هزلية وطقوس ومؤسسات ، ويمضي الوقت في قرض كمامته وقيوده ، وقد يمزق جدران زنزانتة ويصير خطراً اذا لم امنحه قلماً وورقة . وهو يرضى بها كبديل بائس عن الحرية . . .
لماذا اكتب ؟

اذا طرحت هذا السؤال على سجيني ، فيقول لك انه ليس متأكداً من شيء .
« فالفنان لا يستطيع ان يتحدث عن فنه ، الا بقدر ما تستطيع الشجرة ان تناقش في الهندسة الزراعية » على حد تعبير جان كوكتو .
اعود فأبث سؤالك على طبقة ارضية اخرى في قاع التربة الزلزالية لأعماقي . . .
وموجة اخرى . . .

لماذا كتبتُ « ليلة المليار » ؟ لأنني كتبت « بيروت ٧٥ » فـ « كوابيس بيروت » ، وظللت اشعر انني لم اسبر الجانب الآخر للجحيم ، المكمل لحصار الانسان العربي . فحصار بيروت في نظري لم يكن غير الارتسام الاخير على شاشة الاحداث ، لمن سبق ان حوصروا قبل ذلك . « حصار بيروت » لم يبدأ حقاً بالغزو الاسرائيلي ، وما كان ليصير ممكناً لولا الحصارات الاخرى المكملة له والمتحالفة معه بقصد ، او بحسن نية وسوء تصرف . الذين حاصرتهم اسرائيل في بيروت كانوا محاصرين قبل ذلك بزمان بعيد وتحيط بهم دوائر لامرئية من الزنانات العربية التي تحاصر الشعب العربي في غير قطر ، هذا بالاضافة الى حصار الشخصية العربية لذاتها ببعض روااسب عصور الانحطاط في اعماقها ، وغير ذلك من فسيفساء التخلف .

هذا الحصار المركب احسسته بحاجة الى فضح . الحصار بالطائفية . الحصار بالقمع . بحرب الانانيات . بالصغائر . بالافتقار الى الروح الديمقراطية . بالسحر بمعناه العتيق ، وبالشعوذة السياسية المسرحية . بالتخدير بأنواعه كلها ، بـ « السم الابيض » وبالبنج الفكري وغيرها من قوى استلاب الذات العربية ، وتلك الحرب التي يخوضها « خليل » احد ابطال « ليلة المليار » في جبهة الغربية كما في جبهة الوطن ، تقع لأن الحصار بالدرجة الاولى صناعة عربية يروج لها بعض الذين فقدوا صحوهم او ضمائرهم . .

تسألني كيف استطعت كتابة « ليلة المليار » في احضان الغربية ؟ . . .
التشرد خصب . . .

الاستقرار يحدوني بالاشياء اليومية الأليفة . التشرد يوقظني على حقيقي . يجربي من شعري كل صباح ويسمرني تحت شلال الوحشة البارد فأصحو .
في باريس ، عرفت استقراراً نسبياً داخل طائرة الرحيل ، فانتهزت الفرصة لاعادة كتابة « ليلة المليار » واستغرقني ذلك العام الماضي بأكمله . .
في باريس ، اعلق قلبي على مشجب المساء ، واتركه ينتحب هناك طوال الليل ، وفي الصباح اسجل اقواله في المحضر ، واهجر صديقاتي لأتفرغ لذلك ، واخون احبائي مع ابطال قصصي .

التشرد خصب ، معه اضطر للعمل في كل لحظة بدلاً من التسكع والعبث اللذين يروقان لي . . . واكتب لكي اعلق شمساً على جدران اليأس بدلاً من لوحات الشقق المفروشة الموسخة بالغم والسعال

في الغربية ، اخاف ان يطلع الصباح ولا يجد نافذتي . بالكتابة اترك له علامة يهتدي بها اليّ كساعي برید يحمل الضوء الى انفاق الفنادق الكريهة .

مع التشرد تزدهر الذكريات المخضبة برائحة زهر البرتقال والياسمين ، واللحظات المغسولة بعسل الحب . . وتنبث اشجار الصنوبر والزيتون في جحر المنفى حين اكتب ، ولا يدهشني ان اجد وسادتي قبل النوم مغطاة بالوزال ودويكات الجبل (والشقشقيق النعمان) .

مع الكتابة ، يكف نهر السين الذي اراه من نافذتي عن التمدد في القاع جثة زرقاء هامدة ، وينهض من قبره ويمشي مرحاً حتى مصباته . .
حين اكتب في الغربية ، اكف عن الخوف من الذهاب الى النوم وحيدة ، وانا

اعرف ان الكوابيس تنتظرنى داخل غرفه السرية ودهاليزه التي تفتح على دهاليز . . .
وربما لذلك اكون في تشردى اكثر قدرة على التركيز الزماني والمكاني لأحي نفسي من
الجنون والموت قبل ان احي عملي من التفكك ! . . .

● نأتى الى « الأعمال غير الكاملة » هل تراها اكتملت ؟ ومتى مذكرات غادة
السمان . . . ومراسلات غادة السمان ؟

- « الأعمال غير الكاملة » لم تكتمل . أعمل حالياً على الجزء الثالث عشر منها وهو
كتاب : « البحر يحاكم سمكة » ، وسيصدر مع الطبقات الخامسة للأجزاء الاولى من
السلسلة .

وأعمل ايضاً على الجزء الرابع عشر - وربما الأخير - منها ، وهو كتاب « قراءات
لحفلي التأبيني » وهو مجموعة دراسات نقدية حول اعمالي تمتاز بأنها لامست جوهرها
بتفهم حي . لماذا اريد ان اختتم « الأعمال غير الكاملة » بعمل لم أخط حرفاً فيه هو
« قراءات لحفلي التأبيني » ؟

لأنني اريد موتى وردة مكبوسة داخل كتاب ، اجففها بنفسي واحفظها على النحو
الذي يروق لي .

اريد ان اكون سيدة موتى الذي وعيته دائماً ببساطة ، كما كنت سيدة حياتي حتى
الآن . . . ولأنني حاضرة في موتى ، فمن لديه كلمة فليقلها الآن أو ليصمت الى الأبد .
لا اريد لـ « قراءات حفلي التأبيني » كلمات يفوح منها (نفتالين) المناسبات ، منحورة
بسوس المنابر. التقليدية ، وصداً الاسنان والتكرار ، وعناكب الشفاه المقددة !! . . . في
« قراءات لحفلي التأبيني » اشعر وكأنني اخيط كفني بالفكاهة والجنون ! . . .

كلمة اخيرة حول « الأعمال غير الكاملة » ، نبهتني اليها ملاحظتك في السؤال
الأول حين قلت عن قارئى « خيل له ان هناك رواية لك تكتب كل يوم » . هذا
الانطباع ليس خاطئاً . فالأعمال غير الكاملة ليست كلها مجرد قصاصات صحافية كما
توهمتها انا ايضاً في البداية . انها تضم مجموعة قصصية لم تنشر بأكملها من قبل في كتاب
هي « زمن الحب الآخر » ومسرحية « الطوفان » كما تضم كتابين جديدين كل الجدة
كتبتهما قبل وخلال عملي على السلسلة ، ولم انشرهما قبل ذلك حتى في الصحف
والمجلات وهما « اعتقال لحظة هاربة » و« الحب من الوريد الى الوريد » ولم يخطر في بالي
قبل الآن ان اذكر ذلك لأنني لا اتعامل مع الكتابة والقارىء بـ « فواتير » ، والكتاب
السيء لا يشفع له انه لم ينشر من قبل في مجلة او جريدة ، كما ان النشر في الصحافة لا

ينتقص من قيمة الكتاب الجيد في عين القارىء . . . ومعظم الكتابات الابداعية شبه المعاصرة والمعاصرة نشرت في صحف قبل جمعها في كتب، وحتى كتاب البؤساء لفكتور هوغو، ومعظم اعمال دوستوفسكي ونورمان ميلر ونجيب محفوظ مرت بالدرب ذاتها . وهكذا ، حين اصدرت « اعتقال لحظة هاربة » و« الحب من الوريد الى الوريد » واضفت اجزاء جديدة الى « السباحة في بحيرة الشيطان » و« زمن الحب الآخر » لم يخطر ببالي لفت الانظار الى ذلك او نشر هذه الكتب خارج السلسلة . الكلام ذاته ينسحب على كتابي « البحر يحاكم سمكة » الذاهب الى النشر . اجزاء كبيرة منه كتبت في الثمانينات ولكنني لم اشعر ان نشره في السلسلة ينتقص من قيمته او يزيد فيها . فالمحصلة في جوهرها واحدة ، بعد اعوام سأموت ، وسيضطر دارس ادبي الى اعتبارها وحدة متكاملة .

اما مذكراتي فلا اشعر بعد بالحاجة الى كتابتها . وسأفعل بالتأكيد حين تتناهي رغبة كهذه ، وسأكون صادقة حتى الثمالة فيها ، وأطمح الى ان تكون مرآة عن زمني وشاهداً على عصري لا على حياتي الشخصية فقط . . .

مراسلاتي لن انشرها ما دمت وأصحابها احياء . فالذي يكتب لي رسالة يوجهها الى صدقي لا الى الخلود . ولا حق لي في افشاء سرية عالم عهد به صاحبه الي . لدي رسائل من زملاء ومبدعين كبار في انسانياتهم وفي اعمالهم ، ورغم القيمة الفنية الخارقة لها لا اسمح لنفسي بالاقدام على نشرها . . . وتظل للعواطف الشخصية الذاتية حرمتها عندي . حين نموت ويمر الزمان يبطل المفعول (الفضائحي) لرسائلنا المتبادلة وطعم اغمائنا على الورق ، وتبقى القيمة الأدبية فراشة تطير عن بقاياهاكلنا العظيمة . . . وهذا توقيت نشر المراسلات الأدبية في نظري . . . الا في حالات خاصة تراعي هذا الاعتبار الانساني الشخصي الأساسي .

● يرى بعض النقاد ان كتاب « الجسد حقيقية سفر » الذي صدرت طبعته الثالثة مؤخراً ، وهو احد الاجزاء الرئيسية في اعمالك غير الكاملة ، هو واحد من اجمل الكتب الصحفية وأغناها من بين الكتابات الصحفية العربية . والحقيقة ان كتاب « الجسد حقيقية سفر » وبقية كتب « الاعمال غير الكاملة » تكشف لنا انك اعطيت من جهدك ونتاجك قدراً كبيراً للصحافة . . كيف تعاملت مع هذه المهمة ؟ . . . اين تنتهي الصحفية وتبدأ الأدبية في حياتك ؟

- لا حدود فاصلة حقاً بينهما ، كعاشقين في لحظة عناق . . . اراضيهما متجاورة ، بلا

اسلاك شائكة ، والرياح تهب بينهما بلا تأشيريات دخول ، والبحر نفسه يغزو مغاورهما وشطآنهما ...

اشعر احياناً انني مدينة لعمل في الصحافة بأكثر مما يبدو لي ولسواي. لولا مقالاتي الصحافية المجموعة في كتاب « الرغبة ينبض كالقلب » لما كانت روايتي « بيروت ٧٥ » و« كوابيس بيروت » . فمن اجل تحقيقات « الرغبة ينبض كالقلب » ذهبت الى اصقاع لبنان ، منطقة بعد اخرى ، وحين خذلتني الدروب المعبدة الى الناس العاديين والبسطاء ركبت الحصان في وادي قنوين وتابعت جولتي في ذلك الوادي خرافي الجمال المحروم من طريق . وفي تحقيقاتي عن بيروت في الفجر ذهبت الى المعذبين في الأرض ، في المسلخ لحظة ذبح اللحوم والأحلام ، الى الصيادين والى الفقراء والى احشاء المدينة بسحرتها ومجانينها وثوارها ومعذبيها وجلادها الصغار ... وكانت حصيلة ذلك احساسني العميق المفاجيء : هذا وطن مرشح للانفجار ... وقد ترجمت ذلك الشعور روايتي في « بيروت ٧٥ » و« الكوابيس » ولولا « الجسد حقبة سفر » ، وتجربتي مع الغربة لما كانت « ليلة المليار » التي تدور احداثها داخل نبض الوطن وبعيداً عن ارضه . لقد عملت كاستاذة جامعية في بداية حياتي العملية ، لكنني اشعر ان عملي في الصحافة هو الاذخافة النوعية الى كمية الوعي في حروفي ... فالشهادة الجامعية قد اهلتي لكتابة « مواطنة متلبسة بالقراءة » وهو مجموعة دراسات نقدية ادبية ، بعين عربية لا تشعر بالنقص امام ثقافات العالم ، لكن عملي في الصحافة منحني الفرصة للخروج من طبقتي وملامسة هموم الآخرين والانفتاح عليها دوغما افتعال ... وعبر هذه المعاشة اليومية وعيت انتمائي الحقيقي . لقد حررتني الصحافة من طبقتي ، لكنها ايضاً حررتني من الانبهار الرومانسي بطبقات اخرى !

ولعلي من اكثر الأدباء احتراماً للصحافة ، لأنني مارسها من الداخل ، وأجد ان الصحافي المبدع ليس اقل عطاء من الكاتب . صحيح ان الأدب (يبقى) والموضوع الصحافي (يحترق) ، ولكن مفهوم هذا الاحتراق بحاجة الى بعض التأمل ... فالتحقيق الصحافي الجيد هو (فن) مكتوب على بياض قلوب القراء ، وقد يؤثر في سلوكهم فيتحول الى افعال وحقائق معاشة ، ويبدل في مجرى التاريخ ... وبذلك يكون الصحافي المبدع هو الجندي المجهول في حقل الكتابة ... لأنه يسطر ابداعه في سلوك معاصريه دون ان ينال اوسمة الادباء ...

● نعود الى الرواية الاولى بعد « بيروت ٧٥ » . أعني « كوابيس بيروت » التي ترجمت

وترجم الى العديد من اللغات ، والتي صدرت في طبعات عديدة حتى الآن . . .
آخرها الطبعة الخامسة هذا الشهر (ومنها الترجمة البولونية التي وزعت على نطاق تجاري
واسع منذ الطبعة الاولى) والترجمة الروسية - ٥٠ ألف نسخة طبعة اولى - انها مناسبة
لاستعادة هذا العمل الذي طرح نقاشاً واسعاً في الاوساط الثقافية العربية . . . ويذهب
البعض الى اعتباره العمل الذي به انتهت مرحلة مهمة من نتاج غادة السمان الأدبي ؟
- بعض الادباء يعتبر كتابي « ليل الغرباء » العمل الذي انتهت به مرحلة مهمة من
نتاجي وبعض الاصدقاء يعتبرني بدأت في رحيل المرافء القديمة . مرحلة بدأت .
مرحلة انتهت . أنا شخصياً لا افهم بالضبط هذه التعابير ، وعلاقتي بها كعلاقة طائر
النورس بالبوصله . بالنسبة للكاتب ، علب (المراحل) ليست صفاً من الصناديق
البريدية المتراسة جنباً الى جنب والمنفصلة ، ومع كل كتاب يبني صندوقاً اضافياً له
قفله . . . أحس أعمالي كلا واحداً ينمو باستمرار ويمشي ، خطوة الى الامام ، وربما الى
الوراء ، لكنها المسيرة ذاتها . . .

● انت كاتبة الحب العربية المعاصرة بامتياز ، هل تعشق غادة السمان لتكتب ، ام
تكتب لتعشق ؟

- استطيع ان اعشق ولا اكتب ، واكتب ولا اعشق . مع الكلمة ، ليست أجسادى هي
التي تروي حكاياها ، بل تقمصاتي . احياناً يخيل اليّ انني اعشق الحب واكره الحبيب .
فالحب يطلق سراحى ، والحبيب يقيدنى . . . كأن الحب حالة وجد كونية ، والحبيب
شاشة يرسم عليها ذلك الاصطخاب البحري الداخلى . . . ولعلي عبرت عن هذا
الاحساس في كتابي « الحب من الوريد الى الوريد » في الصفحة ١٠٨ « عاشقة شريرة »
والصفحة ١٢٦ « آكلة لحوم . . . العشاق » والصفحة ١٠١ « نموت ثم نحتضر »
وسواها . . . ولكنني لست متأكدة من ذلك ! . . .

● هنالك بين الصور الكثيرة للمرأة في رواياتك صورتان تلفتان النظر : الاولى هي
المرأة العربية والشرقية المعذبة المسحوقة تحت نير التقاليد والتي تختار العصيان وتلمس
طريق التحرر كما في قصة « عذراء بيروت » . اما المرأة الثانية التي عبرت عنها بكثير
من الجراة فهي المرأة الماجنة التي تحمل حقيبتها متنقلة عبر الفنادق والمطارات
والمغامرات ، والتي لا تضعها ظروف حياتها المترفة في مواجهة مباشرة مع المجتمع
ونظام القيم السائدة .
- انا كاتبة قصة ، وبالتالي أرسم الواقعي وليس المثالي ، واشير الى درب الخلاص دون

السقوط في فخ المواعظ . فالقارئ الذي يفتش عن موعظة يعرف اين يجدها ،
وبالتأكيد خارج عمل روائي . . .

ان انعكاس هزائمنا على الواقع العربي ليس جميلاً دائماً . . والنساء لسن قديسات
في اعمالنا لأنهن لسن كذلك في الحياة . .

وعبر تعاطف القارئ او استنكاره أحاول ان ألفتة الى تلك (الطاقة النفطية)
الخام الملقبة بالمرأة العربية والتي لم توظف بعد في بعض اقطارنا لخدمة اهداف الأمة . وأنا
ببساطة اعتقد ان تحرير المرأة يقع على عاتق الرجل والمرأة معاً . . ويخيل اليّ انه لا
خلاص للمرأة خارج تحرير الانسان العربي ككل . ومن هنا لا أميل الى فصل
كفاحهما ، بل اجد في اتحاد مظلومي المجتمع نساء ورجالاً ، مؤثرو عي إيجابى . أحاول
ايضاً من خلال نسائي المترفات ان ارسم حقيقة : ان انتزاع الحرية كحل فردي وذاتي
خارج اطار المجتمع الواقعي هو حالة مأساوية شبيهة بالتخدير وتسبب حتى لصاحبتها المأ
بالغاً . . . ولا مفر من الانصهار في قناة جماعية لتحرير المضطهدين جميعاً وعلى رأسهم
المرأة العربية .

بطلاقي بخيرهن وشرهن هن الارتسام الصادق للواقع العربي في مرآة قصصي ،
ومن لا تعجبه الصورة ، فالرجاء الا يلوم المرأة ! . . .

● الى اي مدى اردت كتابتك مواجهة للتقاليد ، وتمرداً على الصيغ المتحجرة
والذهنيات المحنطة ؟

- الى ابعد مدى ممكن . ان التمزق في بنية النسيج الاجتماعي العربي لم تعد تطاق ، بين
اسمال بعض ماضينا ، ورقع بعض حاضرننا . لا بد من صحوة اصالة خارج رقعة
الرياء .

● ما هو مفهومك للحرية ؟

- كمفهومي للشعر : اعرفه حين يحضر وحين يغيب . . . أوافق احد ابطال « ليلة
المليار » حين تحدث عن تعريفه للحرية وقال « حاولا ارغامي على شراء منشور فرفضت
وطردتها حتى قبل ان اقرأ اسم المنشور والجهة التي طبعته والافكار التي يحملها . لم يكن
في مقدوري ان ارضى يوماً بأساليب القمع للترويج حتى للحرية نفسها . . لم يكن في
مقدوري ان ارضى بالاساليب الفاشية وسيلة لنشر افكاري او افكار حلفائي او الذين
أو من بهم . . . وتصادف ان كان المنشور يخص (اصحابي) ! كنت لا اعرف كيف اعبر
لغوياً عن ذلك الشعور بالمهانة حتى المرض العضوي حين ينتهك شخص ما حريري . لو

سألني احد : ما هي حريتك ؟ لما عرفت ماذا اقول . . ولكنني اعرف دائماً حينما يمسهما احد بسوء او يحاول سرقتها مني . . . وأظن ان هذه هي حال البسطاء مثلي مع الحرية » . . .

● « رحيل المرافئ القديمة » مجموعة قصصية جاءت على اثر نكسة حزيران ١٩٦٧ لتضيف بعداً جديداً الى نتاجك ، فكانت بداية توجه اكثر التزاماً من زاوية سياسية ، لكن دائماً بهذا الايقاع الكابوسي الكافكاوي الذي يفضح التخلف والعجز العربيين . أين انت فيما تنشرين من الواقع العربي ؟

- أنا قطرة صغيرة في الدورة الدموية للواقع العربي . اقع في داخل الجرح ، وما يقع لأشجار طنجة او اطفال الخليج او المذابح فيما بينهما ينعكس على حروفي دونما أي افسار من الخارج ، لأنني اظن الداخل . . . أجد علاقة الانسان مع الوطن قصة الحب الحقيقية الكبيرة ، و« الحياة الشخصية » له بالمعنى العميق للكلمة . . . وقد ارتبطت وجدانياً بالمستشرق الروسي الكبير فلاديمير شاغال حين وجدته ضبطني متلبسة بهذه الحقيقة عبر حروفي ، وحين كتب يقول اثر ترجمته لاحدى قصصي (الساعتان والغراب) متحدثاً عنها لوكالة نوفوستي عام ١٩٨٤ : « مثال ساطع على توجه الأدب العربي الى مواضيع جديدة تولدها التحولات الاجتماعية . وقصة الحب والواجب هنا تختلف عن القصة العربية التقليدية . ويؤكد ابطال القصة ان الحب لا يسعد الانسان الا اذا استند هذا الشعور الى اساس راسخ من الوحدة الروحية والوطنية . ونجحت الكاتبة في ايجاد شخصية جذابة للثوري العربي الشاب (فضل) الذي يناضل من أجل التحولات الاجتماعية وتحقيق حياة أفضل » .

ان نظرة سريعة الى أعمالي لا تكشف هذه الرؤيا ، لأنني لا أتقيد بالصيغ القصصية التقليدية في طرح الموضوعات المشابهة . بطله هذه القصة مثلاً شابة ثرية تعيش في جنيف ومن نسل السلاطين . للوهلة الأولى يرى الناقد المتعجل انه امام نموذج (بوجوازي) تجب بالتأكيد مكافحته . . . وهذا ينسحب على معظم مواقف من الواقع العربي الأليم . . . انني اقف الى جانب كفاح الناس من أجل الحرية والعدالة والعيش بكرامة على أراضيهم لكنني لا أفعل ذلك ضمن اطرار تقليدية . انا كاتبة قصة لا ببغاء شعارات ، وعلى هذا الضوء اتخى ان تقرأ « ليلة المليار » .

● يبدو ميلك الى كتابة القصة القصيرة غالباً على ميلك الروائي . حتى رواية « بيروت

٧٥ « يرى البعض انها من حيث البنية مجموعة من القصص القصيرة التي تتلاقى وتوحد في اطار عام .

تختلف الآراء حول اعمالها كلها ، وهذه ظاهرة صحية لا تقلقني . مجموعتي القصصية « ليل الغرباء » مثلاً نقدها الكاتب الكبير محمود امين العالم كرواية لأنه وجد فيها وحدة روائية . . . وكان على حق الى حد بعيد . . . وأعتقد ان السبب في تباين الآراء الى هذا المدى بحيث يجد البعض في قصصي القصيرة رواية ، او في روايتي قصصاً قصيرة يعود ببساطة الى انني لا اكتب اعمالاً تقليدية مألوفة ، والصيغ الجديدة التي احاول خلقها تحتاج باستمرار الى نقد حي ديناميكي يواكبها . .

ولعل ذلك ما فعله الناقد السوري نبيل سليمان في كتابه عن القصة السورية ، حين اعتبر « كوابيس بيروت » واحدة من ثلاثة أعمال طليعية تعتبر مجددة للشكل الروائي في القصة السورية . « بيروت ٧٥ » وجدت في الناقد المصري غالي شكري من ينصفها في كتابه « غادة السمان بلا أجنحة » وترجم بنيتها الروائية ، وكذلك فعلت الدكتورة الهام غالي في اطروحتها للماجستير باشراف المستشرق الكبير جاك بيرك ، حين اختارتها موضوعاً للترجمة والدراسة . وفي كتابها « غادة السمان ، الحب والحرب » الذي يصدر قريباً في بيروت ، (ترجمة اطروحتها للدكتوراه) عن دار الطليعة امتداد للموقف ذاته .

بعد ذلك كله ، اعترف لك قصبي مذنب ضبط متلبساً بقطف التفاح والتين عن الاشجار : نعم ، احب كتابة القصة القصيرة . ولكن الأفكار هي التي تختار الجسد الذي تحمل فيه ، ويناسبها ، فالشكل امتداد للمضمون .

● فصل الى بيروت، فهي المدينة التي حضنت بعض نتاجك المهم، كما ان احياءها وناسها وأمكنتها كانت ديكوراً لشخصياتك ومسرحاً لأحداث قصصك . من ناحية هناك علاقتك الشخصية ببيروت أنت التي أتيتها من دمشق مثل بطلة قصتك « لا بحر في بيروت » . من ناحية ثانية ، هنالك نظرة عامة الى المدينة التي تتوزعها الدوامات وتمزقها الصراعات الاجتماعية . فقد رأيت انهار الدماء في شوارعها وقبل اندلاع الحرب الأهلية في روايتك « بيروت ٧٥ » ، حيث يهرب بطلك « فرح » من مستشفى الأمراض العقلية سارقاً لافتة عليها اسم « مستشفى المجانين » مستبدلاً بها اللافتة التي تحمل اسم بيروت على مدخلها . . ثم عدت فعشت سنوات الحرب ، ودونت كوابيسك فيها . .

- ثم عدت وعشت حروبها الباقية ، ودونت « ليلة المليار » . . . وغادرت بيروت بحراً
اواسط صيف ١٩٨٤ وأنا اشعر انني بحاجة الى اجازة من الجبهة كأني مقاتل مزقته
النيران . . ولم أكن أحمل معي غير مخطوط روايتي « ليلة المليار » في حقيبة بللتها مياه
البحر ، وفي الحقبة الأخرى كنت أحمل جثة حلم ، ثقيلة كحجر القبر .

على الصعيد الشخصي جئت ذات يوم الى بيروت لأنها كانت تمثل لي ارضاً عربية
ما تزال تطبق هبوب الحرية، ولمسة الديمقراطية. . . وقد احتضنتني بيروت يوم رفضني
الجميع ، وأخذتني الى صدرها كما أخذت الكثيرين من المنبوذين من قبلي وبعدي . . .
وسأظل ابداً أحمل الوفاء لها ، وسأظل ارفض صلبها على أخشاب الطائفية والعشائرية
واهواء لوردات الاقتتال ومصالحهم الآنية .

على الصعيد الفني ، حاولت في « ليلة المليار » الاشارة الى الخلل الأساسي في
المعادلة - المأساة : كل من يروج للفوضى او الطائفية او القمع يكون اول ضحاياها .
ولا خلاص لأحد الا عبر نفق الحرية والممارسات الديمقراطية الحقيقية .

بيروت ؟

أكتب حالياً (داخل رأسي) رواية جديدة ، الاسم المبدئي لها « الرواية
المستحيلة » وهي امتداد لولعي بالقصة (الباراسايكولوجية) كما قدمتها منذ عشرة اعوام
ونيف في قصة « أرملة الفرع » ف « السباحة في بحيرة الشيطان » ، والهلم اللبناني ما زال
يقطن الرواية . . . كأنه أضحى هاجسي . . .

يخيل اليّ ان فرح ، بطل « بيروت ٧٥ » ما زال يركض كل ليلة على تخومها
هارباً من « العصفورية » ليقترع لافتة « بيروت ترحب بكم » التي كانت ذات زمن غابر
على مدخلها ، ويدق في موضعها لافتة « مستشفى المجانين » . . .
فمتى يكف مسكيني فرح عن ذلك ؟

ابراهيم العريس يستجوب

● الحقيقة جارحة ، ما ذنبي ؟

بعد عشرة اعوام على « كوابيس بيروت » تخط غادة السمان خبطة اخرى ، وتقدم رواية هي اشبه ما تكون بناقوس الخطر . ويأتي نشر «ليلة المليار» في الوقت الذي تصدر طبعات رابعة وخامسة وسادسة لكتبها الاخرى وترجم بعض اعمالها الى لغات عدة .

« ليلة المليار » كـ « كوابيس بيروت » ، رواية تنطلق من الحرب اللبنانية ، لكنها تختلف عن الاولى في كونها رواية شخصيات بينما كانت الاولى رواية مواقف والم وعذاب . وفي « ليلة المليار » تعود غادة السمان الى العالم واناس الحياة ، بما في دواخلهم من نزعات متناقضة ومختلفة ، وتصفهم بعضهم في مواجهة البعض عارين أحياناً ، مقنعين حتى التخمة أحياناً أخرى ، وتروح من خلالها تكتشف عالم المجتمع والصعود والهبوط ، وترسم الصورة التي بها تفعل الاحداث والمطامع والاهواء في حيوات الناس . بهذا المعنى يمكن النظر الى « ليلة المليار » على انها عمل ادبي كبير . غير ان هذا لا يكفي ، اذ ان غادة السمان لا يفوتها هاهنا ان تشتغل على الشكل الفني (او على الاشكال الفنية ، لان لا شكل فني واحد في « ليلة المليار ») من تيار الوعي المتدفق ، الى اسلوب الحكواتي الحياضي ، الى اسلوب الامتزاج العاطفي بالشخصيات ، الى اسلوب الراوي المتورط ، الى الاسلوب البوليسي في حبكة تنتهي كفكاهة سوداء على النمط الانكليزي .

حول «ليلة المليار» ذات الأربعمئة صفحة ، كان هذا الحوار مع غادة السمان . . . حوار انطلق من الرواية الجديدة ، ليتناول بعض الهموم الأدبية والخاصة التي لا تكف عن اغراق غادة السمان في بحيرة القلق والانتظار .

● غادة السمان ، ماذا تكتين حالياً ؟ نعلم انك انتهيت من نشر روايتك الجديدة

« ليلة المليار » في كتاب . . ماذا بعدها ؟

- أعمل على كتاب جديد هو « اشهد انني احب »* . واكاد انجزه ، وانوي نشره في حلقات اسبوعية او شهرية قبل جمعه في كتاب ، وهذا العمل يشبه بنمطه كتابي « اعلنت عليك الحب » .

اعد للنشر كتاب « البحر يحاكم سمكة » وهو الجزء الثاني لكتابي « القبيلة تستجوب القتيلة » ، وحين انجزه سأحضر كتاب « الأعماق المحتلة » ويضم مجموعة كتابات منشورة لا اريد لها ان تحترق . . . ومن يحيا فترة في بيروت تحت امطار القصف المتوحش ، يفهم خوفي على اوراق الهشة ، العاشقة لعناق النيران . . . لقد احترقت مكتبي في بدايات الحرب ، واستطعت جمع بعض اعمال من (ارشيفات) المجلات والصحف ، واصدرتها في كتب منها « الجسد حقيبة سفر » و« كتابات غير ملتزمة » و« زمن الحب الآخر » و« السباحة في بحيرة الشيطان » وسواها . . اما اليوم ، وانا ارى (ارشيفات) المجلات تحترق واحدة تلو الاخرى ، والمباني الصحافية تسقط فريسة للقصف والدمار ، اشعر بأنني ملاح وحيد تغرق سفينته وعليه ان ينجو بأوراقه بنفسه . .

ماذا بعد « ليلة المليار » ؟ رواية جديدة تتجمع خيوطها كالسحب النارية في أعماقي ، ولا أظنني سأجد الوقت (لارتكابها) والعمل عليها قبل أوائل الربيع الباريبي المتجلد .

● « ليلة المليار » تتحدث عن الحرب اللبنانية بطريقة مختلفة عن « كوايس بيروت » . . . ما الذي تغير ؟ ولماذا رواية أخرى عن تلك الحرب ؟ - بصدق : لا أدري .

استطيع ان اسوق اليك عشرات الأعذار المنطقية والتفسيرات النقدية ، كأن اقول لك ان اسطورة جرمانية واحدة هي مأساة « فاوست » جذبت عشرات الادباء لكتابتها كل على طريقته ، افلا تستحق مأساة وطن ان يكتبها المرء ويتناولها من زواياها اللامتناهية ؟ واذا كان « جوته » كرس اربعين عاماً من حياته لأسطورة « فاوست » ، الا يستحق الموت اللبناني الفلسطيني العربي في لبنان وقفة واحدة على حافة البطولة والعبثية في آن ؟ . .

(*) بدلت اسم الكتاب فيما بعد الى (اشهد عكس الريح) .

ولماذا يكتب عن « فاوست » كبل من كريستوفر مارلو (الشاعر البريطاني) ، وجوته ، وتوماس مان ، ولورانس داريل وغيرهم ، ولا نكتب نحن عن انعكاس التمزق العربي على شاشة بيروت الدامية أكثر من عمل واكثر من مرة ؟
استطيع ايضاً ان احدثك عن المادة الروائية الخام الغنية بين اصابع كاتب عايش جرح بيروت نزفاً نزفاً عاماً بعد آخر . . .

ولكنني ، بصدق ، لا اعرف بالضبط لماذا كتبت « ليلة المليار » ! . . . مع عمالي ، دوماً يحدث الأمر على هذا النحو . . . انني لا ابدأ (بأيدولوجيا) اريد التبشير بها ، او بسبب (منطقي) يقنع الناس . الرواية كالطفل ، تولد ، وحضورها هو مبرر وجودها ! . . .

● يمكننا ان نتعرف في روايتك على شخصيات تشبه الحقيقة ، ما هي حصة الحقيقة ، وما هي حصة البعد الروائي ، وكيف تنظرين الى الشخصيات ؟
- حصة الحقيقة من الشخصية الروائية هي كحصة النطفة من الانسان ، انها هناك في كل شيء ، لكنها ليست هي نفسها ، فالمرء « سرايه » لكنه بالتأكيد ليس نسخة عنه .
وكلما نمت الشخصية خلال الكتابة ، تضاءلت (حقيقتها) المنقولة ، ونمت حقيقتها الروائية ، حتى تأتي لحظات تخرج فيها الشخصيات من يدي ، وتغادر « مرحلة الدمية » الى مرحلة « الحياة الروائية » . . . ويصير سلوكها مستقلاً عن المخطط الأصلي للرواية غالباً ، وتخرج قطارات أفعالها عن السكك المرسومة لها قبل كتابة الرواية . .
واشعر بالنشوة والذعر معاً : « ها هي تحيا حياتها المستقلة ، فاستعدي ايها الكاتبة للمفاجآت » ! . . . دوماً يحمل لي معظم ابطال قصصي مفاجأة في سلوكهم واقوالهم لم تكن على (جدول اعمالهم) قبل كتابة الرواية . . واتحول في بعض اللحظات الى مجرد عين ترصد حياتهم المستقلة ، ويد تسطرها على الورق . . . اي الى اداة . . . مجرد اداة لم تعد قادرة على التدخل في مصائرهم وأقوالهم ، والا قتلهم انسانياً وفنياً واعادتهم بالقوة الى حظيرة الدمى المتحركة . .

وأحياناً اجدني اصرخ في احدى بطلاقي كما حدث لي في « ليلة المليار » مع شخصية « كفى » : أرجوك يا كفى ، توقفي عن هذا الجنون . . . عيب يا بنت (!) . . . ستسببين بمنع روايتي ! . .

وكما ترى ، انظر الى الشخصيات كحيوات مستقلة ، لكنها تحمل خصائص المجتمع الذي تنتمي اليه بسموه وسقطاته ، وتتابع غموها المستقل لامبالية بي وبمخططي

الروائي المسبق ، ويرأي الناس في سلوكها ، والنقاد . . . وأنا التي اتعب معها اثناء الكتابة ، ثم اتعب (اكثر) بعد النشر ، لانني اعتبر مسؤولة عن سلوكها . . . وكل ما فعلته هو انني نقلت بصدق حكايتها . . . واذا كان ثمة ما هو غير (لائق) ، فالمجتمع ككل مسؤول عنه ، لا انا ، فهي بنت مناخاتنا العربية بمافيها من سمونبرزه ، وسقطات تستر عليها . . . وذنبى الوحيد انني اعلنت الصدق ، بدلاً من قتل الشخصيات وتحويل حنجرتها الى شريط تسجيل يثبت كليشيات تقليدية مكرسة ومخنطة في قوالب الزيف والرياء . .

مع شخصياتي ، قلبي المرأة ، لا المخرز . . . ولكن ما ذنبي اذا كانت الحقيقة احياناً جارحة تصفع العين الالهية كالمخرز ؟

● نعلم ان رواياتك تترجم الى لغات عديدة . . كيف تنظرين الى ترجمة الاعمال الادبية العربية الى لغات اجنبية ؟

- اراها ظاهرة صحية تستحق المزيد من النمو . . لكنني لا أخفي عليك انني معنية بايصال الكتاب العربي الى القارئ العربي قبل الغربي . . . لقد شعرت بغصة مثلاً حين صدرت روايتي « كوايس بيروت » بالبولونية ، وكانت في طبعتها الاولى تقع في عشرين الف نسخة ، اي اكثر عدداً من طبعتها الاولى العربية وزادت الغصة حين طبعت موسكو ٥٠ ألف نسخة منها . . لماذا ؟ لأن الكتاب العربي يواجه مجموعة من (الحواجز) التي تعرقل تحركه ومسيرته في مياحه الاقليمية ، كمشكلات التوزيع والبيروقراطية وتختلف مستوى التعامل مع الكتاب حتى درجة تحويله الى سلعة سريعة العطب في بعض الاقطار ، وعدم الدعم الرسمي له احياناً اسوة بضروريات الحياة بصفته الغذاء الحقيقي لطموح الروح . . . والعراقيل التي تواجه مسيرة الكتاب العربي صوب القارئ تتزايد بدلاً من ان تتناقص في غير قطر . . . ان المؤتمرات الثقافية والتواصل بين الادباء والنقاد خطوة جيدة ، لكنها تتحول الى رحلات سياحية فارغة من المضمون الحيوي اذا كانت كتب اولئك الادباء والنقاد ممنوعة من التجول هنا وهناك ، وها هم يجلسون حول مائدة العروبة تحت شعارات التواصل ومد الجسور وليس بينهم من قرأ كتاباً للآخر - الا نادراً - لأن الكتب غير موجودة في المكتبات ، وبعضنا يضطر الى فتح مكتبة خاصة بتوزيع كتبه على الذين يشتهي ان يطلعوا على حروفه . . . وما اكثر الاحباب في هذا الوطن العربي وما اصعب الدرب الى بعضهم ! . .

● كيف تنظر غادة السمان الصحافية الى غادة الكاتبة والعكس بالعكس ؟

- نظرة (الضرة) الى غريميتها ! . . .
نظرة غير عدواة وكراهية احياناً ، حين تحاول احداهن ان تستأثري .
وانا-لا اعدل بينهما ، ودوماً انحاز الى غادة الكاتبة ، واستغل غادة الصحافية
لخدمة الكاتبة . .
واحياناً اشعر بان الخلاف وهم ، وان كلاً منهما تكمل الاخرى وتسهم في
نموها . . .

ولكن صوتاً مبهماً في اعماقي يحذرني باستمرار من السقوط النهائي في ذلك الفخ
الشهي الحبيب : الصحافة . . . ودوماً اطيع ، وابتعد عن الصحافة سنوات ، وحين
اعود ، اعرف ان العودة مسخرة لغادة الكاتبة : فالعمل الصحافي يمنح حروفي نبض
الحياة اليومية الاليفة ، وايقاع الهموم العملية لابناء وطني . . . والعمل الادبي يخمر ذلك
كله في خابية الاعمق والابقى . . .

● نعلم جيداً رأي القارئ العربي بك من خلال اقباله الشديد على قراءة
اعمالك . . . فما رأيك انت بالقارئ العربي ؟

- انا معجبة به اكثر من اعجابي بالذين يدعون الوصاية على افكاره ويعصبون عينيه
بحجة حمايته . . اعتقد ان القارئ العربي اذكى مما يتصور الكثيرون واكثر عمقاً ،
وهو يمتاز على القارئ الغربي بالخصوبة الانسانية العاطفية المرهفة ، الى جانب الوعي
العقلاني الهادئ . .

ربما كانت علاقتي مع قارئتي هي علاقة الحب الوحيدة التي لم تسبب لي ألماً في
حياتي . .

● منذ زمن بعيد لم نعد نقرأ قصصاً قصيرة لك ، فما السبب ؟ هل هو فقدان للحظة
الموقف ، ام انك تترتاحين اكثر للعبة بناء الشخصيات والعبث بها وبصراعاتها ؟
- انا مثلك ، اطرح على نفسي هذا السؤال ولا اجد له جواباً شافياً ، لدي مجموعة من
القصص القصيرة التي اشتهي كتابتها ، لكنني لا ادري كيف ، اجدني غارقة في كتابة
رواية جديدة وقد ازحت قصصي القصيرة جانباً ، مثل حب لا يُنسى ، لكنه غير ممكن
التحقق الآن لأسباب اجهلها ، واطلق عليها اسماً شائعاً مزوراً هو « ضيق الوقت » .
الدكتورة الهام غالي في كتابها « غادة السمان الحب والحرب » تطبق على اعمالها مبادئ
علم الاجتماع الأدبي وترى ان عزوفي عن كتابة القصة القصيرة مرتبط بالحرب .
كيف ؟ لا بد من قراءة اطروحتها التي تصدر قريباً في عملها الأول المنشور .

● أخيراً . . . هل تعتبرين نفسك كاتبة منفية . . . ام انك تبتعدين عن الوطن لترينه بشكل افضل ؟

- اعيش « محطة انتظار » على أمل العودة الى الوطن في أسرع وقت .
حينما ينفي الوطن القيم الانسانية ، وينفي الحوار العقلاني والعدالة والمحبة ،
يصير كل مقيم في الوطن منفيًا الى الوطن . . .

حينما حكم علينا بعض سارقي الثورات بالاقامة داخل فوهات المدافع ، وحولوا
بيوتنا الى خنادق وأماكن عبادتنا الى جبهات واطفالنا الى قتلى بلا وجوه ، صرنا في الوطن
منفيين الى الوطن ! . . . فرحلنا وقلوبنا تدمى على الشهداء الذين سقطوا في مواجهة
العدو الحقيقي الصهيوني ، وتم نفي ذكراهم حينما لم يمش بقية المسلحين على
خطاهم . . .

حينما تدور الحرب في بيروت بين ابناء الصف الواحد بدلاً من ان تدور في تل
ابيب ضد العدو الواحد ، نتحول جميعاً الى منفيين عن تاريخنا واهدافنا واطنانا واحلامنا
ايضا تحركت اجسادنا .

لقد كنت منفية الى الوطن حينما كان القتال يدور في برج المرو و برج رزق في
بيروت ، بقدر ما انا منفية الى الغربة تحت برج ايفل و برج مونبارناس في باريس . . .

من كل بحر موجة

● ما يجعل المساواة عسيرة هي اننا نريدها
مع المتفوقين علينا .

- هنري بيك -

● الثورات تجتذب اولئك الذين لا يملكون
المؤهلات للدخول الى المؤسسات
الاجتماعية التقليدية كما تجتذب اولئك
الذين هم أفضل من ان ينتموا الى تلك
المؤسسات .

- برناردشو -

● الزمن معلم عظيم ، لكنه للأسف يقتل
جميع تلامذته .

- برليوز -

● يقول الناس « العدالة » ولكنهم يعنون
« الثراء » .

- امرسون -

حليم الاعرجي يستجوب

- اعيش انتمائي الوحيد والحقيقي
الى أرضي العربية .
- بغداد ؟ عمر كي تعرفها وعمر كي
تنساها .

خبر في احدى الصحف . . . يقول ان غادة السمان في بغداد ، احمل أوراقني
لالتقي بها . .
وجه شاحب . . تغطي نصفه نظارات معتمة . . ترتدي بنطلونا ازرق وبلوزة
جوزية . . تتدلى فوقها « رصاصة » محمولة على سلسلة دقيقة . . . تشدني الرصاصة
المعلقة على صدرها . . . اركز عليها اكثر فأكثر لا شك ان هناك الف الف علاقة ما بين
الرصاصة والكلمة . . . وها هي ترقد على صدر غادة تعبيرا عن هذه العلاقة ، وتفطن
غادة لنظراتي المركزة على الرصاصة .
« انها تذكرني بكل لحظة صراع مرير عشناها من اجل البقاء من اجل التقدم
والرخاء . . . »

حقا . . . الانسان تخلقه الحوادث والتجارب الكبيرة .
غادة تتحدث الآن بنضوج سياسي مركز . . هي الآن غواص تجاوز حدود
الذات ليلتهم من قعر الاحداث ، عواملها الحقيقية ودوافعها الاساسية . . .
وابدأ معها . . . عن الاحداث الدامية .
- سجلتها على طول ٥١٠ صفحات في روايتي الجديدة « كوابيس بيروت » . . . التي
قضيت عاما كاملا انتزف كلماتها على اوراق غابات الليل . . .
● اذن غادة تكتب وسط الدم والدمار والدموع . . . تكتب رواية تسجل فيها كل
الاحداث . . . كل الالام والاحزان . . .
لا شك انه تطور جديد يستحق الدراسة والتحليل . . . واعدود ثانية اسأل . . .

وماذا عن النتائج المتحققة بعد ان اوقف القتال . . ؟
- القتال لم يتوقف بعد . . . ولم تنتقل من الحرب الى السلام ، لكننا انتقلنا من الحرب الى الحرب . . .

ارفع جلد الغابات والثلوج والشواطىء وأنهار العسل والنبيد عن جسد لبنان ،
وحدق جيداً . . . انه الجرح هناك ، ساكن وحي كاللغم ، شاسع كالليل .
أقول لك : نحن الآن في حالة حرب « مع وقف التنفيذ » . . . وما دامت
« الانعزالية » تحاول تقسيم لبنان وتغريبه عن عرويته وقوميته وثورته ، سيظل الجرح
ينزف . . . وسيظل الفداء دربنا الوحيدة .

● وهل كان للأدب والفن في لبنان دوره في تفجير التناقضات داخل المجتمع العربي في لبنان . . . ؟

- هذا سؤال جميل لانه يتضمن اعترافاً بمقدرة الفن على اداء دور تفجيري . . . قد تكون
تلك مقولة بدئية الا ان اكثر النقاد والكتاب العرب لا يؤمنون بذلك حقاً رغم
تشديقهم به .

اليك هذا المثال الحزين : حين انفجر القتال في لبنان ، الغت الصحف صفحاتها
الادبية . . . من الطبيعي ان تقدم على ذلك بعض الصحف لان الفن بمفهومها هو مدح
الحاكم والتهريج في بلاطه . لكن المفجع انه حتى اكثر الصحف « الثورية » سقطت في
الفخ نفسه . وعبرت بذلك عملياً عن رؤيتها القاصرة لدور الفن كأداة حقيقية للتبديل
حيث يصير الحبر باروداً والقلم رصاصة . .

نعم كان للفن دوره في تفجير التناقضات اللبنانية . . . لا المبدع منه فحسب ،
بل والسيء ايضاً . . . « فالفن » السيء الرسمي المزيف كان يزيد الفرد اللبناني وعياً
بغربة الحاكم عنه وغربة اجهزة اعلام ذلك الحاكم عن جراحة وعن تطلعاته .

● والى اي مدى تستجيبين للتجربة الذاتية في نتاجاتك الادبية . . ؟

- استجابة ليس مبالغاً بها الى حد تحويل نتاجي لمجرد تسجيل يومي لمذكراتي الذاتية ،
وليس مبالغاً بالهروب منها الى حد تحويل نتاجي لمجرد سجل خيالي لانسانة مكتوبة حياتياً .
ولكنني اعترف لك : هنالك لحظات يخيل الي ان عادة الادبية تقبض على عادة
الانسانة باصابع حديدية لا ترحم ، وتسخرها لاجل اكتشاف المزيد عن الطبيعة البشرية
وبالتالي اغناء فنّها .

يخيل الي احيانا ان غادة الانسانة ومن حولها مجرد فئران اختبار في قلعة جهنمية تسيطر عليها غادة الكاتبة . . .

لكن ما يعيد الطمأنينة الى قلبي ، هو ان هذه اللحظات تمر كومضات الرعب ، سريعة وعابرة ، وفيما تبقى هنالك نوع من الوحدة المتناغمة بين حياتي وفي . . . وهنالك انسجام حقيقي اكبر من مجرد التواطؤ .

● في كتبك قبل الاحداث الدامية . . . كان يبرز واضحا اعجابك بلندن وضباب لندن وحياة لندن . . . فهل لا زلت كذلك . . . ؟

- من يقرأ كتبتي بامعان يكتشف انني لست « معجبة » بلندن بمعنى الانبهار ، ولكني درست في لندن عدة سنوات وبالتالي أقمت فيها . . . وكان لا بد من ان يظهر اثر ذلك في اعمالتي بصورة مرحلية .

ولو كان اعجابي بلندن قضية اساسية في حياتي لما وجدتني أقضي الحرب الاهلية في بيروت ، اعيش انتمائي الوحيد والحقيقي الى ارضي العربية ، ولوجدتني تائهة في ضباب لندن مهاجرة الى خدرها وحاناتها وقطاراتها وفجرها المغبر الحزين كما فعل الكثيرون .

● غادة السمان ليست اديبة فقط . . . بل هي صحفية ايضا والعمل الصحفي عمل مرهق قاتل . . . يمنع المرء من الابحار في عالم البحث عن الحقيقة في داخل الاحداث ، فكيف امكن لغادة التوفيق بين التناقض القائم في كونها اديبة وفي كونها صحفية في آن واحد . . . ؟

- تقول غادة السمان :

نعم تتناقض في احيان كثيرة ، ولكن الصحافة هي وسيلتي لكسب رزقي « فأنا لا انظر الى الزواج كوسيلة لذلك » ، وقد جربت عملاً آخر « عملت كمدرسة جامعية بعد تخرجي مباشرة » وكانت تجربة بائسة بالنسبة الي ، لانني افتقر الى الانضباط الاكاديمي ، وطبيعتي تؤهلني للعمل مزارعة في الحقول اكثر من استاذة في الجامعة .

ولكن الصحافة اغنت عملي الادبي برافد اساسي هو الاحتكاك بالبشر والحياة اليومية على المستويات كافة ، وانقذتني من السقوط في « البرجعاجية » التي تدمر الاديوب بشكل نهائي وتحوله الى صائغ الفاظ لمعان وافكار وقيم حياتية ببغائية .

● كان لا بد للجلسة مع غادة من ان تنتهي فالوافدون اليها كثيرون . . . والاستحواذ

عليها من دونهم امر مرفوض على المتعطشين لسماع الكلمة العذبة وسط ركامات
المدافع وانهار الدم . . .

سؤال اخير . . .

بغداد . . . روض الادب والشعر . . . مبعث وحي الالهام . . . كيف تراها
غادة الآن وهي ترفل بمجد الثورة تبني الحضارة والتقدم . . .

- اراها ولا اراها .. اراها كما رأيتها دائماً ، حلماً ذهبياً طالعا من النار والماء ، منشورا
على قباب المستقبل . . . اراها كخبز الالهة ، كلما ذقته ازدادت جوعا . . . ارى جهلي بها
كلما رأيت المزيد منها . . . فأنا امر بها كفراشة الذكرى ، ما اكاد احط على اسورها حتى
يأتي وقت الرحيل . . . بغداد ككل المدن العربية العريقة : تحتاج الى عمر كي تعرفها ،
والى عمر آخر كي تنساها .

عبد الغني طليس يستجوب

● لحظة الشعر مخدر يطلق اللسان
والذاكرة واللاوعي .

كل المصادين بالشعر غرباء ، طيبين غرباء ، مقتولين غرباء ، وحين تكشفهم
قصائدهم يهربون خوفاً وحياء ، ويجلسون على عرش الجزيرة : رعيتهم العصافير ،
وفي ثيابهم يختبئ فرح الحقول البعيدة ، وحزن الحقول .

« اعلنت عليك الحب » تصرخ غادة السمان . السيدة التي تشتعل اللغة بين
أصابعها . امام السنايل تشتعل ، وخلف القمح . خصوصيتها واضحة في ارتفاع
الشمس وفي انخفاض الوادي . في وقوف الشجر وفي نوم العشب . قويا تصرخ
السيدة . الشرق ايضا . تبقى للعاشقين الامكنة ، وينتصر الحب .

● طير « البوم » نذير شؤم وخطر . الا عندك فهو الوداعة والبراءة . وقد جعلت منه
شعارا لدار النشر التي تسمى باسمك ، « منشورات غادة السمان » . فسري رؤياك
المعارضة هذه ؟

- ان كره الناس للبوم ناتج عن افكار متوارثة . واكثر الذين يكرهونه لا يعرفون شيئا عنه
غير الشائعات . انه طائر « سيء السمعة » واكثر الناس تتخذ الشائعة لديهم صفة
الحقيقة القاطعة فلا يكلفون عيونهم عناء نظرة جديدة حيادية .

ان هذه النظرة تكشف انه طائر بريء كبقية كائنات الطبيعة ومن حقه هو
كـ « بوم » ان يتشائم من الانسان ، ولديه اسباب « موضوعية » لذلك ، فان الانسان
يعتدي عليه ويؤذيه دونما مبرر .

ان البشر ، بشكل عام ، يخافون من صوته ويعتبرون زعيقه نذيرا بالشر ، ولكنه
حين يزعم لا يقصد تخويف الانسان ، بل كل ما في الامر ان حباله الصوتية شبيهة
بالحبال الصوتية للانسان ، وصوته نداء لممارسة الحب مع الحبيبة والاصحاب وبقية
الخلان ، انما ما ذنبه اذا كان صدر الخلق ضاجا بالمخاوف ، ويجد في « الموال الغرامي »

لليوم مرآة مخاوفه وخطاياها ؟

صحيح ان نظراته ترعب الانسان ، ولكنه كطائر ليلي يمتلك عينين شاسعتين توحيان انه يتأمل في الغيب ويعرف الاسرار . وهو في الحقيقة يتأمل اوكار القوارض والاسماك وغيرها كي يحمل الطعام الى صغاره . وليست مسؤولية اليوم اذا كان الضمير البشري مثقلا بالحس بالذنب والنوايا السيئة فترعبه عينان تحدقان فيه بصمت اتهامي .
بصراحة : الناس يتشاءمون منه وانا اتشاءم من الناس . ولا اعتقد ان صرخته قادرة على ايدائي اكثر من همسة حب كاذبة من حنجرة بشرية .

ثم ان موقفي منه هو مجرد تعبير بسيط وجزئي عن موقفي العقلاني العام من الاشياء . انني اكره الهرب من مجابهة اسباب الشر الحقيقية في هذا العالم وارفض ان ارمي بها على تفسيرات غيبية . فمثلا : اذا رسب « احدهم » في الجامعة ، لا يكون السبب ذلك اليوم الذي نعق امام بابه ، بل السبب هو ان المناهج سيئة ، او الاستاذ لم « ينطق » في الصف جيدا ، او انه ، هو ، كان ينطق في احد المقاهي أو الهاتف بدلا من الدراسة . . . لكن احدا لا يريد ان يواجه خطاياها الشخصية ويجد انه من الاسهل ان يحمل اليوم المسؤولية بدلا من ان يطالب بتبديل المناهج او الاساتذة ، او تبديل ذاته ! .
انني اتفائل بالعمل . بمواجهة الواقع . بالصدق . بالمحبة . بالتفهم . وارفض ان احمل بوماً ، حتى ولو كان بوماً بشرياً ، مسؤولية تغطي في الغم .
تاريخياً : من المعروف ان اليوم كان رمز الحكمة لدى الاغريق ، وما زالت صورته الجميلة تصك فوق عملتهم المعدنية .

● الفن عموماً ، بنواحيه الخصوصية يكون مرآة الشعوب ومقياس الحضارات .
وعندنا ، يقال ، ان الفن العربي يجتاز الآن مرحلة الانتقال من العادية الى القمة .
كيف تتصورينه في المستقبل ؟

- ذلك يتوقف على ما يقصدونه « بالقمة » . فاذا كانوا يعنون بذلك قمة كوم من النقود فهذا ممكن . اما اذا كانوا يقصدون قمة العطاء الفني الى حد اختراق الاقليمية ووصول الحدود الانسانية العالمية فتلك مسألة فيها نظر !

لكن ، ليس في وطننا العربي فنان مثل « فون كارايان » يطير الناس من انحاء الدنيا كلها للاستماع اليه وهو يقود (الاوركسترا) متوجاً بحق على عرش الشهرة ، والمكانة العالمية ، وله جمهور حقيقي على المستوى الانساني . وحين استمع الى « فون كارايان » يعزف برامز او بيتهوفن ، فأنا لا امارس متعة الشعور بالتفوق على شعبي العربي

الذي انتمي اليه حتى نخاع عظمي وانما اشعر بذروة التفجر والحياة والموت والعشق والانكسار في آن معاً : اي اعني وجودي كإنسانة في المطلق واخرج من جلدي الاجتماعي الهزلي .

نمر بمرحلة انتقال ؟ لمراحل الانتقال عادة مؤشرات وانا لا ارى شيئاً منها . أبرز مراحل الانتقال الى القمة هي : الجدية . الثقافة . احترام التراث المحلي والعالمي . الوعي . بذل الجهد حتى الاحتضار . اني اقول هذا الكلام وفي خاطري عباقة ماتوا دون لمسة حنان من عصرهم . « موزار » مجهول القبر . « باخ » استعملوا نوطاته الموسيقية كاوراق مهملات يلفون بها بضاعة البقالين « شومان » قذفوا به في مصحح للمجانين دوغما وعي بعبريته . . والامثلة كثيرة . فأين الفنان العربي من نماذج كهذه ؟

● والفن بمعناه الحقيقي ؟

- الفن رائع عندما يتخذ معناه الحقيقي الشاسع : البحث عن الحقيقة . عن الانسان . عن الصدق . عن الابداع . واكثر الفن لدينا ما زال يركب موجة البحث عن التصفيق ، عن الشائعات ، عن التهريج ، عن الركافة ، عن المقالب الصغيرة الحفيرة ، عن الشيكات ، وباختصار ، عن العهر الفكري والمالي والاجتماعي ، من مستنقع كهذا لا يمكن لصرخة حق وصدق ان تولد وتنطلق . والفن هو الحق والصدق .

اتحدث هنا بصورة عامة لان صيغة السؤال جاءت عامة ولكنني لا استطيع الغاء بعض الذين يمنحون باخلاص في مراحل حياتهم الفنية الجيدة ، وقبل ان يتم تدجينهم وقص اظافر ابداعهم . ولا الغي بعض الذين مازالوا في هذه اللحظة يكافحون بصدق ليخرج صوته الى الناس وهم يعون ، ان بيع حنجرة الصدق هو احيانا الثمن لامتلاك ميكروفون .

من هنا ارى اهمية الدور الذي يمكن ان تلعبه المجالات الفنية . دور تثقيفي ، توجيهي ، عادل ، يسهم في ردم مستنقع التفاهة ويحرمها من اية مساحة في الصفحات ، ويساهم في تكريس العلم والثقافة والتراث الحضاري كخلفية ضرورية واساسية لبناء فن يمس ولو حدود القمة .

● وكيف تتصورين الفن العربي في المستقبل ؟

- اقول لك بصدق : لا اتصوره منفصلاً عن روح الانسان العربي وتراثه (كان لي صديق ينشد اغاني عبد الوهاب القديمة ليلاً فيفجر روجي نهرا من العذوبة والحنان والرغبة في العطاء على الصعيد الانساني) لكنني ايضا لا اتخيله خارجا عن روح العصر

وتراث الشعوب المذهل في هذا المجال . ان عصرنا ينتظر عبقرية حقيقية قادرا على مزج العناصر في بوتقة ابداعه . ونتمنى لهذه المرحلة الانتقالية الا تطول كما طال تطور البشر من قرد الى انسان . فالانسان لم يولد بعد حقا ، والتطور ما زال يرسم المجهول .

● كلام لحبيبي نازف في وجه المدن ومرور ليديها على العتق ، هي الموسيقى . اكثر : جبل انتشال من قاع الصحارى . وردة الركوع عند باب الله . وحين غيابها ، اول الكون ينهار وآخر الكون . ويسقط الزمن فارغا . اية موسيقى تستمعين ؟

- استمع الى اية موسيقى اصيلة . احب الشرقي المفرط في الشرقية . والغربي المفرط في الكلاسيكية او الحداثة . وحين اتحدث عن الشرقي القديم ليس بوسعي ان ادعي وجود تسجيلات للموصلي او زرياب ونجوم كتاب « الاغاني » للاصفهاني . وانما اعني الذين استطاعوا ان يحافظوا في موسيقاهم على اصالة فنية غير هجينة بالاضافة الى ابداع ما ، ضمن اطار عصرهم ، وبالتالي ضمن اطار التراث الانساني المشترك . وهذا ، للاسف ، نادر في موسيقانا ، والذي يحدث ، حتى لدى اكثرهم (عبقرية) ، هو انك تستمع الى خليط من المقاطع المسروقة . فمن شرقية اصيلة الى « بيتهوفنية » الى « موزارية » الى « كازاتشوكية » الى موال لبناني جميل من حرقه قلب الصخر الشاهق . ان موسيقانا مجرد موزاييك تجميعي ، وهي بذلك تشبه قيمنا الاخلاقية ، وتشبه ثيابنا وسلوكنا الاجتماعي ، وتعبر تعبيرا اصيلا عن المرحلة الهجينة التي نعيشها .

● كما ارى تستمعين اولا بكل اصيل ؟

- وثانيا ، بكل ما اعتادت اذني التقاطه في الطفولة . الاستمتاع الاول اكثر غنى وعقلانية . والثاني طفولي قائم لا مفر منه كعاهة فرويدية لذينة . فقد كان والدي ، الدمشقي العتيق ، يعشق عزف العود ، وقد ورث عنه ذلك رغم تفضيلي لالة الارغن . في هذه اللحظة اتذكر بشكل خاص ذلك الارغن في كنيسة صغيرة بقرية بلودان ، كنت ارافق اليها الفلاحة « وداد » وانا في العاشرة من عمري . واذكر كنيسة في روما اسمها سانتا ماريا في حي تراسيفري العتيق حيث كنت اجلس ساعات بانتظار الارغن دون ان افهم شيئا من كلام الكاهن . واذكر كنيسة في لندن بحي لانكستر حيث شاهدتها هذا الصيف تتساقط فتساقط قلبي . كان فيها ارغن مذهل الاصوات . واذكر كنيسة كينغز كوليدج في كامبردج وكم رافقت اليها المرحوم الشاعر توفيق صايغ لاستمع الى ارغن يشق صدري وصدر السماء بموسيقى « باخ » .
انتزع نفسي من الارغن واعدت الى الاستمتاع غير العقلاني بالموسيقى . انني ،

مثلاً، رغم قراءاتي الحديثة، عاجزة عن الاستمتاع بما يدعونه اليوم في أوروبا «الكلاسيك الاولترا مودرن» ومن أشهر نجومها «بيلا بارتوك» و«روبرتو جيرهارد». «بارتوك» لا يقول لي شيئاً وجيرهارد أيضاً. فمع الحركة الثانية من سمفونيته «ميتامور فوسز» اشعر بحنين الى «انا هويت وانتهيت». لكنني اقف بحذر من موقفي هذا، ولا انجرأ على القول بما احسه: «انها رهيبة، مزعجة، مملوءة بضجيج سخييف مفتعل». لماذا؟ لان النقاد استخدموا هذه العبارات نفسها حين هاجموا منذ قرن ونصف القرن موسيقى بيتهوفن، وبالضبط سيمفونيته الثالثة الرائعة «هيرويك»، وكان ذنب بيتهوفن الوحيد انه سبق يومئذ عصره. والعبارات نفسها وصف بها «نيكولاي روبنشتاين» مقطوعة تشايكوفسكي الرائعة «بيانو كونشرتو رقم واحد» يوم عزفت للمرة الاولى عام ١٨٧٤. وهكذا، فأنا اقف بحذر من الموسيقى الحديثة جدا «لبارتوك وجيرهارد» وغيرهما. ورغم عدم استمتاعي بها اقرر: ربما سبقوا عصري. انا العربية البدوية مهما قرأت وتثقفت واطلعت، انا المفتقرة الى مناخ حضاري موسيقي حقيقي، تعرفت الى «باخ» في سن المراهقة بينما يعيه اطفال اوروبا في الساحات والحدائق العامة وهم في المهد.

● اي مغن او مغنية ولماذا؟

- الجميع، ولا أحد عربياً او غربياً. فلكل فنان تحليقه وسقطاته، وانا استمتع بلحظة التحليق المبدعة وأطير، ولكنني لا أجد نفسي - بالضرورة - مضطرة لتبني اغانيهم الرديئة فأنا لست من عبدة «الاسماء» والاصنام. لست وثنية. انني استمتع بلحظة التحليق المبدعة واطير. وهكذا ليس لي «مغن» او «مغنية» لي «اغنية».

● الانسان العربي، تربطه خيطان ودمع الطرب، وجسور. كيف يحدد هذا الرباط تاريخيا، خصوصا وقد كان الطرب، قديما، ملازما للشعر والشعراء؟

- اعتقد ان الطرب يبدأ داخل رحم الام، وان اول موسيقى يسمعها الانسان هي ضربات قلب امه. من هنا عشق «الايقاع» في الموسيقى، عشق «الحنان»، عشق «اللامتناهي»، عشق حلم الطيران الذي هو غوص في آن معاً. الايقاع، في ضربات القلب. الحنان، في ضمة الرحم ودفئه، اللامتناهي في لحظة سباحة الجنين في الداخل: الدفء المائي الشاسع بالنسبة اليه كما لو كان الابدية. من هنا تبدأ لعبة الايقاع انسانيًا وشموليا، يضاف اليها لدى العربي لعبة ايقاع الهودج... البعير... الخيل... ان ايقاع حوافر الخيل الراكضة الى الحبيبات او القتال هو الذي اوحى

للفراهيدي بأوزانه الشعرية اكثر مما فعلت مطارق سوق الحدادين كما تدعي الكتب !
لكن لعبة العربي مع الطرب بدأت تصير خطرة لانها انتقلت من مجال الطرب الى
السياسة ، ومن الليل الى « البرلمان » ، ومن الخيل والبيداء الى الميليشيات
وحيثما يخطب اي سياسي فيهم ، لا ينصتون تماما الى مضمون كلامه بقدر « طربهم » له ، ولا
يفكرون في ما اذا كان اعلانه لقرار ما ، سياسي ، عملا صائبًا بقدر ما تلعب مواهبه
المسرحية دورا في الاستزادة على طريقه « آه . . . يا سلام » والنتيجة احيانا حرب او
سلم . والسياسي في واد والشعب « المطروب » في واد . والخطر في « الطرب » العربي
انه يكاد يتحول الى ظاهرة سلبية سياسية تعطل ممارسة الديمقراطية وتسهم في عبادة الفرد
النجم الذي هو هذه المرة سياسي . وهنا المأساة الكوارثية . مأساتنا اننا نظرب في المكان
الخطأ للشخص الخطأ وللنغم الخطأ ، كأن بنا ذلك الجوع التاريخي الى الطرب ونحن
على استعداد لممارسته على الطيلة او على المدفع !

● مرات يسري نوع من الارتماج في علاقة ، المبدع مع العالم . ومرات يحدث نوع
من الهوى بينهما . اين انت من العالم ؟

- انا اسكن المسافة بين الزلزال والنسيان . بين الشرخ ، والمحبة التي هي ذروة
التلاحم

انا اتقدم من عالم يصير على العنف واصرخ فيه : « اعلنت عليك الحب » ، لكنه
يعلن علي الحرب بتهمة المسألة

انا لا استطيع احتمال عالم راكض في مدارات الرياء والخبث والزيف ، لكنني
ايضا اجد الركض وحدي في الفضاء ، ككوكب رمادي الثلج ، لعبة موجعة

انا الانتفاء الرفض ، لن اغادر تربتي وسأظل اشهق رعبا من الزلزال المحتوم .
غادة السمان ، اعلم ، انها لحظة هازبة ، تقترب وتبتعد ، نحيء ولا نحيء .

سألتها :

● الشعر لحظة . سقوط مطر او هبوب ريح . هل تستطيعين فتح لحظة شعرية
امامي ؟

- استطيع . . . لا استطيع . . . الشعر لحظة صدق . سقوط مطر الذاكرة فوق قحط
الحاضر . رقصة شمس المستقبل فوق صقيع اليوم العادي . هبوب ريح الاصوات
الهاربة خلف الزمن المنطفئ . التقط لك في هذه اللحظة بعض الأصوات . التقط ذلك
الدفء ، اللون ، الليل ، المناخ ، الضحك . . . وكنا على الشاطئ وغرقت دواليب

السيارة في الرمل وغرقنا في الدهول ، وتفجر صوته في اغنية قديمة لعبد الوهاب - كان يغنيها ابي - وامتد الجسر بين اللاوعي والوعي ، بين حنان الذاكرة وحنان الممكن ، وحاولت استيقاف السيارات « اوتوستوب » لانتزاع سيارتنا الغارقة من الرمال بعد منتصف الليل . . .

تشرذ غادة السمان نحو العميق . تتفتح الرسوم في عيونها ، تكمل :
- كنا قبيلة الضياع في ليل الغرباء . . . « والاوتوستوب » طريقنا الموهومة الى بر السلامة الذي هو مؤسسات تنتظرنا ، وهي في حقيقتها مؤسسات اغراق صدقنا وحقيقتنا .

الآن ، بعد مرور سنوات ، ما يزال صوته يثقب ذاكرتي : « يا وردة الحب الصافي » ، واتخيل باخلاص وصدق ان السيارة بحرية اللون ما تزال غارقة في الرمل ، وضحكتي المتفجرة في احشاء الليل صار صداها يشبه البكاء ، والشاطئ اضاف الى ذكرياته من ايام سفن الفراعنة والفينيقيين حكاية ليلة براءة وجنون .
ولحظة الشعر محرمة لانها مخدر يطلق اللسان والذاكرة . . في تلك الليلة كانت النجوم تنشد « هذه ليلتي » وكانت ام كلثوم تسرق الالفاظ .

● في هذا الخراب الكبير ، والذئاب ، تحول الانسان الى الضد . من العدل الى الظلم ، من المحبة الى الحروب . . . والحديث طويل . اي انسان تنادينه في حال استطاعتك الفعل ؟

- لا اناذي الانسان . الانسان حيوان منقرض يعاود تحوله الهزلي من انسان الى قرد كما لو ان للطبيعة دائرة عليه ان يعيد مراحلها . قرد : متخلف . انسان متخلف وعدواني وقادر على الدمار ، والدمار يعيده الى قرد . . . هكذا ، الى ما لا نهاية .

آه . اناذي الفرح الشاسع ، الضحك البريء العطاء المجاني . . . اناذي الدين كان قتل النمل لديهم يتضمن مراجعة ذاتية . يا اخي الا ترى ان النمل بدأ يتدفق من حناجرنا السيئة التحنيط ؟ اننا اموات مع وقف التنفيذ : تنفيذ التعفن العلني لجثتنا المتحركة .

تقول : في حال استطاعتي الفعل ؟ وحدي العاجزة . وحدي المسلحة ، ومثلي كل من يمسك بقوس الابجدية . وحدي املك ولا احكم . اعلن الصديق واعجز عن تطبيقه آنيا . انا الفنان ، الملك الاسطوري المجرد من صلاحياته ، والذي سببت الايام نقاءه كأبي كاهن اسطوري . فالمحبة ، دين التاريخ .

● ساعة الوحدة ، ماذا يخطر في البال ؟

- الوحدة كلمة رمزية . لا وحدة الا لحظة التخدير الكيميائية . ليست مأساتك الوحدة . مأساتك هي انك لا تستطيع ان تكون وحيدا ابدا . انهم يطاردونك : كل الذين عرفتهم وتوهمت انك نسيتهم . كل الذين لم تعرفهم وتوهمت ان شوقك الى اختراق مداراتهم مات . كل نبضة لم عشتها . كل لحظة توق ، كل لحظة خيبة ، كل لحظة هزيمة ، كل وهم بانتصار ، كل حلم ، كل جرح ، كل طعنة وردة وكل حنان شوك ، كل صرخة اتهام في وجهك ، كل قناع ارتديته وعجزت عن اخفاء ملامحك خلفه ، كل جبل ليلى عبرته الى حقيقة ليست حقيقتك ، كل هذيانك الصامت في بيروت الكابوسية ، كل كلمة حب كاذبة قلتها واقسمت عليها ، وكل نداء حب زائف اغمدوه في صدرك . . .

الفنان محاصر بالصدق حين يكون وحيدا . محاصر بمئات الصور والاصوات . محاصر بشريط الماضي الذي كان والمستقبل الذي لن يكون . محاصر بالجرح . الفنان هو ذلك المحكوم بالحرمان مع الوحدة . ذلك المحكوم بالسجن مع الزحام الداخلي . لا وحدة ولا التصاق : ذلك قدرنا الفاجع .

طال بنا الحديث . عن كل شيء تكلمنا . لم تزد في حاسة غادة السمان في الكلام الا شهية للاستزادة . دخل الحب عند هذا الحد دائرة الضوء :

● حبيبتى القت جدائلها فوق وجهي ليلاً ، وليلا رأيت الصباح . كيف يمكن لامرأة ان تكون مثل حبيبتى ؟

- ليست هنالك امرأة تستطيع ان تكون مثل حبيبتك . لا فينوس ولا مدام كوري . فحبيبتك ليست حبيبتك ، وانما هي قدرتك انت شخصيا على الحب . انت تخترعها . انت ترسمها . انت تملي عليها صوتها وكلماتها . انت تراها عبر الصورة التي خلقتها لها ، لا عبر ما هي عليه . . . انها ليست جلالها الشخصي او ذكاءها ، انما هي الجمال الذي تحلم به والذكاء الذي تخططه لها .

المرأة المحبوبة غير موجودة في العالم الموضوعي . انها توجد فقط داخل وجدان المحبوب . ومن هنا يحدث الانكسار البالغ بعد فراق العشاق . فالانسان لا يفارق حبيبته فقط وانما يفارق ايضا صورة ذاته الجميلة في خاطر العاشق .

من هنا ، الهزيمة في الحب مزدوجة . انها هزيمة الحب اولاً ، ثم هزيمة النرجسية ثانياً . وهزيمة النرجسية تخلف في الذات الما لا يطاق خصوصاً لدى المبدعين .

تبقى حالات الحب النادرة : حين يحب الانسان بعقله . حين يحب الطرف الآخر كما هو ، لا كما يتمناه . يحبه بسموه وسقطاته . ذلك هو الحب المفقود والفردوس المفقود . . .

● ليلا رأيت الصباح . . .

- ليلا رأيت الصباح يا اخي ؟ . . . (وكانت العتمة ضوءا يقودك اليها ؟) هذا هو الحب . ان تصير الشمس محرق الظلمات ، وان يتفجر الضياء من عتمة الليل . هذا هو الحب في قلبك ، في قلبها .

قلبي ؟ لا تسلني عن بئر الصمت !!

. . . واقفلت غادة السمان الكلام على كلام غريب بقي عندها في العمق متساقطا كالضباب او كالرغبة او كالثلج .

اول السطر : الى امرأة : قصيدي احترقت . اليوم الذي يحوي خنق نفسه ، والرصيف الرمادي قطع الطريق علي . حبيبي : يا قصري الجميل الذي اسكنه آمنة مطمئنا ، سلاما ، سلاما . لو امسكت الكواكب وعصرتها . لو حملت الارض وطرت بها . لو رجعت اشرب حزنك وأسقيك حزني لما استطعت ان افعل الا ان اسقط كغبار كروم الصيف عن ظهر القطيع ، واهتف باسم رجال العالم : ايتها الملكة . احبك ، احبك ، احبك .

دنيا جابر تستجوب

● التدجين يخدر الموهبة ويخنقها ببطء
ولكن باستمرار .

● من أنت ، الانسانة والأديبة ؟

- أنا كالناس جميعاً ، جرح وابتسامة . غيم وصحو . براكين مزروعة بالقمح وفي باطنها تغلي اللحم . طيور تستقر حيناً وتستكين الى غصن ما ثم تغلبها غريزة الهجرة والترحال . قلب مقيم وظل عابر . أما عادة الادبية ، فترك كتبها الـ ١٨ تتحدث عنها . . . ولعل عناوين بعض هذه الكتب تلخص حكايتها أمثال « عينك قدري » . « لا بحر في بيروت » . « ليل الغرباء » . « حب » . « اعلنت عليك الحب » . « الجسد حقيقية سفر » . « السباحة في بحيرة الشيطان » . « مواطنة متلبسة بالقراءة » . « ختم الذاكرة بالشمع الاحمر » . « كتابات غير ملتزمة » . وغيرها . ككتابة عربية استطاعت عادة الادبية ان تمد جسراً بينها وبين قرائها ، واقبالهم على كتبها هو الجانب الجميل الذي يميز فنها . فهي تؤمن بأن الكاتب بدون قارئ هو كالممثل في مسرح فارغ .

● في حديث سابق لك كان شعارك ان الكسل سر نجاحك فلإي حد لعب الكسل دوره في حياتك ؟

- الكسل سر نجاحي لسبب طريف ، فأنا كما ذكرت اعشق الكسل والاستمتاع بالحياة ، وبما ان الوسيلة الوحيدة للتخلص من العمل هي بإنجازه ، لذا فأنني أقبل على العمل بشراسة كي اتفرغ فيما بعد للكسل . لكن الذي يحدث هو ان العمل مثل كرة الثلج ، يتضاعف حجمها كلما تدحرجت . . . وها أنا غارقة في العمل مثل قطعة سقطت في البئر ! . . .

لقد لعب الكسل في حياتي دور المحرض على العمل ! . . .

● ما هي اسباب ولوجك باب الادب وما هي المراحل التي مررت بها ؟
- كأنك تسألين البحر عن المد والجزر وتطلبين من الأمواج شرحاً لركضها الدائم
كالاحصنة الزرقاء . . كأنك تسألين النحل لماذا العسل . كأنك تسألين الزهر لماذا
الشذى . كأنك تسألين الشتاء لماذا العاصفة . لماذا الأدب ؟ لا ادري بالضبط . لقد
حدث الأمر على هذا النحو!! المراحل التي مررت بها هي باستمرار : تكرار لحكاية
التحدي . . . تحدي الانسان لبعض قوى القمع المحيطة به . . . وتحدي الفنان لذاته
ومحاولته المستمرة لتجاوزها .

● تعشقين الرحيل والتشرد والصدقات المجانية والحب العابر والمقيم كما الذكرى
المقيمة والمطارات النائية . هل هنالك اسباب وظروف حولت حياتك وشخصيتك
للسير في هذا التيار المميز ؟

- الروتين هو العدو الأول للفنان . الروتين يسدل على الرؤيا الفنية جفناً سرية .
التدجين يخدر الموهبة ويخنقها ببطء ولكن باستمرار . العادة تجعل اوتار عود الابداع
تسترخي ، وتذهب برهاقتها .

الرحيل للفنان عملية غسل دماغ من الأفكار المسبقة . التشرد تعرية لجهازه العصبي
الذي يستعيد حساسيته المفرطة لنسمة ريح . أحب كثيراً ان أرحل ، كي التقي بذاتي
أكثر !

● هل لإحدى شخصياتك القصصية تأثير خاص على نفسك ، وأيها تطابقك ؟
- ليس بين أبطالي وبطلاتي من (يطابقني) ، ولكن لبعضهم مكانة خاصة في نفسي مثل
« نوف » بطلقة قصة « حريق ذلك الصيف » في مجموعتي القصصية « رحيل المرافئ »
القديمة .

● القلب في الأحاسيس من يوم لآخر . وكونك ملولة تحبين التغيير . ألا يعطي هذا
شخصيتك ، ومواقفك من الأمور اللون الرمادي ؟

- لست وحدي المتقلبة الملولة . . كثيرون مثلي ، وكل ما في الأمر هو انني اعلن حقيقيتي
وأعترف بذلك ! . . هذا الطبع الرديء جيد بالنسبة لي كفنانة . إنه قد لا يتمتع
اصحابي ، لكنه صحي بالنسبة لعملي . الابداع لا يطبق الالتصاق بحجر واحد ،
وزهرة الابداع برية ومتوحشة تنبت حيث لا تتوقع لها ذلك ! . . . إنني اجروء على
الصراخ في وجه الدنيا : هذه أنا على حقيقيتي . خذوني او ارفضوني . المهم ان تحيا
حروفي وتبقى .

● الى ماذا تعزين كثرة انتاجك الأدبي ؟

- الى الكسل كما ذكرت لك . إنني ببساطة أحاول ان اقول كل ما اشتهي قوله وانتهى
واتفرغ لكسلي ! حسناً لندع المزاج جانباً . اعتقد ان كثرة انتاجي الادبي ترجع الى
عاملين : ١ - انني لا أرضى في غدي عما اكتبه في يومي . لست راضية عن حرف كتبه
في الماضي واعرف انني لن أرضى عن حرف اخطه في المستقبل . ولذا فاني استمر في
المحاولة . ٢ - اقبال القراء العرب على كتبي يدفع بي الى المزيد من العمل . ان العلاقة
بين القارئ والكاآب شيء رائع ، كالحب . ان حبهم لحروفي يزيد من شهيتي للقاء بهم
على ذلك الجسر المضيء المدعو باللغة .

● ما هي أمنيتك ؟ مشاريعك ؟

- امنيتي هي باستمرار نفسها : بطاقة طائرة ، ورحيل جديد ومدينة لم أرها بعد ، وبحار
لم استحم فيها بعد ، وأصوات لم اسمعها بعد .
أما مشاريعي ، فقد علمتنا بيروت التقشف في الحلم . وأضحى المشروع اليومي
هو ان لا أقتل برصاصة طائشة لا أكثر ! . . . إننا نعيش هنا يوماً واحداً كما لو كان
عاماً ، فالحياة في ظل الموت تصبح حادة المذاق شرسة الطعم . . . ونعيش يوماً بيوم . . .
ومع ذلك ، فقد بدأت بكتابة رواية جديدة ! . . .

● ماذا تحبين . ماذا تكرهين ؟

- لا شيء نهائياً . ما أحبه اليوم قد اكرهه غداً . ما اكرهه اليوم قد أحسن فهمه غداً
وأحبه . هنالك اشياء نادرة أحبها باستمرار ، كالبحر والغابات والرحيل ، والنفوس
الصادقة مع ذاتها وسواها دونما خوف من حقيقتها ! . . .

● اللون والفصل المفضل عندك ؟

- اللون الأسود لعيني حبيبي . الابيض لزهرة في شعري . البنفسجي لسيارتي . الأحمر
لأزهارتي . الشفاف لأحجاري الكريمة . الأخضر لشرفتي .
أما عن الفصول ، فأنا أحب الشتاء حينما اكتب . الصيف حينما ارحل . الربيع
حينما أتأمل . والخريف حينما أكون عاشقة !

عاصم الجندي يستجوب

- عملت وأعلت نفسي مادياً منذ غادرت دمشق لأستقل .
- لا شيء ثابتاً غير ثبات الإنسان في وجه بعض المكدرات

● انت على ابواب مرحلة جديدة من انتاجك هي مرحلة « الأعمال غير الكاملة » فما اثر او آثار ذلك في عطائك الجديد ، بالاضافة الى الريح المادي ؟ ألا تخشين ان يؤثر ذلك على جديد عطائك ؟

- للوهلة الاولى خيل اليّ انه لن تكون هناك « آثار » غير آثارني التي اطبعها . . .

هكذا نخطىء التقدير دائماً حينما نخطط للاشياء فكرياً ودوناً ممارسة .

طبعاً ، كنت اتوقع الحصول على مبلغ من المال في مقابل كتيبي هذه ، وكنت اعرف سلفاً كيفية انفاق هذا المال . . . المال يعني مزيداً من حرية التحرك . السفر . الكتب . اللوحات . الموسيقى . القدرة على القراءة وتمثل السطور . المال يعني لفنانة مثلي المزيد من الحرية والثقافة ، لا الثياب والتشاوف .

المال يعني ان اقرأ هيغل بدلا من القيام بالاعمال المنزلية . وان اشاهد معرض هنري مور في لندن بدلا من الاكتفاء بالقراءة عنه في الصفحات الثقافية .

واتجول في متاحف العالم الشهيرة بدلا من الجلوس في المقهى . المال يعني ان استمع الى اوركسترا بقيادة فون كارايان تعزف لبيتهوفن بدلا من الاستماع الى اغنية « الطشت قاللي » للرفيقة المطربة (؟ لا اذكر اسمها !) .

ومحصلة ذلك كله ان « جديد عطائي » سيمتلك فرصة اضافية ليكون جديداً حقاً .

اعتقد ان صورة الفنان العربي التقليدية يجب نسفها . وان قدرتك على اكتساب

المال عبر فنك ليست بالضرورة الدليل على انك انحدرت به .
يجب ان نعي وجود معادلة لا يقتل الفنان بها ولا يفنى الفن . . .
لكن المحرك الاول والاساسي للموضوع هو حفظ آثاري التي احترقت مرة
بصاروخ الحرب اللبنانية واطبعها الآن كي لا تحترق مرة أخرى
لكنني ايضا اقول لك بصدق : لو حدث ان ضرب صاروخ الليلة مكتبي واحرق
مخطوطات « الاعمال غير الكاملة » التي اعمل عليها ، لوجدتني على استعداد للعمل
سنوات والانفاق من جديد للحصول عليها . فانا كالفنانين جميعاً . اعتبر اعمالي
السابقة ككل ماض ، لا يمكن تبنيه ولا انكاره . لكنني ارى فيها جزءاً حقيقياً من ذاتي
لا ارغب في التفريط به . وساتابع حياتي الادبية مثل فراشة شيطانية فقدت جناحاً من
اجنحتها المستمرة التكاثر ، (لكن شيئاً لا يستطيع ان يعوضها عن ذلك الجناح) .
اثر آخر في (جديدي) توقعته وتفاهمت مع ذاتي حوله : ان اهتمامي باصدار
اعمالي غير الكاملة سيستهلك بعضاً من وقتي .

لكنني قررت لذلك زمناً لا يتجاوز العامين . وتأكدت فيما بعد من عجزني عن
الالتزام بذلك المخطط .

الآن ننتقل الى الآثار التي لم اكن اتوقعها ، ويمكن تلخيصها بالخوف من عشقي
للعين للصحافة .

ها انا جالسة ، وامامي كتاباتي في الصحافة بين العامين ١٩٦٤ - ١٩٧٦ . اي ها
انا جالسة في قلب الليل وحوالي ترقص ١٢ ساحرة هي سنوات عملي الجاد في
الصحافة . وانا احرق بذهول وارقب الحصيلة : نصف ما كتبت تلك الاعوام انما كان
بذافع تأمين اقساط الدراسة الجامعية واجرة غرفتي بفندق « الكسندر » ببيروت . (فانا
قررت اعالة نفسي مادياً منذ غادرت دمشق لاستقل) .

اتذكر بذاكرة طازجة كرهيف . اي جهد انفقت كي اكتب تلك الحروف . بل
اكاد اتذكر اين كُتِبَتْ . وفي اي ساعة من الليل او الفجر ، وفي اية غرفة مفروشة او
حانة او رصيف . بل واكاد اتذكر لون مفرش الطاولة او السرير او السجادة او القطار او
لون جناح الطائرة ، واعرف ان ذلك كله يجب ان يذهب الى بئر النسيان .

في البداية ، اوجعني ذلك ، ان اكثر ما استمتعت بكتابته هو آني وعابر .
والمقالات التي تصلح للنشر في كتب سلسلتي « الاعمال غير الكاملة » والتي قاومت اثر

الزمن تكاد تكون نصف اعمالي والنصف الآخر يجب ان أرمي به الى النسيان . وقد فعلت .

في البداية قررت : منذ الآن فصاعدا لن اكتب الا ما سيبقى . . . لكنني الآن دخلت في مرحلة جديدة ، انني افكر : كم هورائع ان تمنح بصدق وان لا يبقى اثر . كم هورائع ان تخلف أثراً . لكن الأروع هو ان لا تخلف اي اثر كان . . . الليلة افكر : ما هو الأثر؟ ما الذي يبقى ؟ وتلك الكلمات التي كتبت بدم الليل ونبض الصدق ، أحقاً انها لم تخلف أثراً لمجرد انها لا تصلح للنشر في كتاب ؟ اولئك الذين قرأوها حارة طازجة نابضة بالصدق كجسد طفل ، لم تطبع بطريقة ما - سلباً او ايجاباً - داخل خلايا روحهم ؟ من يدري ، لعلمهم في هذه اللحظة يترجمونها سلوكاً وفعالاً . . .

وفي الوقت ذاته افكر بنقيض النقيض : ان الفنانين لا يعدمون تبريراً لما يوجعهم ، وهم دوماً على استعداد لتوليد الافكار من اجل تعزيتهم الشخصية . . . وان عليّ في المستقبل ان اكون انتقائية لما اكتبه . . .

لكن عادة تصرخ من الداخل : كوني انت كيفما كنت ، وليكن ما يكون ! افكر ايضاً احياناً : ايتها المرأة ، ماذا لو اجهضت « الاثار غير الكاملة » ما تكتبينه الآن ؟ يرد صوت من داخلي باصرار : العمل الفني ليس ولادة قطعة . . . انه يتطلب جهداً وتركيزاً واذا كان حقيقياً فالزمن لا يجهضه ولا الحب ولا الفراق ولا الهجر ولا اللقاء وانما يخمره . اقول لنفسي : ايتها المرأة ، الاتخافين ؟ ويرد صوت : بلى ، اخاف ، ولذلك استمتع بالاستمرار في لعبة اللاضمانات حتى مع عملي المقبل ! هذه هي آثار « هوسي » الجديد على جديدي . اني واثقة حيناً قلقة حيناً ، لكنني مستمرة ومستمتعة ! .

ثم ان احدا لم يقلق من اجلي حقاً طوال سنوات كفاحي لأستمر . حين جعت وتشردت وتمزقت لم يقلق احد على نتاجي . بل حين توقفت عن الكتابة القصصية تماماً طوال ستة اعوام لم يقلق احد من اجلي . فقد عملت بين ١٩٦٦ - ١٩٧٢ في الصحافة وكان عملي يستنزفني وعجزت في خلال تلك الفترة عن اصدار اي جديد كان ، ففي العام ١٩٦٦ صدر كتابي ليل الغرباء ، وكان عليّ ان انتظر حتى الغام ١٩٧٢ حتى يصدر « رحيل المراقب القديمة » .

وحين نرفت وسقطت وتعذبت ، لم يقلق أحد على جديدي طوال اعوام طويلة .

فما سر هذا الحرص المفاجيء على « جديدي » ؟ لقد تعودت على الطيران فوق مستنقعات الرمال المتحركة التي طالما حاولت ابتلاعي فلا خوف علي اليوم من أهون « محني » !

● ولكن ما هي اسباب تسميتك « الاعمال غير الكاملة » ؟

- ولماذا تكون لدي اسباب ابعد مما اعلنت ، وانا امرأة الصدق الى ما هو ابعد من الجنون ، اي الصحو ؟ حسناً . لاساهم معك في اتهام ذاتي ، فالمعرفة متعة - معك او ضدك - ماذا لم تعلنه يا غادة ؟ لا شيء بالضبط . هنالك فقط شيء صغير خبيث مختبئ في ركن اللاوعي ، وله قناعه المشروع : انه لم يختبئ حقاً ابداً .

انه رغبتى المستمرة في تدمير المكرسات . اريد ان ادمر التابع الزمني في اصدار ما تعارفوا على تسميته « بالاعمال الكاملة » ، والتي تصدر عادة بعد وفاة الاديب او شيخوخته ، واريـد ان يكون اسمها هذه المرة « الاعمال غير الكاملة » .

واريد ان اصدرها حينما اشاء لأنني اشاء واريـد ان ادمر التقاليد المتعارف عليها بهذا الخصوص ما دامت ظروف الحرب اللبنانية قد خلقت حاجات جديدة وهي امكانية احتراق ما كتبت مرة جديدة كما احترق كل شيء منذ ستين . اريد ان اصرخ باستمرار: لا شيء ثابتاً ، غير ثبات الانسان في وجه المكرسات وقدرته على تدمير ما كان يجب تدميره منذ زمان طويل . اريد ان اقضم تفاحة عطائي من اية ناحية اشاء وكيفما اشاء واقذف بها حينما يحلولي رافضة صحن التقاليد وسكينه وقفازاته . الا ترى معي ان (التقاليد الادبية) اكثر بؤساً من التقاليد الاجتماعية لأنها مجرد امتداد لها في حقل من المفترض انه وجد اصلاً لرفضها وبيان هزالها ؟

● ماذا تشعرين حين تنظرين الى الوراء ، الى رحلتك الطويلة ؟

- رحلتي الطويلة ؟ ولكنني لم ابدأ بعد حقاً . صحيح ان كتابي الاول (عيناك قدري) صدر اواخر عام ١٩٦٢ وان ست عشرة سنة انقضت منذ ذلك اليوم وآلاف السطور والكلمات والكتب اصدرتها بعد ذلك ، ولكن ذلك لا شيء بالنسبة لما ارغب في تحقيقه .

باستمرار تتنازعني رغبتان : الموت ، فوراً ، والعيش الى الأبد .

(الموت فوراً) لأنني ما ازال افريقية الدفء ويوتوبية السعادة ، والموت يحلو لتجميد اللحظة البديعة ، (والعيش الى الابد) حين ارى تلك المكتبات الشاسعة مثل درب معبدة للابدية تضم كل تلك الكتب التي لم اقرأها بعد ، والافق اللامتناهي حاملاً

كل تلك الاتجاهات التي لم اطاها بعد ، وتلك الدفاتر البيضاء في المكتبات التي لم اسطر فيها جنوني وصحوي وحماقتي واتراني بعد . . .

اريد ان اعيش الى الابد ، واريد ان اموت في هذه اللحظة لانني قد لا اكون اكثر صدقاً والمأ وتوهجاً وعطاءً ونزفاً وتوقاً في اللحظة التالية . . .

● بعضهم يقول انك تجاوزت « الادب النسائي » منذ مجموعتك « رحيل المرافئ القديمة » .

- اكرر: حين بدأت الكتابة ، لم اكن انوي الاشتراك في بطولة سباحة للنساء . كنت اكتب فحسب . وصحيح ان ارقام بطولة السباحة للرجال مختلفة ، وتتجاوز النساء ، وبالتالي تحتم وجود رقمين مختلفين للرجال والنساء ، لكنني لم احس ان ذلك له علاقة بالفكر . حين اكتب لا افكر بتجاوز النساء او الرجال وانما افكر بتجاوز ذاتي . انني اسابق ذاتي واسابق الزمن واسابق طاقتي على التفجر والجنون والنزف والابجدية والصمت والصمت . . .

● لكل فنان بل لكل انسان هاجس لا يفارقه ما هو هاجسك ؟

- لن اتنكر لجرحي ، ولن انظر الى نهر نر في كما لو كان ساقية الجيران . . .

احمل ذلك كله ، واحمل اكثر منه . . . احمل هاجس حب لم يتحقق واحمل جنون البحث عن هاجسي الذي يستيقظ مع شروق كل شمس ، واعرف جيداً طعم ان تتنازل عن حبك كي لا تفقده وان تختار دور الشاهد بدلا من دور الضحية او الجلاد . واعرف جيداً معنى ان يكون للذاكرة لذع السوط ، واتقن اخفاء شهقة الشوق في مغاور حنجرتي . . . لكنني ايضا احمل بصدق عذاب المعذبين المستلبين بطريقة او باخرى ، لأنني من بعضهم ، واحمل عذاب لبنان المستعصي على « التغريب » حتى في غربته لاستعصائي على ذلك .

واحمل عذاب الوطن العربي الممزق بين التصاقه بجذوره وتطلعه الى المستقبل وبعثه عن الجسر بين ارض لن يدمرها ومستقبل لن يضحى به . .

وينخل اليّ احيانا ان حياة الافراد هي مجرد حكاية اطفال مصغرة عن حكايا الشعوب والامم ، وانه بقدر ما يعي الفنان تلك العناصر الاساسية (الاساسية كجذور نبتة) بقدر ما يزداد اقترابا من ذاته ، وبالتالي من ابداعه ومن ادوات ذلك الابداع . . .

ميشيل النمري يستجوب

● اطالب بالحرية في وجه قوى القمع
المتكاثرة

● الكلمة نافذة ، تستطيع ان تنظر
خلالها باتجاهين صوب الافق
الشاسع او الى داخل البيت
الضيق .

عشرات الصفحات مزقتها ، غير آسف وانا اعيد صياغة المادة التي ساقدم بها
غادة السمان الى القراء في هذا الحوار ، الذي لا اعرف كيف اصفه .

« الصفيف » الذي يلتهم الكلمات بشراهة عجيبة كان يلح علي ان اسرع
بالخلاص من هذه المادة التي يفترض ان تسبق غيرها الى الطبع . ومدير التحرير يقف
فوق رأسي متأففا من بطئي غير المعهود .

.. في احدى المحاولات كتبت عن ادب غادة ...

.. وفي مرة ثانية كتبت عن غادة الانسانة كما تعرفت عليها عبر ستين لا يعادل
مجموع ما قيل فيها من كلمات ، حجم ما قيل في هذه المقابلة .

.. وفي مرة ثالثة كتبت عن الصراعات التي كنت اخوضها مع بعض الاصدقاء
والزملاء حول ادب غادة السمان .

.. عشرات المحاولات انتهت الى سلة القمامة والصفيف اللعين يلاحقني دون
ان تأخذه رحمة او شفقة .

اخيرا اتخذت قرارا بان يقدم « الحديث » نفسه بنفسه . قضية واحدة سمحت
لنفسي فيها بالتدخل . اقصد الجانب التقني في الموضوع ، اذ صممت على ان تنشر
هذه المقابلة بدون صور . سكرتير التحرير ضرب على رأسه مستنكراً ، فالمقابلة
بالنسبة له بصورها .

لا اعرف لماذا شعرت ان الصور من شأنها ان تضعف من قيمة هذا الحديث .
غادة قالت اشياء كثيرة ، جميلة ولطيفة ، وأشياء اخرى سوداء ، وتثير الحزن في
الصخر . . .

● غادة . . . ماذا تعني لك تعابير كـ « السياسة . . . الايديولوجيا . . . الاحزاب . . .
السلطة » ؟

- تعني لي تماما ما تعنيه تعابير كـ « التكنولوجيا . . . الكهرباء . . . العقاقير . . . الطاقة
الذرية » . كل شيء يتوقف على طريقة استعمالها والغاية منها ، ولماذا وكيف ، ومن !

● هل يمكن ان تكوني متصالحة مع « سلطة » دنيوية !

- قدما قالت العرب : « الصلح سيد الاحكام » ، وذلك خير لي من الدخول في حكاية
الصلح مع السلطة « الدنيوية » ، ناهيك عن السلطة « الدينية » !

● كتبت في وقت من الاوقات عن رموز وصفت في حينها بانها رموز مناضلة . . اين
اصبحت هذه الرموز ؟ هل تلتقين بها ؟ وماذا لو عدت للكتابة عنها مرة اخرى . . .
هل ستبتقين عليها كما كانت في اللقاء الاول ؟

- الرموز تزداد توهجا . صحيح ان بعض الذين كانوا يمثلونها قد سقطوا بمعنى او بآخر ،
لكن خيانة « انسان » لا تعني لي التخلي عن « الانسانية » . لو عدت للكتابة عنها - وهذا
ما افعله باستمرار ! - لكتبت بحرارة اكثر ، وبحب اكبر ، ولكن بحذر . بحذر من لدغ
من جحر اكثر من مرتين لكنه يعرف ان الجحر مسكون بعشرات الكائنات الملدوغة
مثله .

● أتخيل انك على خصام دائم مع الانظمة والقوانين . . . مع كل ما له علاقة
بـ « السلطات » . كيف تجددين السبيل الى الحصول على ما يكفيك من الاوكسجين مع
هذا الحجم الهائل من « السلطات » ؟

- في البداية تعلمت حرفة « التنفس الفكري الغلصمي » تحت الماء على طريقة الاسماك .
وحين صارت المياه مكهربة خرجت الى الاختناق ومث عدة مرات ريثما تمرست في فن
تنفس الحقد على سارقي الاوكسجين ، واتضح لي الصورة : ليس بوسعك التنفس
وحدك ، فالرئة الفكرية جماعية ، ومن الضروري التكاتف لمحاولة استعادة الفضاء لنا
جميعا . بالمقابل انك لا تستطيع التنفس بحرية بينما يدك تربط كمامة على انفاس
اخيك !

- ماذا يفعل المثقفون بالسلطة لو قدر لهم ان يتسلموها ذات يوم ؟
- أمل ألا تفعل هي بهم (اي السلطة) وتعيدهم الى الأمية !
- هل فكرت ذات يوم بالتوجه إلى العمل السياسي بشكل مباشر وبالمعنى الشائع ؟
- لا . لم . لن . لا اصلح له « بالمعنى الشائع » .
- هل تقبلين مثلاً بترشيح نفسك لرئاسة جمهورية عربية متحدة من المحيط الى الخليج ؟
- لا ، لان روح المنافسة منعقدة عندي في هذا المجال !
- اذا فرض عليك ان تختاري بين قراءة خطاب لزعيم سياسي او حل كلمات متقاطعة في صحيفة « رخيصة » فايهما تختارين ؟
- اختار الكلمات المتقاطعة الاكثر طرافة : خطاب السياسي . (لي ملاحظة على صيغة السؤال : التعميم في هذا المجال تعميم على بعض الذين احترمهم) .
- متى تشعرين « بالقرف » من الكتابة ؟ هل فكرت ذات يوم بالرغبة في التوقف عن ممارسة رسم العوالم الخاصة بك ؟
- لا اشعر ابدا « بالقرف » من الكتابة . لكنني اشعر احيانا « بالقرف » من طريقة البعض في القراءة ، وبالتالي اشعر بعدم الشهية في الكتابة ، او بعدم القدرة على الكتابة او بالخوف من استخدام كلماتي لغير الغرض المقصود منها .
- وسط هذا الركام من « الانتاج الادبي » المبرمج الذي يبعث على الكآبة والمحيط بنا من الجهات الست . كيف يمكن لمن يكتب عن نبض الحياة ان يستمر ؟
- انه يستمر ، لا بالرغم من ذلك ، بل بسبب ذلك ! وسط هذا الركام تتوهج شهية الاستمرار وتستيقظ حاسة التحدي المقترنة بالدهشة : ها انت من جديد مضطرب لاثبات كروية الأرض . . . الى آخره . . . الى آخره . . . يا للهول !
- كيف يمكن ايقاف مهزلة صفحات « الاعلانات » الثقافية في الصحف اليومية ؟ اذا كنت تشاركيننا هذا الرأي ، فهل لديك برنامج . . . فكرة ما . . . اي شيء يمكن ان يساعد على التخلص من « ادب » الاعلام والدعاية ؟
- ولماذا ايقافها ؟ ولماذا التخلص مما تدعوه بالركام الادبي ؟ لقد نبئت الاعمال الجميلة دوماً وسط الركام والهشيم دون ان يحول ذلك بينها وبين النمو ، كما تنمو ازهار الصخور . إن ما يدور حدث دائماً ، وسيحدث الى ما بعد زمن طويل . لا تنس يا عزيزي ان العمر البيولوجي للانسان قد يعود الى ما قبل مئات آلاف السنين ، لكن

عمره الانساني ربما لم يبدأ بعد ! .

● هل حدث وان ضببت ذات يوم قارئاً يتلصص عليك من وراء كلماتك المطبوعة ؟
مثل هذا القارئ هل هو نموذجك المفضل ، ام انك تبحثين عن قارئ له مواصفات
اخرى خارقة ، يدفعك الى السهر طويلا بحثا عن الفكرة والكلمة التي تضاعف من
عدد نبضات قلبه ؟

- الكلمة نافذة : تستطيع ان تنظر خلالها بطريقتين وفي اتجاهين مختلفين . تستطيع ان
تتلصص عبرها على ما يدور داخل البيت ، وتستطيع ان تقف بالاتجاه الآخر لتحقق
عبرها في الافق الرحب وتستطيع ان تمارس الأمرين .

انا شخصيا اترك لقارئ الحرية في ان يكون نفسه وان يقرأني كما يشاء . حين
اكتب ابذل حقا كل ما بوسعي للاقتراب من النار المقدسة والتسلل الى صندوق الآثام ،
لكنني لا أتعمد زيادة نبضات قلب قارئ الا اذا كانت تلك هي الوسيلة الوحيدة لاقتناعه
بانه حي ومن واجبه ان يفعل شيئا ما بحياته تلك . . كالانتحار مثلا !!

● بصراحة ، لمن من الادباء العرب تقرأين ؟ ثم الا يغريك الوصول الى حالة من
الاحساس بمساعدة القارئ على الوصول الى العمل الجيد ؟ استطرادا ، الا تفكرين
بممارسة « بدعة » كتابة النقد الادبي ؟

- ولماذا تعتقد ان البوح باسماء الذين اقرأ لهم يحتاج الى (الصراحة) ؟ وهل تجد المناخ
الادبي ارهابيا الى هذا الحد ؟ وبعد هذا الانطباع (القمعي) الذي خرجت به من
سؤالك ، لماذا تريد توريطي في (النقد) وانت تعرف انني قد درست بعض اصوله ،
لكنني لم ادرس اصول الكاراتيه بعد !

● من من الشعراء العرب تقرأين له ولا تتراحين لما يكتبه ؟

- الخطيئة !!

● هل تشعرين انك مع « منشورات غادة السمان » قد تحررت فعلا من قيود دور
النشر ؟

- نعم تحررت من قيودهم ، وسقطت فريسة قيد صنعتته بنفسني !

● حينما تتصارع غادة الادبية مع غادة الناشرة الى جانب من تقف غادة المحايدة ؟

- غادة المحايدة غير موجودة . . . هناك فقط غادة الكاتبة والصراع غير موجود بسبب
صدفة رائعة هي ان زوجي ناشر يعرف مدى ارتباك غادة النشر ، فيأخذ عنها عملها
مشكورا .

- عادة الادبية .. عادة الزوجة ... عادة الام ... عادة العاشقة ... عادة ربة العمل ... كيف استطعت ان تجمعي كل ذاك في عادة السمان ؟
- لم استطع بعد ، وما زلت اتعذب !
- هل تحشين الشيخوخة ؟ ماذا تفعلين لمواجهةها ؟
- الانسان لا يخشى ما حدث له منذ زمن بعيد ، ولعدة مرات !!!
- هل توصلت الى رأي قاطع بشأن المكان الذي تذهب اليه الروح لحظة خروجها ؟ وهل يساعد ذلك في الخلود الى الاطمئنان ام انه يبعث على المزيد من القلق من وجهة نظرك ؟
- يبدو ان الروح تحب النزهة والتشرد وتكره الاقامة الاجبارية ولا تكتب الرسائل او البطاقات البريدية ولا الاحاديث الصحافية ... وهذا جميل !... ثم إنني لا ابحت عن الاطمئنان ، ولا عن المعادلة التي تحيل المعادن الى ذهب !!!
- باستمرار كنت تبحثين عن « حب آخر » او عن زمن لـ « حب آخر » هل هناك خط احمر ينتهي عنده هذا البحث ؟
- نعم هنالك خط احمر ، ولكن يبدأ عنده هذا البحث !
- ما الذي ، يغريك في التحديق بالاشياء من وراء نظارة سوداء ؟ هل يساعدك هذا « القناع » على رؤية الاشياء بوضعها الاكثر قربا الى الحقيقة ؟
- النظارة السوداء تساعدني على رؤية الاشياء ، وانا بوضعي الاكثر قربا الى حقيقتي !! ... فانا احب دور المتفرجة ، لا دور البطلة . المتفرج يتقمص الجميع . البطل يتقمص ذاته فقط . ككاتبة احب دور المراقب . احب ان ارى لا ان اكون « المرئي » . حين ارتدي النظارة السوداء . اكون كمن رفع علما ابيض دلالة اعلان السلام على من حولي ، مع دخولي في برج المراقبة غير العاجي حيث اكونهم جميعا القاتل والقتيل في آن معاً ... !
- اشعر ان عادة المرأة التي قاتلت من اجل حرية من غطت معين للمرأة العربية قد تراجعت قليلاً باتجاه الانسجام مع السائد . هل هو ضغط الواقع ام الشعور بالاحباط ، ام ماذا ؟
- لقد تراجعت باتجاه الجوهر ، وتخلت عن المعارك الهامشية الاستعراضية . لقد تراجعت باتجاه قلب المعركة ، حيث المطلوب ليس مجرد « حرية من غطت معين للمرأة العربية » ، ولكن المطلوب هو الحرية للفرد العربي ذكرا وانثى في وجه قوى القمع

المتكاثرة التي تدمر محاولتنا لارساء قواعد ديمقراطية حقة وعدالة لكل فرد في المجتمع ،
لا لبعض نساء بلادتي فقط .

● ماذا فعلت بك الحرب ؟ اقصد غير ذلك الذي تعرفنا عليه في « كوايس بيروت »
هل تركت شيئاً من تلك الحرب للاحاديث الشفوية مثلاً ؟
- الحرب ؟ ايها ؟ الحرب الماضية ام الآتية ؟ ما يفعل بي الآن هو دبيب الحرب الآتية .
أحسها قادمة نحونا . . .

● بودي ان تجيبي على سيل الاسئلة التي تدور في ذهني ، والتي لم اجد سبيلاً الى تدوينها .
هل لك ان تتركي لقلمك ان يعبث قليلاً في نهاية هذا اللقاء المبعوث لاسلكيا ؟
- يا لشراحتك الابدعية يا عزيزي ميشيل . . . اذ ماذا كنا نفعل حتى الآن ؟؟؟

مندوب مجلة الأفكار يستجوب

● الشكوك هي الموصلة الى الحق

غادة السمان واحدة من ظواهر العصر . انها الكاتبة التي اختارت لطريقها عربية غجرية ، لا هودج اميرة ، ورحلت في عيون الناس واعماقهم عبر سلسلة من الكتابات والكتب ، او هي القطة البرية على سقف عربي ساخن . وكما ارتدى شاعر الجليل نزار قباني « روب » الدفاع عن المرأة في المحاكم الشرقية ، كذلك اختارت غادة السمان ، كاتبة الجليل بدورها ، ان تقف وراء منبر الدفاع عن الرجل . فالمرأة المظلومة عند نزار يقابلها رجل مظلوم عند غادة . وضربة كرباج من شاعر « رسالة من تحت الماء » على ظهر الرجل لانه اذل المرأة في بعض الاحيان ، يلعلع امامه كرباج من غادة السمان على ظهر بعض النساء لانهن لم يعرفن قدر الرجل كما ينبغي ، ولم تفهم الواحدة منهن كيف تقول لرجلها « عيناك قدرتي » .

● ما عدد مواليدك الادبية حتى الآن ؟

- دزيتان .

● اي المواليد احدث لك شيئاً من المتاعب ؟

- كلها . فانا لست كاتبة مقولات اجتماعية جاهزة ، ولا خطاطة كليشيهات مستهلكة . الكتابة عندي موقف من الاشياء يرفض لغة الزيف والاقنعة ولا يملك الا تعرية عالم من الاكاذيب . . . والفنان هو طفل الاسطورة الذي قال للسلطان: ولكنك عار أيها السلطان . هذا ، بينما كان الجميع يمدحون جمال حلة السلطان العاري وبهاء ثوبه الموهوم . . .

وإذا كانت الصحافة مهنة البحث عن المتاعب ، فان الادب مهنة اعلان الحب على المتاعب . . .

مجموعة من كتيبي ممنوعة في هذا القطر او ذاك ، او ممنوعة بأكملها . . . وحينما (اتبلغ) نبأ من هذا النوع ، لا اغضب ، ولا ادهش ، بل اجده حصيلة طبيعية

للتصادم بين الفنان الجاد في عمله ، والنظام الجاد في قمعه . . . شيء واحد يؤسفني ،
هو ان المجرم يلقي في بعض الاقطار العربية معاملة افضل من تلك التي يحظى الكتاب
بها . . . فالقاتل او مهرب المخدرات قد يحظى بمحاكمة ، ويسمح له بالدفاع عن
نفسه ، أو يقال له ما جرمه قبل ادانته . . . اما الكتاب فلا . . . ان احداً لا يكلف
نفسه عناء قول حيثيات الحكم . . . ولماذا منع هذا الكتاب . . . ولماذا قصت تلك
الصفحات ؟ وما الذي اغضب السلطات في هذه الاسطر او سواها . . . ان الامر يتم
في جو من التعقيم الذي يقطر استخفافاً بالكتاب . . . معظم الانظمة ما تزال تتوقع من
الاديب ان يؤدي غمرة تهرجية او دعائية في سيرك السلطان وسط زحام التملقين ومتسولي
الوجاهة . . . هذا جوهر الخلاف بين الفنان الصادق ، وبعض الاجهزة العربية . . .

● هل ستكتفين بالنشر بالعربية ، ام تفكرين بترجمة كتبك الى الفرنسية والانكليزية ؟
- تمت ترجمة بعض اعمالي الى تسع لغات اخرى منها الفرنسية والانكليزية وانجز طبع
بعضها الى اللغات الروسية والبولونية والرومانية والاسبانية والفارسية والالمانية وغيرها
من اللغات الحية .

● لماذا اخترت الاستقلال في النشر ، مع ان زوجك الدكتور بشير الداعوق صاحب
دار نشر رائجة ؟

- صرت اتوجس شراً من الزيجات « الشاملة » التي تتحول احياناً الى اداة تدميرية للفن
والبيت معاً . . . افضل ان يكون جوهر الزواج هو التعاون ، لا التلاحم الكلي
المستحيل ، وانا افضل الرفقة الانسانية والعملية في ظل احتفاظ كل من الزوجين
باستقلاله الفكري والمهني .

هنالك واقع لا يستطيع اي عاشق تجاهله : كل فرد عالم مستقل بذاته ، والزواج
لا يلغي هذه الحقيقة ، وليس مطلوباً ان يلغيها . . . استقلالي في العمل الصحافي في
مجالات اخرى غير المجلة التي يصدرها زوجي (مجلة دراسات عربية) ، وفي دار للنشر
مختلفة عن داره الناجحة ، خاصة بي هي « منشورات غادة السمان » تكريس الحقيقة
انسانية يعرفها الجميع ويتكتمون : الزواج لا يجعلنا « واحداً » لكنه يجعلنا -حلفاً واحداً
في مواجهة شراسة الاقدار والايام . . . ويظل لكل اسلوبه في المقاومة . . . وانا افضل
بناء حياتي الزوجية والعملية انطلاقاً من صدقي الداخلي لا من المجاملات الموروثة .
فالصدق صخر قد ينحدر قليلاً ، لكنه يصلح اساساً متيناً للعلاقات المتبادلة . . .
والكذب ليس ملحي . . .

● كان لك سلسلة من المقالات عن تقمص وتحضير الارواح بين لندن وبيروت . . . فلماذا لم يكن لك كتاب عن عالم ما وراء الطبيعة ؟ ام ان الحب يبقّى الموضوع المركزي للكاتب او الشاعر ؟

- في كتابي « السباحة في بحيرة الشيطان » الصادر عام ١٩٧٩ تعبّر عن ولعي بعالم ما وراء الطبيعة واسرار النفس البشرية ، وفيه تجارب عملية مع : السحر ، الجنون ، المخدر ، التقمص ، اسرار الدماغ ، التنويم المغناطيسي ، الشيطان والراقي ، جيراننا في الكواكب والمجرات الاخرى . . . وأعترف ببساطة ، انني كنت اتمنى متابعة درب الاسرار هذه التي تشدني إليها ، وتوقد في اعماقي القأ روحياً مسكوناً بالاضواء النائية كالنجوم وظلالها اللامرئية . . . لكن واقعنا اللبناني اليومي يجر الفنان من اذنه كالطالب الكسول الهارب الى الغابة ، ليرمي به في بحر الاحداث الواقعية الفاجعة المتلاحقة . . . ليس سهلاً تحضير الارواح تحت ظلال القصف والحواجز في زمن ترتجف فيه الاشباح ذعراً . . . وتقضي نحبها ! . . . اتمنى ان تهدأ (الاحوال) بحيث نعاود حوار الهمس الكوني مع الاسرار . . .

● في معادلة متداولة ، ان الشاعر نزار قباني انتصر للمرأة ورفع لواء تكريمها ، وانت انتصرت للرجل واعطيته الموقع الذي يستحق ، ما حقيقة هذا المفهوم ؟

- هذا صحيح . . . وجوهر هذا المفهوم هو الانتصار للمحبة اينما وجدت ، وللانسانية في اي جسد تقمصت . . . الانتصار للانسان بعيداً عن التطرف (الشسوفيني) الهزلي . . . ان كوني امرأة لا يعني ان انتصر للخطأ المؤنث ضد اي شيء آخر . . . انا مع الضوء ، وإذا كان قنديل جسد رجل ، فلماذا ارفضه ؟

● معروف عنك انك تكتبين عن بيروت وأنت في عزلة لندنية او بجولة سويسرية . فهل الكتابة عن بيروت من بعد ايسر للمؤلف من الكتابة الميدانية ، ولماذا ؟

- ارحل ، لانفرد بصوت قلبي . حينما اكتب اصير مرهفة كجرح مفتوح ، شرسة وبرية وعاجزة عن التكيف مع (الاعيب) الحياة اليومية . . . حينما ارحل ، اسافر من القشرة الى الجوهر ، ومن اسفلت بيروت الى روح بيروت . . . وقلبها . . . نحن لا نرحل حقاً عن الاشياء حين نبتعد ، لكننا احياناً نرحل اليها ، ونكون اكثر قرباً من كل لحظة سابقة . . . فالبعد يلغي التفاصيل الهامشية ، ويجعل النظرة اكثر شمولية . . . كأن الوصل يشوش (موجات) البث والحب لا تتضح صورته الا في مرآة الفراق . . .

وزنابق الفن لا تتفتح الا فوق برك العزلة النائية ، تحت ضوء قمر غريب في غابات منسية . .

● هل تعتبرين كتبك وعاء لمشاكل العصر ؟ وهل هناك مواضيع « تابو » تحبين ان لا تطرقي على بابها ؟

- انا لست كاتبة (برجعاجية) ، وبالتالي لا مفر لحروفي من ان تمس مشاكل قومي وانعكاس العصر عليها . . . وانا كاتبة مقاومة بمعنى ان حروفي لا تقرر الا ابواب الـ «تابو» ، إذ ما جدوى مناقشة ما ليس موضوعاً للمناقشة ، الفكرة الاساسية التي تستولي عليّ هي انني « مواطنة » عربية ، مصرة على حقها في مناقشة مفهوم « المحرمات - التابو » ، وتمييز ما هو « حرمان » غير عادل لي من بعض حقوق الانسان البديهة . . . انني انا انا في ضرورة اعادة النظر في هذا الركام الهائل من الـ « تابو » وغربلته ، ونبذ ما اسقطه الزمن وضرورات الحياة والتطور ، والتمسك بما قد يكون انساني الجوهر وعادلاً . انني لا ادعو الى نصف غبي شامل « للمحرمات الاجتماعية » ، بل الى اعادة النظر فيها . . . وحروفي لا تتورع عن قص الشريط المكهرب الذي سورت به طيلة عصور . . . الشكوك هي الموصلة الى الحق ، فمن لم يشك لم ينظر ، ومن لم ينظر لم يبصر ، ومن لم يبصر بقي في العمى والضلال - الغزالي ، وانا مصرة على ممارسة حقي في الشك بكل المقولات، الاجتماعية الموروثة . . . فاليقين هو الوجه الثاني لعمل الشك .

● من هو السياسي الذي لفت نظرك كأديب ؟

- محمود درويش .

● ومن هو الاديب الذي ينفع للاشتغال بالسياسة ؟

- منح الصلح .

● اختارت اذاعة لندن كتابك « ليل الغرباء » لتحويله إلى مسلسل اذاعي ، من بطولة امينة رزق وعماد حمدي . فهل تشوه العمل الادبي في رأيك وهو يدخل ثقب الميكرفون ؟ ام اعجبتك التجربة ولا تمنعين في تكرارها ؟

- لم يتشوه العمل وانما اعيد خلقه اذاعياً وهذا هو الامر الطبيعي . . . كل عمل ادبي يعد كمادة اذاعية او تليفزيونية او سينمائية ، لا بد وان تعاد كتابته بلغة تليفزيونية او سواها . . . اي بلغة اخرى هي اداة البث . . . وللاديب ان يرضى بذلك او يرفضه . انا شخصياً بنت هذا العصر ، وأنتمي الى تطوير الاداة الابداعية ، وللوصول الى قلوب

الناس ارضى بأي جسر خلاق له « مستوى لائق » . . . وقد اعجبتني التجربة ، وارجح بالتكرار . . . ما ارفضه هو ان يطلب مني كتابة السيناريو ، كما هو الحال في معظم العروض السينمائية والتلفزيونية التي تقدم اليّ . . . لانني حالياً غارقة في العمل الذي يروقي ، ولا اميل كثيراً الى كتابة السيناريو حتى لاعمال ، وافضل ان يقوم بذلك « اخصائي » . . . فالفن علم واختصاص ايضاً .

● هل ما زال الثوب العجري بشكل عام يحلو لك ، ام ان الثمانينات فرضت عليك لوناً آخر من الادب ؟ وما هو ؟

- في اعماق كل انسان طفل مرح يحب ان يرصع شعره بالازهار والنجوم ليرقص على شطآن الدهشة وللاحتفال بالحياة والشمس . . . هذا الشعور الجميل عتيق عرفه انسان الكهف منذ اقدم العصور ، وما زال . . . وحياناً يربط الناس بين هذا الاحساس ، وظاهرة اجتماعية ما في مرحلة زمنية معينة . . . كما « هيبية » الستينات . انا اعني انني في زيارة قصيرة على هذا الكوكب ، وان الفرح ليس خطيئة ، وان اشاعة البهجة وكهارب الضحك المتوهج قضية مستحبة دائماً حينها تنبع من اعماق المرء . . . واحاول ان اعكس ذلك باستمرار في ادبي ، الى جانب الوجه الآخر للحقيقة البشرية : الالم ، الموت ، الحزن ، الحرب ، الكوارث الطبيعية ، الفراق ، هشاشة الحب المضيء والعاير . . . الثمانينات تأتي متجهمة ، حاملة لواء الحرب النووية والمصائب . ينعكس ذلك طبعاً على وعي الفنان العام بشتاء مكفهر للانسانية . . . ولكن ، تظل في اعماق القلب رقعة تشرق الشمس فيها بعض الليالي . . . وتستحق هذه الرقعة ان نحافظ عليها ونرعاهها .

يتحدث الناس عن « رجوع الشيخ الى صباه » ، وارى ذلك غير ممكن ، لان الشيخ لا يفارق صباه ليرجع اليه . . . وفي اعماق كل انسان يظل ذلك الطفل العتيق البريء حياً ، يستعيد ذاته احياناً في ومضة فيح حاذقة ، ويعود بريئاً ونقياً ومتفجراً مثل اي تمساح استوائي صغير يطارد ذيله بجور فوق الرمال الحارة . . .

ومن جهة اخرى ، من لا يراهق صغيراً ، لا ينضج فيما بعد ، وانما يجد نفسه منزلقاً من عالمه ليراهق سراً . . . ونخيل اليّ انه من الافضل ان يعطي المرء كل سن حقها عليه ، ويركض عاري القدمين على ارضفة البهجة صغيراً ، كي لا يتسلل اليها في سن النضج ، منافساً اولاده على قطف عناقيد العبت .

● ما هي حدود الحرية في مفهوم غادة السمان إذا سألتها عنها بنات الجيل ؟
- لا حدود غير المسؤولية . ان يكون المرء قادراً على تحمل مسؤولية اعماله علناً ، امام
الناس جميعاً دونما خجل وبكل قناعة . وذلك لا يتوافر في نظري لغير الصبية
العاملة . . . فالعمل هو الشرط الانساني الاساسي للحرية . . لا نريد حرية ذئب يهيم
على وجهه في براري التخدير . . . نريد حرية ضمن شرطها الطبيعي الاجتماعي . . .
نعمل ، ونكون ، نقرر وننفذ ، وندافع عن خيارنا شرط عدم التنصل في حال
الخطأ . . . اي قبول المسؤولية الاخلاقية عن افعالنا ، او عدم الاقدام عليها اصلاً .

● في كتابك « الجسد حقيبة سفر » تحدثت عن حكايات الى الامير الصغير في بغداد .
فمن هو هذا الامير الذي عرفته باسمه الاول بشار ؟ وما هي قصته معك ؟
- الامير الصغير هو اي فتى عربي في العاشرة من عمره او اكثر قليلاً . .

وقصتي معه هي أنني فوجئت بانهم يسمون الاطفال بـ « الجهال » . . . ولو
انصفوا لاسموا بعض من تجاوز سن الطفولة بـ « الجهال » . فالناسي التي تدور في عالمنا
العربي يصنعها الكبار الذين يثبت معظمهم « جهله » عملياً ، لا الاطفال الابرياء امثال
بشار . . . لقد سقط الكبار في شرك الحياة ، وتخطوا نهائياً في اطاراتهم الاجتماعية
والتزاماتهم وتحولوا الى « جهال » عاجزين عن مطاردة غزال الحقيقة المراوغ الراكض في
غابات الابدية . . وللاطفال وحدهم امكانية متابعة صيد الفرح في عالمنا الحزين ،
والتحديق بعيون جديدة في كوكب هرم عتيق انهكه تدمير الذات والآخر . . .

نصري عكاوي يستجوب

● من حق البوم ان يتشاءم هو من

البشر

● الكاتبة العربية قدمت شرارة ثورة
للمرأة العربية .

● غادة السمان مسرقة في كل شيء ، الى درجة انها لا تترك للموت شيئاً يسرقه منها ،
فهل تأخذين بذلك موقفاً من الموت ام من الحياة ؟

- كان لي صديق (جبلي) عزيز ، يتناول كل صباح زجاجة (خطيئة) مع إفطاره ، بينما
أنا أرشف قهوة الصباح ، وزوجته تحاضر عن موته المحتوم بتشمع الكبد : المسكين مات
برصاصة في كبده ولما يتجاوز الثلاثين من العمر .

لي صديقة لا تدخن ولا تشرب الكحول محتفظة ببكارة رثيتها لدود المقابر ، ولا
تتزوج خوفاً على مشاعرها من الخيانة ، ولا تنجب الاطفال خوفاً من الترهل ، ولا
تستحم خوفاً من الغرق . . . وهي الآن تعيش سعيدة في مصح عقلي .
موقفي هو النقيض . . .

انا أعني بوضوح انني ضيفة على هذا الكوكب ، لا ادري من اين جئت
بالضبط والى اين أمضي بعد زيارتي ، كل ما اعرفه هو انني الآن هنا . . وان الموت
والحياة وجهان لعملة واحدة هي الحضور الانساني العابر . . . وكل لحظة حياة تحتوي
ضمناً لحظة موتها ، فالموت لا يزورنا مرة كما نتوهم ، لكنه يرافقنا باستمرار ريثما نرحل
معه . . . وضربات القلب هي ضربات الطبل الذي يعلن مسيرتنا نحو القبر . . .

انني اعني بشراسة مدى هشاشة الوجود البشري ، وكما هو عابر وزائل ، ولكن
ردة فعلي ليست سلبية . . . انني لن اعلن الاضراب عن الحياة لمجرد انني سأموت ، بل
سأعلن الاضراب على الموت ما دمت حية . . وسأكافح ذلك الموت اليومي البطيء
المسمر ، موت حرارة القلب ، موت الرقة والعذوبة ، موت الصداقات القديمة

واللحظات الدافئة الحنون وبقية اشكال الموت الأخرى التي غمارسها في كل لحظة إرادياً حين نتحنط ونبتلد وتذوي في قلوبنا شهية التبديل نحو الأفضل، وتتحول أحلام المراهقة لبناء عالم أفضل الى كوايس بلا نهاية ..

يوم وعيت حضوري الروحي والفكري والجسدي في هذا الكون ، قررت ان أساهم قدر الامكان في ان يكون كوكبي - يوم أغادره - أقل بشاعة مما كان لحظة وصلت ... وذلك لا يتم بغير الاسراف في العطاء والحب بمعاني الكلمة كلها ، وعلى الصعيد العام والشخصي ... وبكل طاقات الفكر والجسد . ويوم تقلع بي طائفة الموت ، اتنى ان احلق في صالات الترانزيت الكثيرة التي مررت بها هنا ، وأراها تشتعل بالمحبة والحنان والتعاطف ... بكل اسراف ...

● حياة غادة السمان تعتبر رواية مكتملة العناصر التشويقية فهل فكرت بكتابة سيرة حياتك . وهل حدث أن استوحيت من صمدف حياتك حوادث لرواياتك ؟ - لدي شهية مفرطة لكشف الحقيقة في ذاتي والآخرين ... بعض العرب يهربون بوجه عام من مواجهة كل حقيقة غير تقليدية في اعماقهم ... يخافون ويرتبكون وسيف التزمت المحنط مسلط على صدقهم ..

من هذا المنظار أشعر برغبة في كتابة مذكراتي ذات يوم . وحياتي قد تكون رواية مشوقة وقد لا تكون ، لكنها ستكون سيرة مواطنة عشقت الحرية في زمن القمع العربي ، وعشقت الصديق بأسراف في زمن التقشف في الحقائق ، ومرحلة تصنيع أقنعة للكلمات والخلجات .. الزيف يحتاج حياتنا في مختلف المجالات ... اقرأ مثلاً ما يكتب من أقوال بعض السياسيين والقادة ... انك ستفهم الشيء ونقيضه في آن ، وبالتالي لن تعرف شيئاً على وجه التأكيد ... لقد نشأت لغة جديدة تحرص على عدم تسمية الاشياء باسمائها ، وصارت لمشاعرننا (أساء حركية) وتعابير رمزية ، وتحولت اللغة الى أداة هلامية لتميع المعايير والمفاهيم بدلاً من تطوير القيم الانسانية والفكر البشري ...

كمواطنة متلبسة بالصدق والغضب ، سأعلن حياتي بكل هزائمها وسقطاتها كدعوة لافتتاح مرحلة جديدة من مصارحة الذات على الاقل ... تلك المصارحة التي تعتبر الخطوة الاولى في درب اي حوار انساني وتبادل في الخبرات والمعارف املاً في صنع حيوات أفضل للآخرين ...

تسألني هل استوحي من حياتي لرواياتي ؟

الجواب ببساطة : نعم ولا .

فالكاتب الذي ينفي العلاقة بين حياته وحرفه نفيًا باتًا هو كاذب . . .
والكاتب الذي لا تنجد في حرفه غير حياته هو كاتب رديء . ثمّة مزيج خاص
غامض وفقاً لصياغة سرية تلقب عادة بالابداع . . . فيها من حياة الكاتب ومن حياة
مجتمعه والاحلام الجماعية لقومه في مرحلة تاريخية معينة .

● أيهما يفجر المبدع ، برأيك ، الحب الحنون ام العلاقة المحمومة ؟
- العلاقة المحمومة تفجر المبدع ، لكن الحب الحنون ضروري لاحتضان ذلك الانفجار
وسكبه في مجرى الخلق والكتابة . . .

العلاقة المحمومة كالشلال الأهوج ، والحب الحنون هو المجرى الذي يحتوي
هيجان المياه ويحوّلها الى ما يروي بذور العطاء ، بدلاً من فيضان يكتسح وجود الفنان
ويزلزله ويقتلع ما تقدم من أشجاره ، وما تأخر من براعمه . . .

● أيهما كان له الحضور الأبرز في حياتك الادبية ؟
- لأنني هوجاء مثل قطة برية اشتعل ذيلها تركض في غابة ، أشعر دوماً بالحاجة الى حب
حنون ، يظللني من بعيد كغيمة دون ان يحاول بناء الاسوار حولي بحجة حمايتي . .
والحضور الأبرز في حياتي الادبية هو للحب الحنون الهادئ الذي يدفئ دون ان
يحرق ، ويفسح المجال لحروفي كي تتبلور في مناخ صحي متوازن عقلا . .

● كانت المرأة الشرقية تستأثر وحدها بكل الغزل إلى ان جاءت غادة السمان وقلبت
المقاييس فكتبت غزلاً في الرجل ، فهل يندرج هذا التوجه نحو الرجل في باب مساواة
الرجل بالمرأة ككائن يتمتع بالجمال ، ام هو مجرد ثورة على التقاليد ؟
- في روايتي « بيروت ٧٥ » تقول احدي بطلاتي : « ما أبدع جسد الرجل . لماذا لا
تلحظ النساء ذلك ؟ لماذا يصدقن اسطورة ان المرأة ، كحيوان ، أجمل من الرجل ؟ لماذا
لا ينظرن حقاً ولو لمرة الى جمال جسد الرجل وروعة تكوينه ؟ إنه أجمل حيوانات الغابة
وأعظمها » . . .

في موضع آخر تقول البطلة نفسها « في دمي شهوات النساء العربيات المسجونات
على طول اكثر من ألف عام . . . ارتجف كمدمن محروم وافقد كل قدرة على
التعقل . . . لقد نسوا حين حبسوني في قمقم التقاليد انهم بذلك يحدونني من
مقاومتي » . . .

والعبارة الاخيرة لبطلتي هي ما أحب التشديد عليه . نعم ، كتبت غزلاً في
الرجل وفي ذلك مساواة له بها وثورة على التقاليد ، ولكنني أيضاً أحاول التأكيد على أن

قمع المرأة يجردها من ردود الفعل السوية وبالتالي من المسؤولية . . . ومن القدرة على المقاومة او التمييز الواعي لا البيغاثي المتوارث . . .

التغزل بالرجل مرحلة تعبر ببساطة عن الثورة على التقاليد ، وعن المساواة المتبادلة في المشاعر والمصارحة ، مما يقود الى تنمية شخصية انثوية سوية لا تخشى من الرفض كما لا تخشى من القبول . . . وتختار . . . وفعل الاختيار لا قيمة له الا داخل إطار الصدق الداخلي والحرية والانعقاد من العقد المتوارثة . . .

همسة على الهامش : من غير المؤلف ان تبوح المرأة بكلمات الحب للرجل رغم التوق احياناً الى ذلك . كان لا بد لامرأة ما بأن تبدأ . . . وتلعن طبعاً ثم تُقلد . . . فبدأت ! . . .

● انت مولودة الشام وريية بيروت . الى اي من المدينتين تشعرين بالحنين عندما تكونين في اوروبا ؟

- كل ليلة أحلم بدمشق ، مسقط رأسي وقلبي ، لكنني في اليوم التالي أشتري تذكرة العودة . . . الى بيروت ! . . .

● يقولون : « وراء كل رجل عظيم امرأة » ، فمن يقف وراء النساء العظيمات برأيك ؟ . . .

- وأقول : « وراء كل رجل عظيم امرأة تحاول تدميره » . . . وقد تعارف الناس على حذف الشطر الأخير من الحقيقة تلطيفاً لها . . . والأمر ذاته ينسحب على النساء . . .

ببساطة أقول لك : وراء كل امرأة ناجحة رجل حاول تدميرها ذات يوم - باسم الحب طبعاً - وفشل . . . ان أبشع ما في حياتنا يتم غالباً تحت أجمل الشعارات وأنبلها . . . وكم من تدمير نعيشه تحت شعار الحب . . . وكم من نساء عاملات ناجحات كان عليهن دفع ثمن باهظ من حياتهن الشخصية هرباً من « الحب الدامس » . . . الرجل الشرقي يريد غالباً تسوير امرأته بحبه ، ثم يأخذ عليها بعد ذلك ضيق أفعها . . . يريد لها ناجحة مثل مدام كوري شرط ألا تغادر المطبخ . . . كيف ؟ . . . ذلك لا ينفي وجود علاقات انسانية نادرة ، بين المرأة الناجحة وبعض (الذكور) ، وهي ليست بالضرورة علاقة (عشق) ، بل صداقة تقوم على احترام متبادل لإنسانية الآخر . . . واعتقد ان على النساء العاملات مسؤولية تشييط نمو تيار كهذا من المشاعر ، وذلك يتطلب بالطبع تخلي المرأة نهائياً عن (اتكاليته) . . . فالحرية لا تعني حريتنا في انفاق نفود رجال سوانا يعملون . . .

● لكل انسان هاجس يهدد سكينته ، فما هو هاجس غادة السمان ؟
- هواجسي ، كثيرة ، كالحظات طمأنيني ... أتبنى الحزن ولا اتصل من الفرح ...
وأعي انني غلة في بلاط العذاب البشري ...
هاجسي المحوري موت الذين أحبهم ...
معظم الذين احببتهم ماتوا ميتات مبكرة ومفجعة ، حتى كدت اتشاءم على حبيبي
من نفسي !! ...

● لم يظهر على الساحة الادبية ادباء جريمة عرب ، بعكس الغرب حيث نال ادباؤه
شهرة عالمية . ما السبب برأيك ؟
- الاسباب عديدة ، أبرزها ان الرواية فن اوربي عريق (كالشعر عند العرب) له تراثه
الطويل ، بينما هو من الفنون العربية الحديثة نسبياً . . .
وثمة عامل نفسي ، هو الوهم الشائع عندنا بأن أدب الجريمة أدنى منزلة وأقل شأنًا
من أدب الحقوق الانسانية الأخرى ...

● ماذا قدمت الكاتبات العربيات للمرأة العربية ؟
- شرارة ثورة على الذات الخائفة ، والمجتمعات (القائمة) .
● ألا تشعرين بالحنين الى الصحافة التي زاولتها مدة من الزمن ؟ وماذا يمنع عودتك
اليها؟

- الكتابة الروائية والقصصية هي المانع الموقت .. فأنا مخلصنة لنزواتي ، وفيه
لخيائتي ... وأشعر باستمرار انني أخون الأدب مع الصحافة ... واستغرق في عملي
الصحافي حتى أنسى كل ما عداه ... ذلك الحب الرائع الملعون لن اشفي يوماً منه ،
ودوماً سأعود ... لكنني بين دهر وآخر ، أعود الى ينابيعي الى الكتابة الروائية
والقصصية وأعرف ان حقيقي الداخلية وفعاليتي الاساسية تكمن في عملي الأدبي ...
ولا شيء يمنع عودتي الآن الى الصحافة غير انجاز رواية جديدة أعمل عليها .

● كان لغادة السمان محاولة شعرية يتيمة ، لم تكررهما ثانية ... ما السبب ؟
- هل هي حقاً محاولة (شعرية) ؟ هل كانت يتيمة ؟ لن أدري أبداً ، فأنا أعتقد ان
الخيال الذي يفصل بين مملكة القصة والشعر ليس كسور الصين ، لكنه أحياناً يشف
ويرق كشعرة خرافية ... أحب النصوص التي هي تلك التي تضم روح الشعر في
حناياها .. كل كتابة فنية تخلو من لمسة الشعر أراها مثل مصباح فاخر لكنه بلا ضوء
يشع من داخله ...

● لماذا تتفائلين بالبوم ؟

- انشد الحرية في شؤون حياتي الفكرية كلها ، صغيرها وكبيرها . . . وأعني بالحرية ، حرية ألا تقتل إذا كان رأيك مغايراً . . . ولحسن الحظ ان حرية حب البوم ليست من تلك الحريات القاتلة . . . لكنها أيضاً حرية رمزية . . . تؤكد من جديد : كره الناس للبوم ناتج عن افكار متوارثة لا عن موقف عقلائي . وانا أرفض النظرة السلفية التي لا مبرر لها غير انتقادها إلينا بشكل آلي تقليدي .

ببساطة : انني اكره الهرب من مواجهة اسباب الشر الحقيقية في هذا العالم ، ولا أرمي بها على قوى ما وراء الطبيعة ورموزها التي يفترض انها شريرة كالبوم .
حين يجوع الفلاح ، فهذا معناه انه لا يتقن أساليب الزراعة او ان (الاقطاعي) يسرقه ولكن البومة التي مرت بحقله ليست هي المسؤولة عن كوارثه . من مصلحة الاقطاعي او (المستغل) ان يستمر الفلاح في صب نقمته على البومة والشؤم . . . الى آخره . . . وهذا ينسحب على معتقداتنا كلها ، وعلى الذين لديهم مصلحة من (تغطيسنا) في بحر الغيبيات كالتشاؤم والتفاؤل ، وتحذيرنا عن مواجهة واقعية لجوهر كوارثنا . أنا أنفءال بالعمل ، وأنشاءم من شر الناس والكسل . . . لكنني لا أنفءال بالبومة ، ولا أنشاءم منها . . انني ببساطة أحبها حيي لبقية الطيور وكائنات الطبيعة كلها ومخلوقات الله المذهلة .

وبصراحة ، انا اعتقد ان من حق البوم ان يتشاءم هو من البشر ، ولديه اسبابه (الموضوعية) لذلك ، فهم يكرهونه ويقتلونه ويبيدونه . .
ولكن هل سمعت مرة ان بومة مسكينة انقضت على رجل وقتلته كما يفعل الرجال بها ؟

البومة مكروهة ، لأن في عينيها الواسعتين مرآة لضمير الناظر اليها . . يتوهم نظرتها اتهامية ، ويتذكر آثامه . . ولا يكاد المريب يقول خذوني ، فيأخذها بلذنه ويقتلها . . ولكن ، متى كان كسر المرأة يجمل سحنة الواقف أمامها ؟
● ما هي آخر مشاريعك الأدبية ؟

- السر الوحيد الذي يشتهي الانسان تحويله الى فضيحة فيما بعد ، هو كتابة الرواية . . .
وانا ما زلت في مرحلة السر ولم انجز روايتي . . . لذا لن اقول المزيد . .

اقرار

محتويات هذا الكتاب نشرت في المجلات والصحف العربية التالية
(بالترتيب الابجدي) :

مجلة الصياد اللبنانية	مجلة الاسبوع العربي اللبنانية
جريدة العراق العراقية	مجلة افكار اللبنانية
مجلة العطاء اللبنانية	مجلة ألف باء العراقية
جريدة العمل التونسية	جريدة الانوار اللبنانية
مجلة فنون العراقية	جريدة بيروت اللبنانية
مجلة فيروز اللبنانية	مجلة الثقافة العربية الليبية
جريدة القبس الكويتية	جريدة الثورة العراقية
جريدة اللواء اللبنانية	جريدة الجزيرة السعودية
مجلة المسؤول اللبنانية	مجلة الجزيرة اللبنانية
مجلة مشوار اللبنانية	مجلة الجمهور اللبنانية
مجلة المقاصد اللبنانية	جريدة الجمهورية العراقية
مجلة المنار (لندن)	مجلة الحساء اللبنانية
وكالة منار برس اللبنانية	جريدة الخليج الطيانية
مجلة الموقف العربي اللبنانية	مجلة الدستور (لندن)
مجلة نادين اللبنانية	جريدة الرياض السعودية
جريدة النهار اللبنانية	مجلة زهرة الخليج الطيانية
مجلة النهار العربي والدولي اللبنانية	مجلة الشاهد (باريس)
مجلة الوطن العربي (باريس)	مجلة الشبكة اللبنانية
مجلة ياسمين (باريس)	جريدة الشرق اللبنانية
مجلة اليقظة الكويتية	مجلة صباح الخير المصرية
مجلة اليوم السابع (باريس)	مجلة صوت الطلبة السورية

الفهرس

الاهداء	٥
مصارحة	٦

(١) احاديث لم تحدث

- من عادة الى مفيد بقلم مفيد فوزي	١٤
- من مفيد الى عادة بقلم مفيد فوزي	١٧

(٢) استجواب حول سيرة ذاتية

- مندوب العمل التونسية يستجوب	٢٢
- ندى ياسين تستجوب	٢٤
- مي منسى تستجوب	٢٧
- ابتسام عبد الله تستجوب	٣٣
- زينب حمود تستجوب	٣٧
- محمد ابي سمرا يستجوب	٤١
- سهام الشامي تستجوب	٥٤
- اوراس مخلوف تستجوب	٥٩

(٣) استجواب حول المرأة - الرجل - التحرر

- سعيد طه يستجوب	٧٤
- حوار مع مجهول	٧٧
- زينب حمود تستجوب	٨٥
- محمد حمود يستجوب	٩٠
- سوسن شريف تستجوب	٩٥

- ٩٨ - مريم ابوجودة تستجوب
- ١٠٢ - نهي الغور تستجوب
- ١٠٥ - محمد غشام يستجوب
- ١٠٩ - رندة ابي هنا تستجوب
- ١١٣ - فاطمة طقو تستجوب
- ١١٨ - مراسل القبس الكويتية يستجوب

(٤) استجواب حول قضايا ادبية

- ١٢٦ - نبيه البرجي يستجوب
- ١٣١ - هاديا كستي سعيد تستجوب
- ١٣٩ - محي الدين صبحي يستجوب
- ١٤٦ - كاتيا سرور تستجوب
- ١٥١ - هاشم قاسم يستجوب
- ١٥٧ - جوزيف كيروز يستجوب
- ١٦٠ - كمال بخيت يستجوب
- ١٦٣ - ياسين رفاعية يستجوب
- ١٦٩ - مراسل الدستور يستجوب
- ١٧٤ - فريال ملكو تستجوب
- ١٧٨ - مراسل الف باء يستجوب
- ١٨٢ - عقل العويط يستجوب
- ١٩٣ - ديب عماد يستجوب
- ١٩٨ - وصال خالد تستجوب
- ٢٠٢ - بيار ابي عقل يستجوب
- ٢١٣ - ابراهيم العريس يستجوب

(٥) من كل بحر موجة

- ٢٢٠ - حلیم الاعرجي يستجوب
- ٢٢٤ - عبد الغني طليس يستجوب
- ٢٣٣ - دينا جابر تستجوب

٢٣٦	- عاصم الجندي يستجوب
٢٤١	- ميشال النمرى يستجوب
٢٤٧	- مندوب مجلة الافكار يستجوب
٢٥٣	- نصري عكاوي يستجوب
٢٥٩	اقرار
٢٦١	الفهرس



● هذا هو الجزء الثالث من كتابي... « القبيلة
تستجوب القتيلة » و « البحر يحاكم سمكة » ،
والكتاب الرابع عشر في سلسلة الأعمال غير الكاملة
له « غادة السمان » وقد صدر من هذه السلسلة حتى
الآن : « زمن الحب الآخر » ، « الجسد حقيبة سفر » ،
« السباحة في بحيرة الشيطان » ، « ختم الذاكرة
بالشمع الأحمر » ، « اعتقال لحظة هاربة » ، « مواطنة
متلبسة بالقراءة » ، « الرغبة ينبض كالقلب » ،
« ع غ تنفرس » ، « صفارة انذار داخل رأسي » ،
« كتابات غير ملتزمة » ، « الحب من النوريد الى
النوريد » ، « القبيلة تستجوب القتيلة » ، « البحر
يحاكم سمكة » .

